نبوة محمد ﷺ في القرآن

افتقار الإنسانية إلى الرسل - ظاهرة الوحي وبراهينه

معالم نبوته - دلائل نبوته العقلية



حسن ضياء الدين عتر

دكتوراه في التفسير بمرتبة الشرف الأولى

ماجستير في التفسير - ماجستير في الأدب والنقد

دار النصر

نبوة محمد ﷺ في القرآن

افتقار الإنسانية إلى الرسل - ظاهرة الوحي وبراهينه
معالم نبوته - دلائل نبوته العقلية

بقلم

حسن ضياء الدين عتر

دكتوراه في التفسير بمرتبة الشرف الأولى
ماجستير في التفسير - ماجستير في الأدب والنقد

« لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن .. »

« الإمام الرازي »

دار النصر
حلب، سورية، شارع الوزير

الطبعة الأولى

١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م



نالت هـذه الرسالة درجة العالمية « الدكتوراه »
بمرتبـة الشـرف الأولى بإجماع لجنـة المنـاقشة في
كليـة أصـول الدين بجامعة الأزهر بتـاريخ
١٤ جمادى الثـاني ١٣٩١ هـ الموافق ٥/ ٨ / ١٩٧١ ،
وهذا الكتاب أحـد قسميها ، والقسم الثـاني :
« بيّنـات المعجـزة الخـالدة »



بسم الله الرحمن الرحيم

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم

« سورة التوبة ١٢٨ »

وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون

« سورة العنكبوت ٤٨ »

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون !؟

« سورة يونس ١٦ »

الإهداء

إلى الذي انبلج به صبح الهداية الإلهية،
وانقشعت بنسماته دواكن الضلالة والجهالة
وتبددت بأنوار هدايته الظلمات الكثيفة
وأضاء جهاده ساحة الإنسانية بثورة لا تنطفي،
وحط هديه عن كاهل البشرية جسام المظالم وصنوفها
وبث في مجتمعاتها مصابيح الكرامة والسعادة الأبدية
إلى سيد هداة البشرية في الدنيا والآخرة،
محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

جندي دعوتك
حسن ضياء الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

التقريظ

قال العلامة الدكتور الشيخ محمد أبو شهبة عميد كلية أُصول الدين بأسيوط وعضو لجنة مناقشة الرسالة :

« لقد بذل الطالب في هذه الرسالة جهوداً مشكورة ، وطوف في عشرات من الكتب والمراجع . وكانت له شخصيته في كثير مما كتب . فقد قرأ وبحث وناقش ورجح . وأيضاً قد أضاف بهذه الرسالة زيادة في العلم الاسلامي وجاء بجديد في هذا الموضوع . فقد استفاد من كلام العلماء السابقين الذين دار في فلكهم ، وأمكنه أَن يبنى عليه وأَن يجعل من المتناثر بحثاً مستقلاً ، يستهوى القارىء بجدته وحسن أُسلوبه وطريقة عرضه » .

وقال العلامة المفسر الدكتور الشيخ عبد الحميد عبد الشافي الاستاذ المساعد بقسم التفسير في جامعة الأزهر :

« لقد قرأت هذه الرسالة فرأيت فيها مجهوداً فـذاً امتـاز بالتحقيق والدقة ، كما أَنه ينبيء عن تدين متين ووعي كريم ، وقد أَبرز في الرسالة جوانب متعددة استقاها من مصادر جمـة علاوة على مجهوده الذي أَظهر فيـه شخصيته العامية . فأفاد العـلم فوائد جديدة » .

وقال استاذنا العلامة القدوة المفسر الدكتور الشيخ عبد الوهاب غزلان ؛ رئيس قسم التفسير والمشرف على الرسالة ؛ في التقرير المشترك الذي رفعه مع صاحبي الفضيلة الشيخ محمد أبو شهبة والشيخ عبد الشافي إِلى جامعة الأزهر :

« فالرسالة جديرة بالتقدير ، وقد بذل الطالب فيها جهوداً مشكورة ، وأَمكنه أَن يكوّن من المتفرق المتنـاثر في عشرات الكتب وحدة موضوعية ، وقـد ضم إِلى العلم الاسلامي برسالته تلك جديداً ، وشارك مشاركة جادة في الدراسات القرآنيـة وفي رد شبهات المستشرقين وأضرابهم على الرسالة المحمدية ، وفي اثبات الشطر الثاني من أَصل الايمان وهو اثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ من القرآن الكريم .

وبعد مناقشة جادة ؛ وحادة أحياناً ؛ استغرقت اكثر من ثلاث ساعات ، خلت اللجنة للمداولة ، وأَصدرت حكمها بالاجماع باستحقاق الطالب المذكور درجة العالِمية « الدكتوراه » بمرتبة الشرف الأولى . والله ولي التوفيق » .



شكر

لقد حظيت في تحضير هذه الرسالة وهذا الموضوع العظيم باشراف أستاذنا صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الوهاب غزلان ؛ رئيس قسم التفسير ؛ حفظه الله تعالى .

ولن أنسى ما حييت اهتمامه البالغ واعتناءه الكامل بالرسالة فصلاً فصلاً ، وما بذله على الرغم من وهن صحته من جهد متواصل بهمة فتية تنحني لها هامات الشباب ، وما قدمه من توجيه علميّ سديد أحاط الرسالة وصاحبها بأوفى رعاية وأمثل توجيه . وإني إذ أتقدم اليه ببالغ الشكر والامتنان أسأل الله العظيم من فضله وجوده أن يشكر له ويُمتِّع به ؛ ويجزيه عني وعن العلم وطلابه والمسلمين أحسن الجزاء . إنه لا يضيع أجر العاملين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث محمداً بالهدى والنور وشفاء ما في الصدور ، وأيده بالآيات البيّنات ، وأنزل عليه القرآن الحكيم سراجاً منيراً ؛ هادياً إلى دينه وحجة لرسوله ؛ وبرهاناً عظيماً على صدقه وأمانته على وحيه ، ليهدي الأنام إلى سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

وصلى الله على سيدنا محمد سيد خلقه وخاتم رسله ، أرسله ربه رحمة للعالمين ، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والهادين بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد بعُد العهد برسول الله ﷺ وبعُد عهد الناس بسيرته العطرة وآيات نبوته التي انبلجت في ظلام جاهلي قاتم . وانغمر الناس هنا وهناك في مشاغل الحياة الدنيا ولهوها ومتعها ، فطمست المادة على كثير من القلوب حتى أفقدتها الشعور بنشوة الروح ، وقعدت بها عن التماسها . وقد خبت في هذا الخضم المتلاطم جذوة العلم بالله وبكتابه ورسوله . وغدا كثير من الناس بهذا الفراغ تحت تأثير شعور بالنقص يحملهم على تلقف الافكار الوافدة من الخارج ، حتى شاعت أفكار وشبهات دخيلة على الأمة الاسلامية ، تتناول أصول الدين بالطعن والتشكيك ! ! وفي معترك العقائد هذا ، تسمع أصحاب المذاهب الالحادية يصخبون وينعقون ؛ زاعمين أن مذاهبهم تقوم على أسس علمية . وتجاه هذه التيارات العنيفة

المتتابعة لم يكن بد من التصدي لبيان أصول العقيدة بدلائل علمية عقلية ترباً بالمسلم عن التقليد الأعمى أو التدين الوراثي بغير دليل ، الأمر الذي يزري به في الدنيا ، ويخذ له في الاخرة ويحرمه النجاة فيها . فان العاقل مسؤول عن تأسيس ايمانه على دليل اجمالي أو تفصيلي يتناسب مع مستواه العلمي . ولقد تصدى علماء فحول إلى بيان دلائل الايمـــان بالله تعالى من العلوم التجريبية ، حتى نشر في هذا الموضوع ما يبل صدى الظامىء الملهوف . وبدت الحاجة المـاسة الى البحث في الشطر الثاني من جوهر العقيـــدة الاسلامية وهو (شهادة أن محمداً رسول الله) . ليظهر جلياً أن العقل والعلم والمسلمات القطعية تثبت نبوة محمد ﷺ .

ودراسة هذا الموضوع تلبي حاجة انسانية عامة . فالناس بحاجة إلى الرسل للاهتداء بهداية الله الواصلة اليهم . وهذا زمان قل خيره وكثر شره . وتعاقبت فيه الفتن على القلوب ، فما تمكنت في قلب أصبح مؤمناً إلا أمسى بهـا كافراً يبيع دينه بعَرَض من الدنيا قليل . فترى الناس أحوج ما يكونون إلى أكمل رسالات الله وخاتمتها ، تطمئن قلوبهم ، وتجعل عليهم من السكينة ما يملأ فراغ أفئدتهم ، فيثوبون إلى رشدهم ويحققون انسانيتهم بالايمان بنبوة محمد ﷺ وبالاعتصام برسالته فهي على الحقيقة جمـاع القيم الخيرة .

وقد امتازتْ نبوةُ محمدٍ ﷺ ان كتابَ دعوتها ـ وهو القرآن الكريم ـ قـــد اعتنى باثباتِ صدقها ، وافتن في ذلك أساليب متنوعة ، وأدلى بحجج دامغة وبيان يضاعف ظهور الحقيقة النبوية في محمد ﷺ ، مما يجعل الموضوع مرتبطاً بالقرآن كل الارتباط . فرأيت ـ كمختص في التفسير ـ أن أخوض غمار البحث في أهم مسائل نبوة محمد ﷺ وأظهر

دلائلها العقلية المفحمة ؛ من خلال آيات كتاب الله العزيز ، لأحقق بذلك ثلاثة أغراض هامة :

أولها : اعطاء صورة أصيلة قيمة عن نبوة محمد ﷺ كما عرضها الله سبحانه وتعالى للعرب ، وضمنها ما ضمنها من دلائل نبوته وشارات صدقه وأمانته في التبليغ عن ربه . فقد استوفى القرآن بيان ذلك لدى دعوتهم للايمان برسول الله ﷺ ، وأضاف اليه اجابات سديدة هادفة عما أثاروه من نقاش جدلي لجوج ، فتجلية هذا البحث جهد يبذل لتصحيح الصورة عن نبينا محمد ﷺ في نفوس كثير من الناس ،وتقوية ايمانهم به . ولي وطيد الأمل أن يؤتى البحث في مضمار الدعوة الاسلامية أينع الثمار .

ثانيها : خدمة هذا الفن الناشىء الذي أشاد كبار العلماء بعظيم نفعه ألا وهو (التفسير الموضوعي) . فقد حض علماء الأزهر ومشايخه على سلوك نهجه والاغتراف من فيض بحره .

ثالثها : أنه قد نشرت باللغة العربية من نحو عشرين عاماً شبهات جديدة للمستشرقين تحاول التشكيك في نبوة محمد ﷺ ، وهي من تقول كبيرهم (اجنتس جولد تسهر) في كتابه العقيدة والشريعة في الاسلام . ولم تلق شبهاته اجابات علمية بعد . فسعيت للاجابة عن أهم شبهات المستشرقين المتصلة بالموضوع ، والجديد منها بصورة خاصة ، لأسد هذه الثغرة في الثقافة الاسلامية المعاصرة .

أما سلوك سبيل التفسير الموضوعي - غرض الرسالة الثاني - فانه عماد نهج هذه الرسالة . ذلك أني جمعت الآيات المتعلقة بكل واحدة من قضايا الموضوع ، ثم رحت أستقي من منهل القرآن بيان معناها ، اذ كثيراً ما يفسر بعضها بعضاً . فان الناظر في القرآن الكريم يغيب عنه

أحياناً السر في آية معينة ، حتى إذا سمع زميلتها في موضوعها علم ما غاب عنه وانكشف ما خفي عليه .

وتم بيـان معاني الآيات بذكر أسباب النزول وعرض قدر مناسب من أحاديث النبي ﷺ التي استشهد بها المفسرون أو التي وجدناها في كتب السنة تسهم في اتمام البيان وتعين على كمال الموضوع ، ففي حديث الرسول ﷺ بيان شاف للقرآن . قال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكـر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم ولعلهم يتفكرون)[١] .

ورجعتُ إلى أمهاتِ شروح الحديث النبوي تبياناً لما دعت الحاجة اليه من معـاني آيات الكتاب العزيز ، ولم أورد حديثاً إلا سعيت إلى تخريجه . كما عولتُ في بيان معاني ألفاظ القرآن على الفصحى لغة القرآن بالرجوع إلى أمهات معاجمها كلـما استلزم البحث ذلك . وان اختلفت آراء المفسرين في آية ذهبت إلى الترجيح بدلائله الشرعية واللغوية ، فان كان أحدها ظاهر الرجحان عولت عليه ، وإن خشيت أن يبعد النقاش الشقة عن الموضوع اقتصرت على ايراد ما رجحه أئمة التفسير .

وأعملتُ الرأيَ في الغوص على دُرر المعاني وبديع الاشارات التي تضمنها القرآن في سياقه وألفاظه . واستنبطت خلال تلك الدراسة ما بدا لي من دلائل النبوة القطعية الملزمة ، وأفدت في هذا المضمار مما وجدته في كتب علم الـكلام مناسباً لتفسير الآيات واتمام جوانب الموضوع . وأملي من ذلك كله أن يفلح مسعاي في هذا البحث بتحقيق أقوم تفسير موضوعي في القرآن ييسر على القاصي والداني اجتناء ثمار هدايته .

وقد حقق الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر سابقاً فكرة التفسير

---

(١) سورة النحل : ٤٤ .

الموضوعي في كتابيه الصغيرين (القرآن والمرأة) و (القرآن والقتال) إلا أنه لم يبين لنفسه فيه منهجاً ، مع أنه دعا إليه وأحسن الثناء عليه. فقال :

« وهذه الطريقة في نظرنا **هي الطريقة المثلى** ، وخصوصاً في التفسير الذي يراد اذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهـــداية » .

وانتقد أستاذنا العلامة المفسر الشيخ محمد محمد السماحي في آماليه ، النهج الذي سار عليه الشيخ محمود شلتوت ، وكشفَ خطأه في اغفال ترتيب نزول الآيات وأسباب النزول ودواعيه ؛ وفي عدمِ ملاحظة سنة الله في التدرج بالتشريع ، حتى انزلق – غفر الله له – إلى الزعم بأن الجهـاد في الاسلام دفاعي ؛ وأن الربا القليل مباح .

وقد لاحظت أن بعض الكتاب المعاصرين يتورطون في أخطاء فاحشة في التفسير لاغفالهم سياق الآيات . فحملني ذلك ههنا على تنبيه من يفسر آية من كتاب الله تعالى إلى وجوب الأخذ بدلالة السياق التي وردت فيه ، لئلا يضل معرفة المراد منها .

أما طريقة الرسالة في تخطيط الموضوع ، فقد رأيت أن الايمان بنوة محمد ﷺ يستند بعد الايمان بالله تعالى إلى الايمان بالنبوة عامة ومعرفة حاجة البشرية إلى رسل الله . فعمدت إلى **عقد باب تمهيدي** ، تحدثت فيه عن الأدلة القرآنية ، ثم بينت افتقار الانسانية إلى الرسل ، فاستنبطت أوجه احتياجها بتتبع آيات الكتاب الكريم في ذلك ، واستخراج دلالاتهـــا مستعيناً بالنقاط الهامة التي أوردَتها كتب علم الكلام المخطوط منها والمطبوع . فتكامل – بحمد الله – الحديث عن ذلك بصورةٍ فريدة ، وظهر فيه من

التجديد ما يتضح للقارىء . وانما وفرت بذلك سند الموضوع وأساسه الفكري في هذا التمهيد الهـــام . ثم انتقلت إلى تعريف النبي والرسول وبيان الفرق بينهما ، وتشريف الله محمداً ﷺ بالنبوة والرسالة جميعاً .

وتحدثت في الباب الأول : عن تعريف القرآن بمحمد ﷺ .

فذكرت في الفصل الأول **نشأته** السليمة الطاهرة **وبعثته** الكريمة .

وجلّيت في الفصل الثاني **أوصاف محمد ﷺ في القرآن الكريم :** فهو رسول أمي مبشر به . وبينت بشرية الرسل جميعاً ، ثم عرضت تقرير القرآن بشرية سيدنا محمد ﷺ . ودحضت ما تعلل به المشركون من افتراضات حول بشريته . وتحدثت عن بشرية سيدنا عيسى عليه السلام . وأبطلت حجج النصارى في زعمهم ألوهية عيسى بأدلة قرآنية عقليه ملزمة. وجعلت مسك ختامها اعتراف السيد المسيح نفسه بأنه بشر أرسله الله في نصوص انجيلية تعتد بها الكنائس حتى أيامنا هذه .

وخصصتُ الفصلَ الثالث للحديث عن **فضائله الخلقية** ﷺ ، واستدللت بسموها وكمالها فيه على نحو لم يتوفر لبشر قط من قبل ولا من بعد على نبوته ، ولا غرو فقد أدبه ربه منذ الصغر فأحسن تأديبه ، فلما بلغ أشده ، وبعثه ربه ، راح يستقي هاتيك الفضائل من أعذب منهل رباني من القرآن نفسه ، وبرهنت بقوة دلالة مكارمه الخلقية على نبوته ، وعرضت نماذج حية من كمالاته عليه الصلاة والسلام .

وقدمت في الباب الثاني دراسة عن اثبات القرآن نبوة سيدنا محمد ﷺ .

فتحدثت في الفصل الأول عن **ظاهرة الوحي** ومنهج القرآن في إثباته ، وعن امكانه عقلاً وعلماً ، وعن اثبات القرآن امكانه . وفصلت

أصناف الوحي في القرآن الكريم ، وعرضت دلائل وقوعه لسيدنا محمد ﷺ برسم مشهده حين كان يوحى اليه ، ومعاناته من الشدة ما يثبت أنه أمر منفصل عن ذاته يتلقاه من لدن حكيم عليم .

وقد تم في هذا الفصل جمع أحاديث الوحي ، وتصنيفها في دراسة جديدة ضافية لهذه الظاهرة الجليلة . واختتمتها بدراسة بكر لخصائص الوحي .

وعرضت في الفصل الثاني **تخرصات المشركين قديماً والمستشرقين حديثاً** حول الوحي ، وأجبت عنها باجابات قرآنية علمية سديدة . **وأظهرت** بالمقارنة والتحليل أن المستشرقين حذوا حذوَ المشركين .

ودخلت في الباب الثالث إلى الحديث عن معالم نبوة محمد ﷺ .

فتحدثت في الفصل الأول عن : دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن وتصنيفها إلى حسية وعقلية .

وقد تعرضت في الرسالة للبحث في معجزاته ﷺ ، وميزت بين المعجزة والكرامة والسحر ومنجزات العلم التجريبي . وبحثت بتوسع في إعجاز القرآن الكريم حتى يتجلى غرض الاعجاز الأصيل وهو ثبوت نبوة محمد ﷺ . ونظراً لجلالة هذا الموضوع وتميزه رأيت أن أحذو حذو الأجلة من العلماء ، فأفردته في كتاب مستقل ، عنوانه (**بيّنات المعجزة الخالدة**) وهو القسم الثاني للرسالة ، أسأل المولى الكريم أن ييسر نشره .

وعرضت في الفصل الثاني : معالم نبوية في شخص محمد ﷺ ، فقد عصمه الله عن الخطايا والدنايا ، وكان عليه السلام أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يتلق من أحد علماً ، وأظهرت الآيات أنه متلق مأمور يلقى عتاباً وتوجيهاً في بعض تصرفاته وكان عليه السلام يبرؤ من علم الغيب إلا بالوحي وقد تكفل الله بحمايته من الناس ، وقد أنجز كفالته له ، فصانه مراراً من هلاك محقق .

وأبنت في الفصل الثالث أن **أصول رسالته ﷺ كرسالات سابقيه من الرسل**، وأن نبوة محمد ﷺ مصدقة للأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام؛ ولدى الحديث عن **تبشير الكتب السماوية ببعثته** ﷺ، في الفصل الرابع؛ تناولت تقرير القرآن والحديث بشارة الكتب السماوية ببعثته، ثم تبشير الكتب السماوية المعتمدة لدى أهل الكتاب، ثم أوردت بشارات كتابية مقبولة وإن لم يعتبرها النصارى [1].

وجعلت **مسك الختام** عرض خلاصة دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن. وبيان حاجة البشرية إلى الايمان برسالته والعمل بها في كافة الأعصر، ووجهت دعوة للانسانية كافة لتؤدي واجباً محتماً تضافرت الدلائل القطعية على اظهاره وهو الايمان بنبوته ﷺ والخروج بطاعته وهديه من الظلمات إلى النور، وأن توفي مقامه الأسنى ما يستأهله من محبة واجلال؛ اعترافاً بفضله واكباراً لجهاده، فذلك سبيلها لتحظى بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

وصفوة القول أن هذه الرسالة قد امتازت بما يلي:

أولاً: تطبيق منهج علمي سديد في التفسير الموضوعي، وقد أوضحناه من قبل.

ثانياً: استنباط دلالات جديدة لبعض آيات الكتاب العزيز تثبت نبوة محمد ﷺ، وترجيح بعض آراء المفسرين في المراد من آيات أخرى.

---

(١) اطلعت لدى نشر رسالتي هذه على كتاب (الرسول) للأستاذ الداعية سعيد حوى حفظه الله. وإذا كان بين الموضوعين تقارب ما؛ فان هناك تفاوتاً شاسعاً في المنهج والمحتوى، ولكل وجهة هو موليها. وقد أثرت عن بعض أسلافنا العلماء الأفاضل هذه القاعدة الذهبية: « لا يغني كتاب عن كتاب ».

ثالثاً : تقديم دراسة جديدة عن أعجاز القرآن الكريم (١) ؛ تضم مجموعة من الدلائل تثبت عجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن ، ونفي ما شاع لدى بعض العلماء ؛ من القول بالصرفة ؛ بأدلة قرآنية وعقلية وتعريف للوجه المعجز يقدم لأول مرة ، ونقد آراء العلماء في تحديد أوجه اعجاز القرآن ، وترجيح التحديد الذي ذهبنا اليه في أوجه الأعجاز ، وشرح أوجه الاعجاز من خلال دلالات آيات الكتاب الكريم .

رابعاً : كشف دسائس المستشرقين وكبيرهم (جولد تسهر) ، والاجابة عن شبهات جديدة لهم .

خامساً : لم يخض أحد غمار البحث عن نبوة محمد صلى الله عايه وآله وسلم في القرآن ، فقد أُلف الموضوع لأول مرة في هذه الرسالة ، فاتسم بالجدة في منهجه وفي تبويبه وتصنيفه ، وقد سلكنا فيه مسالك المناقشة والمحاكمة باستدلالات راجحة . وعرضنا ذلك كله بأسلوب سلس لا تعقيد معه ، واضح لا غموض فيه . فجاءت الرسالة بعون الله وتوفيقه على غير نظير سابق .

ولسنا ندعي أنا قد وفينا بهذه الرسالة الحديث حقه عن نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم ، أو عن المقام الذي أحله الله فيه ونوه به في كتابه ، غير أنا قدمنا جهد المقل في هذا الميدان ، وأظهرنا من دلائل نبوته ما نرجو أن يكون نوراً تستضيء به قلوب الحائرين وتزداد به قلوب المؤمنين بصيرة وضياء (قل : هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٢) .

---

(١) في الكتاب الثاني من الرسالة : بينات المعجزة الخالدة .

(٢) سورة يوسف : ١٠٨ .

وانـا وطيد الأمل أن يجدَ شبابنا المثقفون في هذه الرسـالة ما يحفزهم على نصرة الحق بدلائل الحق . وأن يوقنوا أن دينهم له من أسس الحق العريق ما يجعله أمام عواصف الأزمنة أرسخ من شم الجبال الراسيات . وأن تقوى فيهم بواعث الاعتصامِ بحبلِ الله والاهتداء بهدي رسوله وسيد خلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ألا هل بلغت ! ؟ اللهم اشهد !

الباب التمهيدي

افتقار الانسانية إلى الرسل

الفصل الأول : الأدلة القرآنيـــة .

الفصل الثاني : افتقار الانسانية إلى بعثة الرسل .

الفصل الثالث : النبي والرسول وبيان الفرق بينهما .

الأدلة القرآنية

لابدلنا كي نقدم صورة أصيلة قيّمة عن نبوة محمد ﷺ كما عرضها الله تبارك وتعالى للعرب ، تحقيقاً للغرض الأول من الرسالة ، أن نعرج على الأدلة بصورة عامة ومكانة الأدلة القرآنية ، وبذلك تتجلى عظمة دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن قبل الخوض في تفاصيلها .

لقد قسم العلماء الأدلة قسمين :

١) **أدلة عقلية :** وهي كل برهان يستلزم المطلوب ويقيم الحجة عليه بحكم العقل من غير افتقار إلى السماع . فان كان الدليل أمراً عقلياً مقطوعاً به كان المدلول عليه علماً قطعياً ، وان كان أمراً مرجحاً لم يصل إلى القطع لورود الاحتمال عليه كان المدلول عليه مدلولاً ظنياً .

٢) **أدلة سمعية :** وهي كل دليل صح نقله عمن عُرف صدقه عقلاً . وهم أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وأفضلهم سيدنا محمد ﷺ . ويدخل فيها آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي الكريم ﷺ . أما القرآن الكريم فقد تواتر نقله فهو دليل سمعي قطعي الثبوت ، وأما الحديث النبوي فما تواتر منه فهو قطعي الثبوت ، وما وصلنا بطريق أحادي فهو ظني الثبوت .

وقد درج كثير من العلماء على ايراد أدلة السمع في نقاش المسائل للمسلمين وعلى ايراد الأدلة العقلية في نقاش غير المسلمين . ولما اعتبر علماء

الكلام القرآن من الأدلة السمعية فقد عزف كثير منهم عن التماس الدلائل العقلية فيه ، وعولوا على ما تجود به قرائحهم وتحيكه أفكارهم .

ونلفت النظر إلى أنّ القرآن الكريم قد أوردَ في قضايا الايمان جميعها أدلة عقلية قوية ملزمة لا تحتمل الرد . ونرى ـ في جملة ذلك ـ أن القرآن لم يُلق إلى العرب دعوة الايمان بنبوة محمد ﷺ مجردة من أدلة صدقه خالية من براهين نبوته ، بل عرض دلائل عقلية قطعية في اثبات نبوته . وبناء على هذا الفهم ، **يتقرر أن آيات الكتاب الكريم التي حوت الدلائل قد اجتمع فيها الوصفان معاً ، فهي من الأدلة العقلية القاطعة الدلالة إلى جانب كونها من الأدلة السمعية القطعية الثبوت . وهي بهذا الاعتبار عقلية شرعية ، فهي أجدر الأدلة بخطاب من آمن ومن لم يؤمن على حد سواء ، لذا غدت محور البحث وتصدرت رسالتنا هذه .**

وعمدة الأمر أن الاعتصام بحبل الله لا يكون إلا باعتصام بالقرآن والاسلام ، قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً)[1] فقد حفظ الله كتابه من الخطأ والباطل الذي يتخلل كلام الناس في نقاشهم واستدلالهم . قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[2] . وقال : (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[3] ، وقد ضمنه سبحانه وتعالى الدلائل الرصينة المحكمة والبراهين السديدة البينة قال تعالى : (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)[4] وقال : (الر تلك آيات الكتاب الحكيم)[5].

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ . (٢) سورة الحجر : ٩ .
(٣) سورة فصلت : ٤١ ـ ٤٢ . (٤) سورة هود : ١ .
(٥) سورة يونس : ١ .

فدل على أن القرآن الكريم قـــد احتوى من دلائل الربوبية والنبوة والمعاد ما لا يوجد في كلام أحد من العبـاد ، ففيه أدلة أصول الدين المفيدة لليقين .

قال ابن تيمية رحمة الله عليه : (وبين تعالى أنه « أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » ذكر هـــذا في سورة التوبة والفتح والصف ، والهدى : هو هـدى الخلق إلى الحق وتعريفهم ذلك وارشادهم إليه ، وهذا لا يكون إلا بذكرِ الأدلةِ والآياتِ الدالة على أن هذا هدى . وإلا فبمجرد خـــبر لم يعلم أنه حق ولم يقم دليل على أنه حق ليس بهدى ، وهو سبحانه إذا ذكر الأنبيـاء ـ نبينا وغيره ـ ذكر أنه أرسلهم بالآيات البينات وهي الأدلة والبراهين البينة المعلومة علماً يقينياً)[١] .

يتبين لك من هذا أن ابن تيمية يعول على المنهج القرآني في اثبات النبوة وفي كافة أبحاثِ العقيدة ، وهو إلى جانب ذلك ينعى على المتكلمين أساليبهم . وقد خلت من قبله أمـة من السلف الصالح جمعت في أبحاثها بين نهج القرآن الكريم ونهج المتكلمين ، منهم حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي ، وفخر الدين الامام الرازي .

ونحن ندعو إلى جعل المنهج القرآني أصلاً تقوم عليه كافة أبحـاث العقيدة والتماس الأدلة فيما أدلى به من براهين وأثاره من اشارات لتكون أساس الاستدلال واقام الحجة . وهـــذا أجدى أسلوب يبث نسمات الهداية في شغاف القلوب . وإليه نبه الامام الرازي ، وهو زبدةُ الخلاصةِ من تجارب عمره كله ، فقال رحمه الله في آخر مصنفاته « نهاية العقول » :

« نهايةُ إقدام العقولِ عِقالُ   وأكثرُ سعيِ العالمين ضلال

---

(١) النبوات ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

وأرواحنا في وحشة من جسومنا　　وحاصل دنيانا أذىً ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا　　سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي » ـ اهـ [١] .

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً . **ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن** . اقرأ في الاثبات (إليه يصعد الكلم الطيب) (الرحمن على العرش استوى) واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علماً) .

---

(١) النبوات ص ٥٢ ، و ١٠٨ ـ ١٠٩ و ١٤٧ و ٢٤٢ ، لكن ابن تيمية عزا أيضاً قول الرازي الى كتابه (أقسام اللذات) . انظر الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٣٢١ .

افتقار الإنسانية الى بعثة الرسل

تنبع حاجة الانسان إلى الرسل من طبيعته التي فطر عليها ، ذلك أن هذا الانسان مخلوق عظيم الشأن عجيب الأحوال . أودع الله فيـــه طاقات عظيمة ومواهب فذة ، امتاز بها على سائر الخلائق . لكن هـذه القدرات والمواهب ليست محددة الاتجـــاه نحو السلامة والحق ، بل تقبل مختلف الاتجاهات من أعلى درجات الحق والخير والطهر إلى أسفل سـافل الباطل والشر والفجور ، تتنازعها في ذلك شتى النزعات . ومن هنا يظهر بجلاء أن الانسان مفتقر إلى رسل من الله تنير له الطريق إلى الخير وتهديه السبيل إلى السلام ، وذلك من أوجه كثيرة نتقصى أهمها فيما يلي :

١) الهداية إلى الله :

فقد أثبتت أحداثُ العصور أن الانسان لا يستطيع أن ينفرد بادراك الاعتقاد الصحيح بالخالق جل شأنه . فقد مرت على النوع الانساني فترات بعد فيها عهده برسل الله تعـالى ورسالاته . فوقع بعض أفراده في شراك الوهم والتخريف فعبدوا مظاهر الطبيعة كالكواكب وغيرهـا ؛ أو عبدوا أصناماً لا تضر ولا تنفع ، تقربوا إليها رغبة ورهبة ، وقدموا إليها الهدايا والقرابين . واستذلهم بعض أدعيـاء الربوبية كالفراعنة وغـــيرهم (١) .

---

(١) والاغريق (اليونان) أمـة قديمة ذات حضارة تاريخية مرموقة ، يشيد بها كثيرون . ولكن تحضرها لم يعصمها من التردي في مهاوي الوثنية . فـكانت تتعبد ما لا يحصى من الآلهة . فالبطل منهم يعظم عندهم حتى يصير إلهاً يعبدونه وينصبون =

ولم تخـــل تلك الفترات من أناس قليلين تفكروا في ملكوت السموات والأرض ، فتيقظت فطرهم السليمة على دلائل الخالق المدبر ، ولكنهم تخلفوا عن تقديسه وتنزيهه عن مشابهة المخلوقات ؛ قصوراً منهم عن ادراك جميع صفاته الكمالية وأفعاله الحكيمة في خلقه . فكانت معرفتهم قليلة الجدوى قاصرة عن تحقيق الغرض الأسمى فيهم . لذا قضت حكمة البـاري تباركت أسماؤه أن يستنقذ الحيارى والضالين ، ويصون كرامة الانسان من أن ينحط عنها ، ويذل بالعبودية للعباد أو الجماد ، كما شاءت حكمته أيضاً

= له التماثيل . كما أن كل مظهر من مظاهر الطبيعة له عندهم إله ، حتى غدا حفظ أسماء هذه الالهة ووعي قصصها أمراً مرهقاً حقاً ، ولم تكن هذه الالهة التي يتعبد لها الاغريق آلهة نبيلة بل هي آلهة تتمتع بما هب ودب من المزايا والصفات . فهي تحقد وتكره وتغار . وبالاجمال لم يكن الاله في نظرهم اكثر من انسان كبير يتمتع بمزايا خارقة . ولهذه الالهة كما يعتقد الاغريق خصومات وسخافات . كما أن لها مآسي وحكماً .

وكان من أحب الآلهة إلى قلوب الاغريق (باخوس) او (ديو نيسيوس) اله الخمر والخصب والنماء وهو إله ظريف لا يطلب من عباده اكثر من أن يمعنوا في السكر ويستغرقوا في العربدة والرقص . وكان الاغريق يحتفلون له مرتين في كل عام مرة لمولده واخرى لوفاته .

فاذا كان الخصب ونضجت الكروم اقيمت الاحتفالات المرحة بعودة هذا الاله فكان الراقصون يقومون على مرتفع من الأرض على شكل جوقة كبيرة يعبرون فيها بالرقص عن فرحتهم به وتنطلق الاغاني المرحة ويحكي رئيس جوقة الراقصين للناس بعض الحكايات المرحة عن هذا الاله الطيب .

واذا كان الجفاف وذبل الكرم كان معنى ذلك موت هذا الاله فيجتمع الناس في احتفال مهيب حيث تتلى التراتيل وتقام الصلوات التي تعبر عن الاسى وتعزف الموسيقى الحزينة . (انظر المسرحية . دكتور عمر الدسوقي ص ٧ ـ ٨) .

أن يمن على التائهين في التعرف على ذاته ، فتكرم تعالى على هؤلاء وأولئك والبشر قاطبة بابتعاث رسله ؛ لتعريفهم بجلاله تعالى وكماله ووحدانيته وتفرده في خلقه . فالغرض الأساسي من بعثة الرسل منذ بزوغ الرسالة الالهية على لسان نوح عليه السلام هو الهداية إلى الله (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) (١) وعلى هذا تتابع جميع الرسل ، والآيات في ذلك جد كثيرة . ولا يخفى عليك أن الايمان بالله هو أساس الايمان بالنبوة ذاتها . فمن عرف الله حق معرفته تيسر له الايمان بالنبوة وإدراك الحكم الالهية في بعثة الرسل . فان الايمان بالله هو أساس كل شيء في الدين .

وتظل العقول والأفهام في درك القصور عن استطلاع ما وراء هذا الكون المادي المحسوس من عالم الغيب ، حتى تأتيها رسالة الله تدعوها الايمان بالملائكة والجن واليوم الآخر والجنة والنار والوقوف بين يدي العزيز الجبار ، لتناقش الحساب على ما اكتسبت من خير أو شر ، سراً أو علناً ؛ في ليل أو نهار .

٢) الهداية إلى أمر الآخرة :

ترى الانسان إذا بعُد عن الايمان بالله واليوم الآخر ، قد رانت على فؤاده الشهوات ، وطمست على قلبه المادة ، واتخذ الغي لنفسه سبيلاً، فاذا وردت عليه النصائح تكفه عن الظلم أنكر أن يتلقى على عمله أي حساب . (وقالوا : ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون) (٢) فجاءت الرسالات

---

(١) سورة الاعراف : ٥٩ وانظر فيها ٦٥ و ٧٢ و ٨٥ .
(٢) سورة الجاثية : ٢٤ .

الالهية تقيم الأدلة على اليوم الآخر . فالذي أوجد الانسان من عتمة العدم هو القادر على اعادة الحيـاة إليه بعد أن أماته (قل : الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه . ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(١).

والله سبحانه واهب الحياة متصف بالعدالة المطلقة والحـكمة التامة . فلابد أن يجعل يوماً للحساب يحشر الناس فيه بعد موتهم فيحاسب كلاً منهم على عمله في الدنيا . وينصب ميزان القسط وينتصف للمظلوم من الظالم. قال تعالى : (ونضع الموازينَ القسط ليوم القيامة فلا تُظلمُ نفسٌ شيئاً . وإنْ كانَ مثقالَ حبةٍ منْ خردلٍ أتينـا بها وكفى بنا حاسبين) (٢) . ولو هذا الحساب لمـا كان للحياة في الدنيا معنى مقبولاً ، إذْ تـكون حينئذ سبباً للظلم . وهذا لا يعقل أبداً ، وهو متناف مع حكمة الله وعدالته . لذلك تنزلت الرسالات الالهية تنبيء الناس أنه يوم كائن لا محالة . فالبشر إذن محتاجون إلى تعريفهم بهذا اليوم المحتوم ، ولمعرفتهم هذه فوائد جليلة يتحقق بها صلاح حياة الفرد والمجتمع ، لمـا في الايمان باليوم الآخر من حض الانسان على الاستقامة في سلوكه ؛ وحمله على التحلي بالأمانة والقيام بالمسئولية تجاه ربه وتجاه نفسه ومجتمعه ؛ وتنشيطه للاستزادة من طاعة الله والبر بالناس ؛ وتقويته على الصبر وتحمل الشدائد رغبـــة فيما عند الله من أجر جزيل ، كما يجعله رابط الجأش يقدم على الاستبسال والتضحية في سبيل دينه وأمته .

٣) تلبية الفطرة الانسانية بالدين الحق :

يشعر الانسان أنه مخلوق يعتريه الضعف والمرض والعجز والموت . وينظر فيما حوله فيتأملُ جمالَ الطبيعة وسحرها ، ويتفكر في أسرارها

---

(١) سورة الجاثية : ٢٦ . (٢) سورة الانبياء : ٤٧ .

وعجائبها ، ويرى العالم كله مسيراً بنظام ثابت دقيق ، فيحس في أعماق وجدانه ويدرك بفكره ادراكاً قطعياً مستنيراً أنه لا بد لهذا الكون من خالق عظيم أوجده فأبدعه ، ونظمه فأحسن تقويمه ، وسيَّره فضبط نظامه وائتلافه وتماسكه . فتنبثق من أعماق فؤاده وصميم فكره إرادة قوية تدعوه أن يدين للخالق ويذعن له ، وأن يناجيه ويستعين به في النوائب والملمات ، وأن يخبت له دائماً لشدة شعوره بفرط احتياجه إليه في السراء والضراء . إن الفطرة البشرية تحمل الوجدان الانساني والفكر والارادة على عبادة خالق الكون وهذا ما أجمله القرآن في قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(١) . وقال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »(٢) .

فالتدين اذن غريزة فطرية ونزعة إنسانية عالمية خالدة وفكرة بدهية راسخة ، تتحطم على سفوحها كافة المحاولات التى تبذل لطمس معالمها في أي نفس إنسانية قويمة ، إذا نبذت الخرافات والأوهام وتحررت من ربقة الهوى وسلطان الشهوات وعزفت عن الانسياق وراء العصبية الهوجاء . وستظل النزعة الدينية قوية منيعة ما دام الانسان انساناً فلا يمكن تبديل وجدانه مادام يحس في أعماقه روعة الكون وافتقاره إلى خالق مدبر ،

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) رواه البخاري ومسلم والطبراني في الكبير وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في السنن ، انظر الجامع الصغير ج ٥ ص ٣٣ ـ ٣٤ المكتبة التجارية القاهرة – طبعة أولى سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م .

كما يحس بحاجته هو - كمخلوق - إلى هـذا الخالق وبالحنين إلى مناجاته وعبادته العبادة اللائقة بجلاله وكماله ، ليؤديها خالصة له دون أن يقـــع فريسة لأحابيل الكهنة والادعياء والمشعبذين .

فما دام الانسان سليم الفطرة صافي النفس صحيح الفكر فان نزعة التدين ستلازمه ، لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها ، وهي وثيقة الصلة بانسانيته التي تميزه عن سائر الكائنات . فكان لا بد في نظر الحكمة الالهية من إسعاف الانسان بالدين الصحيح عقيدة وشريعة وعبادة ليسدو به فيحقق انسانيته .

٤) الهداية إلى المعاملات الصالحة :

ليس للبشر بالاعتقاد الصحيح وحده غناء واكتفاء ، فالانسان مدني اجتماعي بالطبع ، تقوم فيه غرائز ونزوات وميول ، تدفعه إلى تحصيل المـال بأي سبيل ؛ والوصول إلى الشهرة والسطوة والارواء الغرزي ما أتيحت له الفرص . ومصالح الناس تلتقي حيناً وتفترق أحياناً ، فلا تعجب من الانسان - وهو يتعرض لسلطان الشهوة والهـــوى ، وتعتريه آفات النسيان والغفلة والخطأ - أن يتيه في معرفة الخير من الشر والحق من الباطل ، يقارب الحق حينا ، ويتجافى عنه أحياناً كثيرة ؛ سعياً وراء المتعة واللذة والنشوة من كل سبيل . وهنا تتجلى حاجة البشرية الملحة إلى تنظيم مناسب محكم لمعاملاتها تترسم به الطريق السويّ ، وتفض به الخصومات والمنازعات ، وتدفع المظالم ، وتحفظ للناس حقوقهم لئلا يطغى بعضهم على بعض .

قال تعـالى : (ولـكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم

بالقسط وهم لا يظلمون) (١) (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (٢) .

٥) الهداية إلى الأخلاق القوية :

والانسان بما جبل عليه من غرائز وانطوى عليه من رغبات تحدوه إلى التمتع والتملك والتسلط .. أحوج ما يكون إلى وازع باطني يحفزه على التزام كريم الخصال والتحلي بحميد الأخلاق . فالايمان بالله تعالى وأخذ الوقوف الحتمي بين يديه في اليوم الآخر بالحسبان ؛ أقوى وازع يحمل الانسان على كبح جماح النفس ، ويعينه على الترقي إلى مستوى انساني رفيع . فمن أهم مزايا الانسان الأخلاق العالية ، وإنما يقوّم الانسان بها ، ولا تتفاضل الأمم مهما بلغت من الحضارة والرقي إلا بالأخلاق . وهي من أهم أسباب السعادة الفردية والاجتماعية ؛ ومن عوامل بقاء الأمم وخلودها .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولكن ما الأخلاق العالية الفاضلة !!؟؟ ذلك أمر تختلف فيه أنظار الناس ، فمنهم من امتطى صهوة المثالية حتى أبعد النجعة عن الواقع ، فجاء مذهبه في الأخلاق فردياً لا يجد سبيلاً إلى التطبيق الاجتماعي . وهذا شأن معظم الفلاسفة القدامى والمحدثين . ومنهم من زعم أنه تنزل في مذهبه الأخلاقي إلى الواقع الانساني ، في حين تراه أسف إلى حيوانية تنزى بنزوات دنيئة يأنف منها كرام النفوس .

فالانسان ـ والحال هذه ـ أحوج ما يكون إلى الخلاص من

---

(١) سورة يونس : ٤٧ .   (٢) سورة الحديد : ٢٥ .

مثالية خيالية ومن دناءة بهيمية إلى منهج عدل وسط يكفل له أخلاقاً سامية في واقع سعيد . وهذا الذي أتت به الشرائع الالهية . فقد استجمعت الفضائل والمثل العليا . وجمّلت المؤمنين بكرائم الصفات والخلال ، فوثقت بذلك روابطهم الاجتماعية ، ووفرت لهم الطمأنينة والسعادة في مجتمع أخوي متماسك مفعم بالحب والتآزر .

ومما يبين لك مكانة الأخلاق في الشرائع أن الله لما أراد الثناء على رسوله محمد ﷺ ؛ الذي بعثه قدوة للعالمين ؛ امتدحه بما تحلى به من خلق جميل فقال تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) [١] . وبين الرسول ﷺ غرضاً هاماً من أغراض بعثته فقال :

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [٢] .

٦) بيان العقوبات الزاجرة :

جاءت الرسائل الالهية بالتنفير من زخارف الدنيا ومتاعها المحرم وحذرت من الشر والفساد . ولكنها لم تكل الناس إلى وازعهم الباطني فحسب . فهناك من ضعاف النفوس من تستهويه الشهوات ، وتستذله المغريات والمفاسد ، فيقترف ما تسوّل له نفسه من مضار فردية أو اجتماعية . فالله سبحانه وتعالى الذي فطر النفوس هو أعلم بما يصلحها أو يردعها (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) [٣] فهو أعلم بالعقاب الزاجر المناسب لكل قبيحة

---

(١) سورة القلم : ٣ .

(٢) رواه البخاري في الادب والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب بلفظ (صالح الاخلاق) . أما بلفظ (مكارم) فرواية له . وهي مشهورة في زماننا . وذكر السيوطي انه حديث صحيح . (انظر الجامع الصغير وشرحه فيض القدير ج ٢ ص ٥٧٢ ـ الطبعة الاولى المكتبة التجارية الكبرى بمصر) .

(٣) سورة الملك : ١٤ .

يرتكبها الانسان في حق نفسه أو غيره . لذا فقد شرع الله من أنواع العقوبات ما يصون به الانسانَ ، ويحفظ عليه ضروريات وجوده الانساني من دين ونفس وعقل وعرض ومال .

والشريعةُ الالهية بما اشتملت عليه من معاملات وأخلاق وعقوبات؛ جاءت تبين للناس الحق من الباطل ؛ والخير من الشر ؛ والواجب والمباح فعله من المحرم المحظور ، لتجلو للافق البشري دائرة الطيب متميزة من الخبيث ، فيستبين للمرء ما ينبغي أن يفعل أو يترك ، وما يترتب على كل من ثواب أو عقاب . وبذلك يمكن للنفس الانسانية أن تصفو من كدر نوايا السوء وفاسد الأعمال . وتتوفر لها أسباب بناء المجتمع الأخوي القوي السليم . فالرسالة الالهية روح العالم ونوره وقوام حياته . وأي خير للعالم إذا عدمه ذلك كله ؟ وأنى له أن يصلح فساده المتأزم المتفاقم ؟ فالدنيا زاخرة بالشرور والآثام والفوضى والمظالم إلا ما سطعت عليه أنوار شمس الرسالة الالهية .

فالرسالة بعقيدتها وشريعتها سبب رغد العيش الدنيوي وهنائه ، وسبب سلوك صراط الهداية السويّ ؛ بمعرفة الله حق معرفته ؛ ونيل مرضاته بتنفيذ أمره . وهذا ما يكفلُ سعادة الآخرة إضافة إلى الحياة الدنيا . قال ابن تيمية رحمه الله : (فالرسالة ضرورية في صلاح العبد في معاشه ومعاده ، فكما أنه لا صلاح في آخرته إلا باتباع الرسالة ، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة . فالانسان مضطر إلى الشرع ، فانه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه ، وحركة يدفع بها ما يضره . والشرع كالنور الذي يبين ما ينفعه وما يضره ، فهو نور الله في أرضه ؛ وعدله بين عباده ؛ وحصنه الذي من دخله كان آمناً .

وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحس ، فان ذلك يحصل للحيوانات العجم فان الحمار والجمل يفرق ويميز بين الشعير والتراب ، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده ، والأفعال التي تنفعه في معاشه ومعاده كنفع الايمان والتوحيد والعدل والبر والصدق والاحسان والأمانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام وبر الوالدين والاحسان إلى الجيران وأداء الحقوق واخلاص العمل والتوكل على الله والاستعانة به ؛ والرضاء بمواقع أقداره؛ والتسليم لحكمه ؛ والتوكل عليه ؛ وتصديق رسله في كل ما أخبروا به وطاعتهم في كل ما أمروا به ؛ وغير ذلك مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته . وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته . ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش والمعاد. فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مننه عليهم أن أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم . ولو لا ذلك لكانوا بمنزلة الانعام وشراً حالاً منها . فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوء حالاً من الكلب والخنزير وأحقر من كل حقير) (١) .

٧) الحاجة إلى الداعية القدوة :

يحتاج الناس في تبليغهم رسالة الله إلى وسيلة طبيعية ، يألفها المزاج الانساني ويتجاوب معها . وهم أحوج ما يكونون أيضاً إلى **القدوة الصالحة**

---

(١) لوائح الانوار البهية المعروف باسم شرح عقيدة السفاريني ج ٢ ، ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠ للشيخ محمد بن أحمد السفاريني ــ مطبعة المنار بمصر الطبعة الاولى سنة ١٣٢٣ هـ .

التي يجالسونها ويعاينون فيها الصورة الواقعية للدين ، فيرون الفضائل مجسدة والرذائل مجتنبة .

فالحاجة إلى الرسالة حاجة إلى الرسول الداعية القدوة . لهذا اصطفى الله رسله عليهم السلام إلى خلقه بشراً من البشر ، وأدبهم بأدبه ، فسموا في انسانيتهم ، وترفعوا عن الأطماع والشهوات المحرمة . واستعلوا على الدنيا وزخرفها فاذا الدنيا عند أقدامهم تراب ، وتحلوا بأفضل الكمالات الخلقية بأعلى مستوياتها ، فكانوا في ذلك قدوة للناس يقتدون بهم ويحذون حذوهم خلقاً وعملاً (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) [١] ، فالانسان الذي تحفه الشهوات وتكتنفه متطلبات الغرائز وتجتاحه الأهواء ؛ أشبه ما يكون بالمريض ، فلا سبيل له للخلاص من المرض والسقم والفوز بالبرء والعافية إلا بالطبيب ، فان لم يأتمر بأمر الطبيب فيعزف عمـا تميل إليه نفسه من مغريات وتهواه من متع ولذات ألقى بنفسه إلى التهلكة ـ فحاجة العبد إلى الرسول والرسالة أمس من حاجته إلى الطبيب والدواء . فان أعظم ما يصيب المرء بالاعراض عن الطبيب وتعاطي الدواء موت الأبدان ، أما إذا لم يتلقف العبد نور الرسالة ويقتبس منه نعيم فؤاده وحيـاة قلبه تعاورته الأسقام والآفات التي لا برء منها ، ومات قلبه موتاً لاترجى معه حياة ، ونضبت فيه ينابيع السعادة ، وغشيته أمواج متلاطمة غامرة من التعاسة الدائمة والشقاء الابدي .

٨) تحقيق عدل الله وحكمته ورحمته :

والله سبحانه وتعالى هو الحاكم العدل يكافىء الطائع المحسن ويعاقب

---

(١) سورة الانعام : ٩٠ .

العاصي المسيء . فلو لم يرسل رسلاً وينزل شرائع توضح المحجة الناصعة والصراط المستقيم ، لتوهمت الامم أن لها بين يدي حسابه حجة سائغة ومعذرة مقبولة . قال تعالى : (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)[١] .

لذا أرسل الله بحكمته ورحمته وعدالته رسله من آدم إلى محمد عليهم السلام ، وأنزل عليهم رسالاته لتقوم على العباد الحجج والبينات ، وتنقطع سائر الأعذار والتعللات ، فقد أعذر من أنذر . قال تعالى : (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٢].

لذلك قضى الله وهو أحكم الحاكمين أن لا يعذب أمة لم يوجه اليها رسولاً (من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضلّ فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)[٣] .

والله سبحانه حكيم يضع الأمور في مواضعها . فهل من الحكمة أن يدع مخلوقاته العقلاء حيارى تائهين في صحارى الضلال . . !! ؟؟ إن الحكمة الالهية التامة لتقضى بارسال الهداة المرشدين ، وانزال الرسائل بالحق اصلاحاً لأحوال العباد ورعاية لهم . فلو خلوا وأنفسهم بما جبلت عليه من غرائز وميول لانحرفوا وتظالموا وشقوا في الدنيا والاخرة . فهل يتناسب هذا مع الرحمة الالهية المطلقة !!؟؟ إن رحمةَ الله وعنايته وانعامه لتقضى بارسالِ رسول ينقذ الناس من ظلام الكفر القاتم إلى نور الايمان الساطع الوضاء . **إنّ بعثة الرسل وانزال الشرائع منة من الله تعالى ورحمة على سبيل اللطف بالبشر والفضل عليهم ، وليس ذلك بواجب عليه أبداً .**

---

(١) سورة طه : ١٣٤ . (٢) سورة النساء : ١٦٥ .
(٣) سورة الاسراء : ١٥ .

قال ابن تيمية : (فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مننه عليهم أن أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم (١)) (٢) .

وجوب الايمان بالرسل

لقد جرت سنة الله في خلقه أن يبعث لهم رسولاً من أنفسهم ، يُعدهُ سبحانه وتعالى ويرعاه ليكون كفؤاً للتلقي عنه وأهلاً لتحمل أعباء الدعوة ومشاقها ، حتى إذا اكتمل نموه الجسدي والروحي والنفسي اصطفاه الله لرسالته دون غيره من الناس (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٣) ، (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النـاس إن الله سميع بصير) (٤) ، فالايمانُ بجميع الأنبياء والرسل واجب من لدن آدم أبي البشر عليه الصلاة والسلام إلى خاتمهم سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ . قال ابن تيمية : (فالحمد لله الذي أرسل الينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينـا

(١) لوائح الانوار : جـ ٢ ص ٢٥٠ .

(٢) ومعتقد أهل السنة أن بعثة الرسل ممكنة ، جائزة على الله سبحانه وتعالى ومضى بعض المعتزلة الى انها واجبة على الله ؛ بناء على أصل اتخذوه في مذهبهم ، هو قاعدة التحسين والتقبيح العقليين ، وعلى ما يتفرع عنه من اعتبار الغرض ووجوب الالطاف ووجوب رعاية الاصلح ، والاصل فاسد فما تفرع عنه فاسد أيضاً .

فارسال الرسل ــ عندنا ــ لمعاضدة العقل وتسديده أمر جائز في حقه تعالى . وانه وقع وحصل فهو واجب وقوعاً أو سمعاً .

انظر شرح المواقف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ جـ ٨ ص ٢٣٥ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م مطبعة السعادة بالقاهرة . وانظر لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية جـ ٢ ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨ .

(٣) سورة الانعام : ١٢٤ .   (٤) سورة الحج : ٧٥ .

ويعلمنا الكتاب والحكمة وان كنا من قبل لفي ضلال مبين ، ولا بقاءَ لأهلِ الأرض إلا ما دامت آثار الرسـالة موجودة فيهم . فاذا درست آثارُ الرسل من الأرض ، وانمحت معالم هداهم ، أخرب الله العـالم العلوي والسفلي وأقامَ القيامةَ ، وليستْ حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر ، ولا كحاجة الانسان إلى حيـاته ولا كحاجة العين إلى ضوئها والجسم إلى الطعام والشراب ، بل أعظم من ذلك وأشد من كل ما يقدر ويخطر بالبال . **فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في أمره ونهيه . وهم السفراء بينه وبين عباده وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد ﷺ وعليهم أجمعين يقول : « يا أيها الناس إنما أنا رحمـة مهداة » وقال تعالى في حقه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »)** [1] .

إن الايمـان بجميع الأنبياء والمرسلين واجب ، لا مندوحة عنه ، ولا نجاة بدونه . وأجمع العلماء على أن من كفر بواحد منهم معلوم النبوة قطعاً ، أو سبه أو انتقصه ، فقد كفر . قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنـا وإليك المصير) [2] .

---

(١) لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية (شرح عقيدة السفاريني) ج ٢ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

وقد أخرج الحديث ابن سعد في الطبقات مرسلاً والحاكم مرفوعاً وقال : على شرطهما ، وأقره الذهبي . انظر الجامع الصغير وشرحه فيض القدير ج ٢ ص ٥٧٢ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ .

ومن الضلال ؛ زعم بعضهم أن من آمن بالله واليوم الآخر كأهل الكتاب في زماننا وغيرهم دخل الجنة ؛ وان لم يؤمن بخاتم المرسلين محمد ﷺ . قال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا الكافرين عذاباً مهيناً) [١] .

ولا نعلم عدة الرسل على وجه الحصر يقينا . وما بلغنا في ذلك عن رسول الله ﷺ فانه من أخبار الآحاد ، وستقرأه عما قليل . وقد ذكر الله بعضهم في القرآن الكريم وأغفل ذكر بعض . قال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك . .) [٢] والذين قصهم الله علينا في القرآن خمسة وعشرون رسولاً . قال تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين) [٣] .

هؤلاء ثمانية عشر رسولاً . وهناك سبعة رسل ذكروا في آيات

---

(١) سورة النساء : ١٥٠ .

(٢) سورة غافر : ٧٨ وانظر سورة النساء ١٦٤ ؛ وانظر سورة لوائح الانوار البهية جـ ٢ ص ٢٤٧ ـ ٢٥٢ .

(٣) سورة الانعام : ٨٣ ـ ٨٦ .

أخر وهم : آدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذا الكفل ونبينا محمـــد صلى الله عليهم وسلم أجمعين إلى يوم الدين (١) .

---

(١) فقد ورد ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في (سورة آل عمران : ١٤٤) والاحزاب : ٤٠ ومحمد : ٢ والفتح : ١٢٩) وذا الكفل (في الانبياء : ٨٥ وص : ٤٨) وادريس (في مريم : ٥٦ والانبيـــاء : ٨٥) وشعيب (في الاعراف : ٨٥ و٩٠ و ٩٢ وهود : ٨٤ و ٩٤) والعنكبوت : ٣٦ وصالح (في الاعراف : ٧٧ وهود : ٦٢ والشعراء : ١٤٢) وهود في (٥٣ و ٦٠ و ٨٩ هود ، والشعراء ١٢٤) وآدم في (٣١ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧) البقرة ، ومواطن كثيرة غيرها .

النبي والرسول وبيان الفرق بينهما

لفظ (النبي) مأخوذ من الإنباء ، ومعناه الاعلام والاخبار . لكنه في عامة موارد استعماله أخص من مطلق الاخبار فهو يستعمل في الاخبار بالأمور الغائبة المختصة دون المشاهدة المشتركة . كما قال تعالى : (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وقال : (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) . وميز الراغب الأصفهاني النبأ من الخبر فقال : (النبأ ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسلام ، ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال : أنبأته بكذا كقولك : أخبرته بكذا ، ولتضمنه معنى العلم قيل : أنبأته كذا . كقولك أعلمته كذا ..) وأورد من الآيات ما يشهد لذلك .

وجمع النبي أنبياء . . وهو من النبأ وأصله الهمزة وقد قرىء بها وهي قراءة نافع ، يقرأ النبيء ، لكن لما كثر استعماله لينت همزته كما فعل مثل ذلك في الذرية وفي البرية . وقد قيل هو من النَّبْوة « بفتح النون المشددة وسكون الباء » وهي العلو ، فمعنى النبي : المعلى الرفيع المنزلة . قال الراغب : (فالنبي بغير الهمز أبلغ من النبيء بالهمز ، لأنه ليس كل منبيء رفيع القدر والمحل) والتحقيق أن رفعة المكانة تلزم النبيء بالهمز ، فمن أنبأه الله وجعله مُنْبِئا عنه فلا يكون إلا رفيع القدر علياً .

وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة ، إذ يوصف بهذا من ليس بنبي بل يوصف بأنه الأعلى كما قال : (ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون).

قال ابن تيمية رحمه الله : (وقراءة الهمز قاطعة بأنه مهموز . وما روى عن النبي ﷺ أنه قال : (أنا نبي الله وليست بنبيء الله) فما رأيت له اسناداً ، لا مسنداً ولا مرسلاً ، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث ولا السير المعروفة . ومثل هذا لا يعتمد عليه) .

وبين رحمه الله أننا إذا اعتبرنا النبي مهموز الأصل فان الهمزة يمكن أن تلين ، فذلك جائز فتصير حرفاً معتلاً ، فيعبر عنه باللفظين فترد اليه القراءتان ، بخلاف المعتل فانه لا يجعل همزة . فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الانباء لا من النَّبْوة [1] .

ولفظا « النبي والرسول » إنما يضافان إلى الله تعالى فيقال : (رسول الله ونبي الله) وبذلك جاء القرآن الكريم [2] . و (النبي) على وزن فعيل ، يحتمل أن يكون اسم فاعل أو اسم مفعول . ذهب الجوهري إلى أن (النبيء) المخبر عن الله عز وجل لأنه أنبأ عنه ، وأنه قراءة مكية ، وأنه فعيل بمعنى فاعل . وقال ابن بري : صوابه أن يقول : فعيل بمعنى مُفْعِل ، مثل نذير بمعنى منذر وأليم بمعنى مؤلم . وذكر سيبويه : أن العرب تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخابية ، إلا أهل مكة فانهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك .

---

(١) النبوات ص ٣٢٢ ـ ٢٢٣ وانظر القاموس المحيط ولسان العرب في (نبأ) و(نبا) وانظر المفردات في غريب القرآن ، والآيات على الترتيب : آل عمران ٤٩ والتحريم ٣ وآل عمران ١٣٩ .

(٢) سورة البقرة : ٩١ ، والاحزاب :٤٠ .

ومال الألوسي إلى اعتبار النبي اسم فاعل من أنبأ فهو ينبيء الناس عن الله . ورجح ابن تيمية كونه اسم مفعول أي مُنْبَأُ الله . فمعنى النبي – عنده – الذي نبأه الله سواء أنبأ بذلك غيره أم لم ينبئه . وأما الرسول فهو بمعنى مفعول فهو الذي أرسله الله إلى الناس (١) .

وقد اختلف العلماء في الفرق بين الأنبياء والرسل على قولين رئيسيين :

أحدهما : انه لا فرق ، فالنبي رسول ، والرسول نبي . إذ الرسولُ مأخوذ من تحمل الرسالة والنبي مأخوذ من النبأ . ولعل أصحابَ هذا الرأي نظروا اليها من جهة اللغة فحسب ، فعدوا الرسول اسم مفعول والنبي اسم فاعل ، فلم يجدوا فرقاً فسووا بينهما .

ثانيهما : أنهما مختلفان ، فان اختلاف الاسماء يدل على اختلاف المسميات ، وهو الراجح – في نظرنا – ويدل له قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أُمنيته) (٢) فان عطف نبي على رسول يدل على المغايرة بينهما . كما يدل على التغاير بينهما أيضاً ما روى أنه ﷺ « سئل عن الأنبياء فقال : مائة ألف

(١) روح المعاني : ٩ : ٦٩ والنبوات : ١٦٦ – ١٦٧ .

(٢) سورة الحج : ٥٢ . ومعنى الآية : وما أرسلنا من قبلك رسولاً ولا نبياً فقرأ شيئاً من آيات الله على قومه إلا ألقى الشيطان على أتباعه الشبه فيما يقرؤه ليجادلوه بالباطل . ويطلق التمني على القراءة ، وهو نهاية التقدير ، فان التالي يقدر الحروف ويتصورها فيذكرها شيئاً فشيئاً . لكن الله يوفق النبي لابطال تلك الشبه (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) . (روح المعاني ج ١٧ ص ١٥٦ – ١٥٧) .

وأربعة وعشرون الفاً قيل : فكم الرسلُ منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً » (١) .

وقد انصرف أصحاب هذا الرأي في تحديد الفرق بين النبي والرسول إلى أقوال :

الأول ـ أن الرسول من بعثه الله تعالى بشرع جديد يدعو الناس إليه والنبي يعمه ومن بعثه الله لتقرير شرع سابق كأنبيـاء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام . واعتمد الجـاحظ وابن تيمية وغيرهما هذا الرأي .

وشبه ابن تيمية الأنبيـاء بالعلماء في دعوتهم إلى شريعة الرسول . إلا أنه قد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في مسألة معينة . وكذلك كان أنبياء بني إسرائيل كالعالم في شرع التوراة ، وكان يلقى إلى أحدهم فهم خاص في قضية ما ، كما فهم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو وداود عليهما السلام .

لكن ابن تيميه قد ناقض كلامه هذا في نفس الموضع إذْ زعم أن الرسول قد يبعثه الله بدون شرع جديد ؛ فقال : « وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فان يوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة » (٢) .

---

(١) رواه أحمد وابن راهويه في مسنديهما من حديث أبي أمامة ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث أبي ذر . وزعم ابن الجوزي أنه موضوع وليس كذلك . وانما قيل ان في سنده ضعفاً قد جبر بالمتابعة . (انظر روح المعاني ج ١٧ ص ١٥٦) .

(٢) النبوات ص ١٧٢ ـ ١٧٣ وانظر فيه ايضاً ص ١٦٦ .

وقـــد عرف ابن تيمية النبي هنا بأنه يعم من له شريعة جديدة ومن دعا إلى شرع سابق . ثم اضاف أن الله ينبئه بأمره وأن النبي ينبئ المؤمنين بأمر الله فاذا أرسل إلى الكفار كان رسولاً .

وهكذا تراه مضطرباً في تحديد الفرق بين النبي والرسول فقـــد جعل ـ أولاً ـ الرسول صاحب شريعة جديدة والنبي صاحب شريعة قديمة أو جديدة ، ثم اعتبر الرسول رسولاً ولو لم يأت بشريعة جديدة .

وحدد في الجولة الثانية الفرق بينهما بحسب المرسل اليهم ، فمن ارسل إلى الكفار كان رسولاً ، ومن أرسل إلى المؤمنين كان نبياً . **والحق أنه اضطرب كثيراً ، ولسنا في موطن يحتمل سرد اضطرابه كله ويكفينا أن نقرر أنه لم يثبت في تحديد الفرق بينهما على شيء .**

الثاني ـ أن الرسول من بعثه الله إلى قوم بشرع جديد بالنسبة اليهم وان لم يكن جديداً في نفسه كاسماعيل عليه السلام إذ بعث إلى جرهم . والنبي يعمه ومن بُعث بشرع غير جديد كذلك .

الثالث ـ ان الرسول من له تبليغ في الجملة وان كان بياناً وتفصيلاً لشرع سابق . والنبي من أوحى اليه ولم يؤمر بتبليغ أصلاً ، وإليـــه ذهب قطرب .

الرابع ـ الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه ، والنبي من لا كتاب له .

الخامس ـ الرسول من له كتاب أو نسخ في الجملة ، والنبي من لا كتاب له ولا نسخ .

السادس ـ أن الرسول من يأتيه الملك بالوحي يقظة والنبي من

يأتيه الوحي ولو مناماً . وهذا يقضي أن بعض الأنبياء لم يوح اليه إلا مناماً فحسب ، وهو بعيد ولا دليل عليه (١) .

وذهب جماهير العلماء إلى أن الرسول من اوحي إليه وامر بتبليغ الأحكام وان النبي اعم منه ، فيشمل كل من اوحى اليه سـواء امر بالتبليغ ام لم يؤمر (٢) .

فأنت ترى أن النبي والرسول يشتركان في تلقي الوحي الالهي . لكن لا يشترط في النبي أن يؤمر بالتبليغ فالنسبة بينها العموم والخصوص المطـلق .

والتعريف المذكور لم يراع حد التعريف وهو كونه جامعاً مانعاً . فاذا نظرنا إلى ركن النبوة « الوحي » وبرهانها « المعجز » وشرائطها لدى جمهور العلماء « البشرية والحرية والذكورة وكمال العقل والتحلي بالفضائل والعصمة من الرذائل » (٣) ساغ لنا أن ننشىء هذا التعريف : (الرسول

---

(١) روح المعاني جـ ١٧ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ . واعلام النبوة لابي الحسن علي ابن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ص ٢٦ المطبعة البهية سنة ١٣١٩ هـ بالقاهرة والمسايرة شرح المسامرة ـ الكمال بن الهمام ص ١٩٧ ـ ١٩٨ المطبعة الأميرية ببولاق .

(٢) روح المعاني جـ ١٧ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني جـ ١ ص ٥٤ مطبعة كردستان بمصر بسنة ١٣٢٩ هـ . وحاشـية عبد الحكيم السيالكوتي على حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية ص ١٧٠ وحاشية ابراهيم البيجوري « تحفة المريد على جوهرة التوحيد » ص ٧٧ طبعة ثانية بالازهرية بمصر سنة ١٣٤٢ هـ و ١٩٢٤ م .

(٣) المسامرة للكمال بن أبي شريف شرح المسايرة للكمال بن الهمام ص ١٩٧ ـ ١٩٨ المطبعة الاميرية سنة ١٣١٧ هـ . ولوائح الانوار البهية جـ ٢ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥ . وشرح جوهرة التوحيد ـ عبد السلام بن ابراهيم اللقاني ص ١٧٩ ـ ١٨١ .

رجل حر كامل العقل اصطفاه الله من ذوي الخُلق القويم فأوحى إليه وأيده بمعجز وأمره بتبليغ شرع) .

ويصدق هذا التعريف على النبي على أن نقول فيه « سواء أمره بتبليغ شرع أم لم يأمره » .

وهذا التفريق هو الحق في رأينا . وهو أسلم الأقوال وأبعدها عن الاعتراضات التي ترد على غيره . وإنما اكتفيت في هذا الموضوع بهذا القدر لأنه ليس من صلب الرسالة .

تشريف محمد ﷺ بالنبوة والرسالة :

ومهما يكن الفرق بين النبي والرسول فان الله تعالى قد منَّ على محمد ﷺ بالنبوة وخاطبه بها ، فقال جل شأنه : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً) (١) وقال : (يا أيها النبي قل لأزواجك) (٢) وأنعم عليه سبحانه بالرسالة وخاطبه بها بقوله : (يا أيها الرسول بلغ ما أُنزلَ إليك من ربك) (٣) وقوله : (وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً) (٤) وأشار سبحانه إلى تشريفه بالمنزلتين معاً فقال : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٥) وقال : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) (٦) .

---

(١) سورة الاحزاب : ٤٥ . (٢) سورة الاحزاب : ٥٩ وانظر فيها ٥٣ و ٥٥ وفي الحجرات : ٢ وغيرها في القرآن كثير .

(٣) سورة المائدة : ٦٧ . (٤) سورة النساء : ٧٩ وانظر البقرة ١٤٣ و ١٨٥ . وآل عمران : ١٣٢ و ١٤٤ . والنساء : ٥٩ . والمائدة : ٤١ و ٧٥ . وغيرها كثير .

(٥) سورة الاحزاب : ٤٠ . (٦) سورة الاعراف : ١٥٧ .

لقد نبأ الله محمـــداً ﷺ بوحيه وأرسله تعالى إلى الناس ليبلغهم رسالة ربهم ، فتعتبر الاضـافة في كل من الرسول والنبي إلى الله تعـالى ، فهو نبي الله وهو رسول الله ، غير أنه قدم في الآية الرسول على النبي لمزيد شرفه .

وستجدُ في الابحاثِ القادمة أن محمداً ﷺ أهل النبوة والرسالة ، وأن في خصاله ما يدل على نبوته ، وأنه قد حظى بالوحي الالهي ركن النبوة والرسالة. **على أن اثبات صدقه في نبوته يوجب التسليم برسالته والعمل بكل ماجاء به صلى الله عليه وآله وسلم .**

الباب الأول

تعريف القرآن بسيدنا محمد ﷺ

الفصل الأول : نشأته وبعثته في القرآن

الفصل الثاني : أوصاف محمد ﷺ في القرآن

الفصل الثالث : أخلاقه ﷺ ودلالتها على نبوته .

الفصل الأول

نشأته وبعثته في القرآن

نشأته الطاهرة :

أَلِفَ الانسان أن يشهد في حياته صوراً متنوعة من الفقر والفاقة والبؤس والحرمان . ولعلكَ لا تجد يتيماً بمنأى عن واحدة من تلك المآسي الاجتماعية المتعددة . فأما أن يعيش فقيراً مُعدَماً لفقدِ المالِ والمعيل ، فيحيي حياة مليئة بالآلام ، وقد تتناوشه أمراض وعقد نفسية تحمله على الانطواء على نفسه والعزلة عن الناس والنقمة على المجتمع . وإما أن تنزلق قدماه إلى شراك المفاسد والجرائم فيعيث في الأرض فساداً ، ويعيش في مستنقعات الشقاء ، سيما إذا كان في مجتمع غارق بالمفاسد والجهالات الاعتقادية والعملية لم يتنسم شذا العلم والمدنية ؛ كالمجتمع الجاهلي الذي نشأ فيه محمد ﷺ . فقد ولد يتيم الأب ، وعندما بلغ السادسة من العمر اجتمع إليه يتم الأبوين معاً . ثم مات جده عبد المطلب في الثامنة ، وكفله عمه أبو طالب . لقد نشأ ﷺ يتيماً ، وشب متخففاً من متاع الدنيا وزينتها ، وأمضى الأربعين سنة من عمره مع عرب الجاهلية الأُميين . لم يتصل بالعمل ولا بأهله . ولم يفد إلى الجزيرة في تلك المدة عالم ينتفع الناس من علمه . فظل محمد غافلاً عن الرسائل الالهية ومعارفها .

إن سيرته الطيبة وسلامته من آفات اليتم ثم من آثار الفقر والبيئة المنحطة آية كبري على أنه كان محفوفاً بعناية الهية خاصة فلقد حفظ الله عليه فطرته سليمة نقية فلم يسجد لصنم قط . وإنما دله عقله على وجود الله فناجاه وأخبت له ، تلك هي النشأة المحمدية المعجزة .

أوحى الله إليه في الأربعين من عمره ، وابتعثه للعالمين بشيراً ونذيراً بعد حرمان طال أمده في كل الأمم من رسول يهديهم سواء السبيل . ثم لم يلبث أن تنزل عليه الوحي تباعاً مؤكداً صلة الله رب العالمين بعبده الرسول محمد ﷺ واستمرار بره ورعايته . وقد عرّفنا القرآن الكريم بذلك ، وأزال توهم المشركين في هجر الله نبيه ﷺ [1] . وقرر من حقائق نشأته ما كشف أنه موضع عناية ربانية خاصة . قال تعالى :

(والضحى والليلِ إذا سجى ، ما ودّعك ربكَ وما قلى ،

---

(١) روي البخاري عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال : (اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت ؛ يا محمد اني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين او ثلاثاً فأنزل الله عز وجل ؛ والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) . ـ كتاب التفسير ـ

وأشار الطبري في رواية ان المرأة هي امرأة أبي لهب . واورد من وجه آخر لفظ (حتى قال المشركون) ولا مخالفة ، لانهم قد يطلقون لفظ الجمع ويكون القائل او الفاعل واحداً ، ويعنون بذلك ان الباقين راضون بما وقع من ذلك الواحد .

وقال ابن حجر (والحق ان الفترة المذكورة في سبب نزول الضحى غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي ، فان تلك دامت اياماً وهذه لم تكن إلا ليلتين او ثلاثاً . فاختلطتا على بعض الرواة . وتحرير الامر في ذلك ما بينته) . فتح الباري ج ٨ ص ٥٠٢ .

والآخرةُ خيرٌ لكَ من الأُولى ، ولسوفَ يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدْك يتيماً فآوى ووجدَكَ ضالاً فهدى . ووجدكَ عائلاً فأغنى . فأما اليتيمَ فلا تقهرْ ، وأما السائلَ فلا تنهرْ ، وأما بنعمةِ ربك فحدِّثْ) (١) .

صحيح أن محمداً لم يربِّه مرب تربية توصل إلى ذاك المستوى الرفيع الذي اشتهر به في قومه ، وأنه لم يعطف عليه والد ، ولم يعلمه عالم ، فان الله رب المربين والعلماء قد تولى عبده ورعاه وأعده للمهمة العظمى وامتن عليه بما صَيَّره إليه بعد أن كان فيما كان . .

ويخاطب الله نبيه : قد كنت يتيماً فانتشلتك يد العناية الالهية من براثن الضياع ، وحمتك من عواصف التعاسة والشقاء التي أكثر ما تعصف باليتامى والفقراء ، وكنت خالياً من الشريعة (ما كنتَ تدري ما الكتاب ولا الايمان)(٢) . فأنزلها إليك فهداك ولم ترث من أبيك ثروة ، ولم تكتسب أموالاً كثيرة فأعطاك الله ما يكفيك فأغناك ، وأورث قلبك رضى واطمئناناً بما

(١) سجى : غطى بظلامه كل شيء ، او سكن اهله . ودعك : تركك قلى : أبغض . عائلا : فقيراً ، من عال : افتقر . فلا تقهر : لا تحتقر اليتيم ، أو لا تذهب بحقه كما يفعل الجاهليون نظراً لضعفه . تنهر : تزجر وتغلظ القول . ستجد تمام تفسير السورة عند الحديث عن : رعايته الايتام والارامل والفقراء ؛ في الفصل الثالث .

(انظر حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٥٤١ وما بعدها ـ طبع عيسى البابي الحلبي ـ بمصر . وتفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٢ وما بعدها ـ طبع عيسى البابي الحلبي ـ مصر) .

(٢) سورة الشورى : ٥٢ .

لديك ، فاستغنت نفسك عما في أيدي الناس [١] . وليس الغنى عن كثرة المال والمتاع ولكن الغنى غنى النفس .

قال القاضي عبد الجبار في قوله تعالى : (ألم يجدك يتيماً فآوى) . « فتأمل في هـذا فانه ﷺ ما عرف العز بالأبوين كما يعرف من رباه أبواه ، فان أباه مات وهو حمل ، وماتت أمه وهو رضيع ، فآواه الله أكرم ايواء . فلما كمل آتاه النبوة وعصمه وصانه وأخبره أن الآخرة خير له من الأولى ، فان آخر أمره في عاجل الدنيا في النصرة والعز ، وثواب الآخرة خير من الأولى (ووجدك ضالاً فهدى) **أي ذاهباً عن النبوة لا تدري ما هي ولا تعرف القرآن** » [٢] .

ومن أعجب العجب أن تجد واحداً ممن قنصوا بعض المراكز العلمية الاسلامية على حين غرة من علماء الاسلام المخلصين ، يتشدق زاعماً أن سيدنا محمد ﷺ كان ضالاً كضلال الجاهليين ، تحيزاً منه للعصبية الجاهلية ، التي نبذها الاسلام . وقد جهل أن الرسول لم يسجد قط لصنم كما جهل تفسير الآية ـ الذي نوهنا به ـ وأن أحداً من المفسرين لم يتورط في تلك الجهالة العمياء والغباوة الصماء [٣] ! !

وليس أشفى للعليل وأروى للغليل ـ في هذا المقام ـ من مطالعة قبس من تفسير الشيخ محمد عبده لهذه الآية الكريمة : (ووجدك ضالاً فهدى

---

(١) انظر تفسير الآية في حاشية الجمل على الجلالين جـ ٤ ص ٥٤٨ وما بعدها .

(٢) تثبيت دلائل النبوة ـ للقاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ ص ٨٥ نشر دار العربية ـ بيروت . أقول : والمشهور في كتب السيرة أن أمه صلى الله عليه وسلم ماتت في السادسة من عمره .

حيث يقول : « نشأ محمد ﷺ موحداً لم يسجد لصنم ، وطاهر الخلق لم يقترف فاحشة حتى عرف بين قومه بالأمين . فضلال الشرك وضلال الهوى في العمل كانا بعيدين عن ذاته الكريمة ، يرهبان الدنو من نفسه القوية نزهه الله عنهما من أول أمره ليعلي منزلته عند من يرسل اليهم ، فيسمعوا قوله ويهتدوا بهديه .

« ولكن للضلال أنواع آخر : منها اشتباه المآخذ على النفس حتى تأخذها الحيرة فيما ينبغي أن تختار . **وأعظم أنواع الضلال كانت الحيرة في أمر العرب أنفسهم ، يراهم ﷺ في سخافة عقائدهم وضعف بصائرهم باستيلاء الأوهام عليهم ؛ وفساد أعمالهم وشؤم تلك الأعمال في أحوالهم؛** وتفرق كلمتهم ؛ وتفانيهم بتسافك الدماء ؛ واشرافهم على الهلاك باستعباد الغرباء لهم وتحكم الأجانب فيهم ـ الحبشة ثم الفرس من جانب والرومان من جانب آخر ـ ثم هم في غفلة عن مصيرهم يفرون من الذل ويمدون أيديهم إلى أسبابه ، ويفرون من الموت وهم يتدافعون على أبوابه .

« فما العمل في تقويم عقائدهم وتخليصهم من تحكم عاداتهم فيهم ؟ وأي طريق ينبغي أن تسلك في ايقاظهم من سباتهم ؟ ومن اي الابواب يمكن ان يدخل الى قلوبهم ؟ وما اشدها حيرة على الصديقين وما اعظمها ظلمة تغشى السالكين من اهل الصدق واليقين الى ان يكشفها الله بالنور المبين . وهي حيرة لم يكمل الحظ من شرفها الا للنبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

« فهذا هو الذي عناه الله بالضلال في هـــذه الآية الكريمة . وما أعظم الهداية في ذلك الضــلال ، وما أجدره بالكمل من الرجال وبعد هذا وهذا ؛ من اهتدى إلى الله وعرف أنه خالق الخلق كلهم ؛ وأنه وحده المستحق للعبادة دون أحد منهم . هل يدري بنفسه بغير وحي

الهي كيف يعبده ؟ وبأي وصف يصفه ويمجده ؟ والناس من حوله قد شبهوه بخلقه ، وقاسوه على ما يعرفون من صنعه . أفلا يحار الموحد كيف يصف ربه وبأي الوسائل يطلب قربه ؟

« كل هذه الضروب من الحيرة كانت من حظه عليه السلام قبل ان تطلع عليه شمس النبوة ، وللخلاص منها كان يطلب الخلوة بغار حراء ، ويتلمس هداية ربه في جوانب قلبه إلى أن سطع عليه نور الوحي فانتشله من هذا كله ، واختار له ديناً قويماً وعلمه كيف يرشد قومه وسن له الطريق في تخليصهم وتخليص العالم مما كان فيه من فساد العقل وسوء العمل ، وهداه إلى وصف ذاته بما يليق بذاته وأي نعمة أكبر وأجل من هذه النعمة ؟ .

« هذا هو معنى قوله (ووجدك ضالاً فهدى) . وهو معنى قوله في سورة الشورى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكنْ جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور) [١] .

« وليس في وصف النبي ﷺ بالضال على هذا المعنى شين له او حط من شأنه ، بل هذا هو فخره عليه السلام واكليل مجده : لم يكن عالماً فعلمه الله ولم يكن مطلعاً الى الغيب فأطلعه الله » [٢] .

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) تفسير جزء عم ـ محمد عبده ـ ص ٨٤ ـ ٨٥ مطابع الشعب بمصر وانظر رسالة التوحيد له ص ١٣٦ الطبعة الرابعة عشر في دار المنار سنة ١٣٧١ .

بعثته صلى الله عليه وسلم :

حفظ الله محمداً ﷺ من ضلال الجاهلية وغوايتها ووجه قلبه إليه فأخذ يناجيه ويعبده وحده لا شريك له . ثم جعل يعتزل الناس في غار حراء الأيام والليالي يعكف فيها على عبادة الله حتى بعث الله إليه جبريل ملك الوحي فكان أول ما أوحى إليه ربه : (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم) (١) .

وظل رسول الله ﷺ مستخفياً بدعوته حتى أمره الله أن يواجه المشركين بها وأن يجهر بها بين ظهرانيهم . فقال تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرضْ عن المشركين) (٢) .

وقد أمره أن يبلغ الدعوة أول من يبلغ أهلَه وقومه . فقال تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (٣) .

روى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى : (يا صباحاه) فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : (يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟) قالوا : نعم ، قال : (فاني نذير لكم بين

---

(١) سيمر الحديث بتمامه في الفصل الاول من الكتاب الثاني .

(٢) سورة الحجر : ٩٤ . اصدع : اجهر . وانظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٩ .

(٣) سورة الشعراء : ٢١٤ ـ ٢١٥ .

يدي عذاب شديد)، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب)[١] .

دأب رسول الله ﷺ على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة خاطبه ربه جل شأنه مبيناً بقوله : (فذكّر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر)[٢] إن الله بعثك إلى الناس مذكراً هادياً لتبث فيهم أنوار دينه الحق فتجذبهم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والهدى ، وتنقذهم من حميم الجحيم حيث يخلد أهل الضلال والانحراف إلى مراتب النعيم حيث يسعدون في الجنة مع المقربين والصديقين والشهداء والصالحين . فأنت الرحمة الالهية الوافرة للناس جميعاً .(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[٣] .

وقال رسول الله ﷺ : (إنما أنا رحمة مهداة)[٤] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وانظر تفسير الآية في ابن كثير ج ٣ ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٢) سورة الغاشية : ٢١ - ٢٤ وقال تعالى : (نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) سورة ق : ٤٥ وانظر شرح الشفاء ـ ملا علي القاري ج ١ ص ٤٢ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ١٢٤ ، وحاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٣) سورة الانبياء : ١٠٧ وانظر الجمل على الجلالين ج ٣ ص ١٤٩ .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات مرسلا والحاكم مرفوعا وقال : على شرطهما ، وأقره الذهبي . انظر الجامع الصغير وشرحه فيض القدير ج ٢ ص ٥٧٢ .

الفصل الثاني

أوصاف سيدنا محمد ﷺ في القرآن

- رسول أمي مبشر به .
- بشرية الرسل جميعاً .
- بشرية نبينا محمد ﷺ .
- افتراضات تعلل بها المشركون لعدم ايمانهم .
- بشرية عيسى عليه السلام .

رسول أمي مبشر به

أسبغ الله على محمد ﷺ أوصافاً كمالية بهية ، هي المستوى الاسمى الذي تطمح إليه الانسانية ، وقد تحقق محمد بهذه الأوصاف تحققاً مثالياً لا يضاهى ، حتى غدت أوصافه كافية للتعريف به وتأكيد صدقه فيما يبلغ عن ربه عز وجل . وقد أشاد الله بهذه الصفات في كتابه الكريم ونوه بها مبشراً بمقدمه في التوراة والانجيل ، قال تعالى : (الذين يتبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراةِ والانجيلِ يأمرهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكر ويُحِلُّ لهمُ الطيباتِ ويُحرمُ عليهمُ الخبائثَ ويضعُ عنهم إصْرَهم والأغلالَ التى كانتْ عليهم ، فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النورَ الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون) (١).

إن المتقين الصادقين ليحذون حذو الرجل الذي تلقى الفيض عن الذات الالهية ، وقام بتبليغ الرسالة الموكول إليه تأديتها . وهم يتعرفون إليه بأوصافه :

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ . والإصر : الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله . وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته . وكذلك الأغلال ، ومفردها : غل ، وهو الحديدة التى تجمع يد الاسير إلى عنقه ، وعزروه : عظموه ووقروه . والنور : القرآن الذي أنزل مع نبوته .

(انظر تفسير ابن كثير : ٢ : ٢٥٤ والكشاف للزمخشري ٢ : ١٣٠ المكتبة التجارية طبعة ثانية . وصفوة البيان ، لمعاني القرآن . حسنين مخلوف : ١ : ٢٨٣ طبع دار الكتاب العربي بمصر) .

فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، بشر الله ببعثته في توراة موسى وانجيل عيسى عليهما الصلاة والسلام مبيناً فيهما اسمــه ونعته ، يقوم فيهم بتنفيذ شرع الله ، فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، يحل لهم طيبات حرمت عليهم في شرعهم فأحلهـا الله في شريعته ، ويحرم عليهم خبائث حظر الله تناولها في شريعته دون شرعهم . فوسع الله ويسر ببعثته ما كان عليهم ضيقاً حرجاً ، وساعدهم على رغد العيش ورحب الحياة . وسيأتيهم هذا الرسول ؛ تجاه ما تشددوا فيه فشدد الله أحكامه عليهم ؛ بالفرج القريب والمخرج السهل . فان شريعته ستحل عنهم وثاق الأحكام التي قيدوا بهـا عقوبة لهم على تشددهم المستمر ، فلا حاجة فيها لقتل التائب ، ولا داعي لقطع الأعضاء الخاطئة ، وقرض موضع النجاسة من الثوب ، وستبيح لهم أخذ الدية والعمل يوم السبت وما إلى ذلك ...

كل هذه الصفات من كونه رسولاً ، أمياً مبشراً به في الكتب السماوية السابقة مأموراً بتبليغ شريعة الهية للناس ، تقدم بين يدي الفكر صورة لرجل من الناس بشر كسائر البشر غير أنه حظي بمنة الرســالة الالهية . ولا بد لنا من التوسع في دراسة أميته ﷺ ودلالتها وسنحقق ذلك فيما بعد إن شاء الله تعـالى . ويتحتم علينا قبل دراسة بشريته عليه الصلاة والسلام أن نستطلع سنة الله في اصطفاء الرسل جميعاً ؟

بشرية الرسل جميعاً

وهل يكون الرسول بشراً ...؟؟

سؤال دار على ألسنة جميـع المكذبين وأعداء الرسل على التعاقب أمة بعد أمة من عهد نوح إلى محمـد عليه الصلاة والسلام . سؤال عام

كهذا يعبر عن منهج مشترك بين دعائم الضلال منذ انبثق أول شعاع الهي، يشق مساراً قوياً عبر ظلام الكفر الكثيف على لسان نوح عليه السلام (فقال الملأُ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلَنا . .) (١) وبنفس المنطق كذبت ثمود نبيها صالحاً عليه السلام وانطلق أصحاب الأيكة قوم سيدنا شعيب يكذبونه بنفس التهمة (٢) . وقد أثار فرعون وقومه نفس الشبهة على موسى وهارون عليهما السلام : (فقالوا أنؤمنُ لبشرين مثلنا)(٣). وتعاقبت الأقوام تكذب رسلها بحجة أنهم بشر منهم يعيشون مثلهم (. . ما هذا إلا بشراً مثلُكم يأكلُ مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشراً مثلَكم إنكم إذاً لخاسرون) (٤) .

فمن أهم الأسباب التي تذرع بها أعداء الرسل عامة في تكذيبهم أنهم بشر مثلهم فكيف يتنزل عليهم الذكر من بينهم خاصة (٥) . وكان جواب الرسل دائماً في غاية التأكيد والاثبات لبشريتهم . وأن ما أتوا به قومهم ليس إلا منة الهية تنالهم خاصة . انطلق هذا الجواب من نوح عليه السلام وتتابع عليه الرسل صلوات الله عليهم (ولا أقولُ لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكم إني مَلَك . .) (٦) ، وهكذا نفى نوح عليه السلام عن نفسه أي صفة تخرجه من دائرة البشرية؛ مؤكداً أنه كغيره من حيث الخلقة والقدرة . وعلى هذا المنوال سار اخوانه

(١) سورة هود : ٢٧ ــ وانظر سورة المؤمنين : ٢٣ .
(٢) انظر سورة الشعراء : ١٥٣ــ١٥٤ و ١٨٥ــ١٨٦ وسورة القمر : ٢٣ــ٢٤
(٣) سورة المؤمنون : ٤٥ ــ ٤٧ .
(٤) سورة المؤمنون : ٣٣ ــ ٣٤ .
(٥) انظر سورة القمر : ٢٣ ــ ٢٥ وسورة التغابن : ٥ ــ ٦ .
(٦) سورة هود : ٣١ .

من بعده ؛ مثبتين لأنفسهم البشرية ؛ معلنين أن الرسالة فضل من الله عز وجل يختار لها من يشاء من عباده (قالوا إنْ أنتم إلا بشرٌ مثلُنا تريدون أنْ تصدونا عما كانَ يعبدُ آباؤنا فأتونا بسلطانٍ مبين . قالت لهم رسلُهم إنْ نحنُ إلا بشر مثلُكم ولكنَّ الله يمُنُّ على مَن يشاءُ من عباده . وما كان لنا أن نأتيَكم بسلطانٍ إلا باذنِ الله ، وعلى اللهِ فليتوكلِ المؤمنونَ)[١] .

بشرية نبينا محمد ﷺ

تفرض عداوة الرسل على أصحابها نهجاً مؤتلف المعالم متفق الغايات فالكفر ملة واحدة على الرغم من اختلاف الأزمنة وتباين البيئات . فكما استنكر الأقدمون من أعداء الرسل بشرية رسلهم استنكرها مشركو قريش ومن والاهم ، واتخذوها ذريعة للتكذيب والاستمرار على الكفر والتضليل . وقد وبخهم الله على تذرعهم هذا فقال : (الر . تلكَ آياتُ الكتابِ الحكيم . أكانَ للناسِ عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أنْ أنذرِ الناس وبشرِ الذين آمنوا أنَّ لهم قدمَ صدقٍ عند ربهم ، قال الكافرون إنَّ هذا لساحرٌ مبين)[٢] .

وتتابعتِ الآياتُ تكشفُ جريان السنة الالهية على اختيارِ الرسل — بما فيهم محمد ﷺ — رجالاً من الناس ، يتمتعون بكافة خصائص الجسد البشري وصفاته ، وبما أنهم كانوا يتعاطون مستلزمات الجسد واحتياجاته من طعام وشراب . . فلا بد أنهم بشر من البشر ، ولا بد أن يصيروا إلى عالم آخر ، إذْ لاخلود لبشر في الحياة الدنيا .

---

(١) سورة ابراهيم : ١٠ — ١١ . (٢) سورة يونس : ١ — ٢ .

(وما أرسلنا قبلكَ إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهلَ الذكرِ إنْ كنتم لا تعلمون ، وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعامَ وما كانوا خالدين . ثم صدَقناهمُ الوعدَ فأنجيناهمْ ومن نشاءُ وأهلكنا المسرفين . لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون !؟) . (وما جعلنا لبشرٍ من قبليكَ الخُلدَ أفإن مِتَّ فهم الخالدون) (١) .

وقد قرر القرآن على وجه الخصوص أن محمداً ﷺ بشر كسائر بني قومه إلا أن الله اختصه بكرامة الرسالة (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحَى إليَّ أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (٢) وقد أمره أن يعلن عن قدرته وطاقته بأنها أوصاف وطاقة بشر لا تتعداها في قليل أو كثير (قل لا أقول لكم عندي خزائنُ الله ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكم إني ملَك إن أتبعُ إلا يُوحى إليَّ . قل هل يستوي الأعمى والبصيرُ ؟ أفلا تتفكرون ؟) (٣) .

وهاهم أولاء اشراف قريش يجتمعون ذات مساء لدى الكعبة فيبعثون في طلب رسول الله - ﷺ - فحضر إليهم فعرضوا عليه المال والشرف والملك ليترك دعوته فأبى ذلك كله . فطلبوا منه أموراً على سبيل المعاجزة - غير راشدين ولا مسترشدين - إنما اصراراً على الكفر وعناداً للحق الأبلج . طلبوا إليه أن يسأل ربه ليوسع لهم رقعة مكة التي ضيقتها الجبال .

(١) سورة الانبياء : ٧ - ١٠ و٣٤ . وانظر يوسف : ١٠٨ - ١٠٩ وسورة النحل ٤٣ - ٤٤ .

(٢) سورة الكهف : ١١٠ . وانظر سورة فصلت : ١ - ٦ .

(٣) سورة الانعام : ٤٩ .

فيزيح جبالها ويفجر خلالها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ليرغد عيش ساكنيها وتكثر أموالهم . وأن يبعث لهم من مات من آبائهم . فأجاب عليه السلام : (ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا . وما بعثت اليكم بهذا . ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فان تقبلوا ما جئتكم فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) .

قالوا : فأسقط السماء علينا قطعاً . . فقال : (ذلك إلى الله إنْ شاء فعل بكم ذلك) ، فقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من ذهب ، وترقى إلى السماء ، وتنزل منها علينا كتاباً . فنزلت الآية الكريمة تعرض تحجر عقولهم وسقم أفهامهم ، وتفصح عن حقيقة الرسول (وقالوا لن نؤمنَ لك حتى تَفْجرَ لنا من الأرضِ يَنبوعاً أو تكون لك جنةٌ من نخيلٍ وعنب فتُفجّرَ الأنهارَ خلالَها تفجيراً أو تُسقطَ السماءَ كما زعمت علينا كِسفاً أو تأتيَ بالله والملائكة قَبيلا ، أو يكونَ لك بيتٌ من زُخرف أو ترقى في السماءِ ولن نؤمنَ لرقيك حتى تُنزلّ علينا كتاباً نقرؤُه . قلْ سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا !؟) (١) .

وأمر الله نبيه أن يعلن أنه لا يغني عن أحد من الله شيئاً . فلا يملك من دون الله جلب نفع أو دفع ضر . كما لا يقدر أن يسقيَ أحداً كأس الهداية سائغة ، أو يطرح عنه أورام الضلال ، ولو كان أحب

---

(١) سورة الاسراء : ٩٠ ـ ٩٣ ـ ومناسبة النزول من رواية ابن جرير الطبري بتصرف يسير ـ انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٦٢ ـ ٦٣ طبع عيسى البابي الحلبي ـ مصر .

الناس وأقربهم إليه . فانه لا يملك للناس إلا أن يبلغهم رسالة الله . (قل إنما أدعو ربي ولا أشركُ به أحداً . قل إني لا أملكُ لكم ضراً ولا رَشداً . قل إني لنْ يُجيرَني من الله أحدٌ ولن أجدَ من دونه مُلتحداً إلا بلاغاً من الله ورسالاته ومن يعصِ اللهَ ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً) (١) .

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أُغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباسُ بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمةَ رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويافاطمة بنتَ محمد سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً) (٢) .

فالرسول محمد ﷺ لا يملك لنفسه ولا لأتباعه المؤمنين موتاً ولا حياة ولا نشوراً إلا أن يشاء الله رب العالمين (قل أرأيتم إن أهلكنيَ الله ومن معي أورحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) (٣) . **فهو معرض للهلاك والموت ، وصفاته من هذه الناحية بشرية محضة ، يأكل ويشرب ويحيا ويموت ؛ كصفات سابقيه من الرسل فقد ابتعثه الله على سنتهم** ، (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) (٤) فأحوال كل منهم دليل قاطع على بشريته . وأحوال محمد شبيهة بأحوالهم . وما خاتمته إلا انتقال من الحياة الدنيا

---

(١) سورة الجن : ٢٠ ـ ٢٣ . وملتحداً : ملجأ .

(٢) رواه البخاري ومسلم ومعنى اشتروا أنفسكم : أنقذوها من عذاب الاخرة. لا أغني عنكم من الله شيئاً : لا تنفعكم قرابتكم مني الا بالايمان والعمل الصالح .

(٣) سورة الملك : ٢٨ . (٤) سورة الفرقان : ٢٠ .

كخاتمتهم (وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلَت من قبلهِ الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلبْ على عقبيْه فلَنْ يضرَّ اللهَ شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرين) (١).

افتراضات تعلل بها المشركون لعدم ايمانهم

ان التمشي مع منطق أعداء الرسل في استبعادهم بشريةَ الرسل ، يوقفنا أمام سؤال ملحّ لا بد من التفكير فيه والاجابة عنه ، ذلك أنه إذا لم يجعل الله الرسول من البشر فكيف يبلغ للناس رسالاته .!!؟؟

هناك افتراضات متعددة ينصرف إليها الذهن في هذا المقام . وقد تعلل بها المشركون في امتناعهم عن الايمان بعد ظهور البرهان :

اولاً ـ طلب التلقي عن الله مباشرة :

تطلب المشركون أن يكلمهم الله أو يوحي إلى كل منهم . وسجل القرآن تماديهم في هذا العناد فقال : (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أُنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا . لقد استكبروا في أنفسهم وعتَوْا عتواً كبيراً) (٢) .

وقد رد القرآن ذلك بأنه طلب بعيد عن الجد ، مبعثه التكبر عن الحق ومجاوزة الحد (لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً) .

وها نحن أولاء نجد العلم الحديث يقرر حقائق في حدود طاقة الانسان ، تثبت أن تطلّعَ الناس إلى منصب النبوة إنما هو استعلاء منهم ومجاوزة لحدود حدها الله بها ، ويستحيل عليهم تخطيها . فبصر الانسان

---

(١) سورة آل عمران : ١٤٤ . (٢) سورة الفرقان : ٢١ .

مثلاً ، يمتد إلى أبعاد دون أخرى ، ويبصر موجودات دون غيرها . فالأشعة غير المرئية (السينية) وجدها الانسان في الطبيعة ، ثم اصطنعها واستخدمها في التقاط صور لجسده . وعلى الرغم من اختراقها أعضاء جسمه فانها غائبة عن بصره ! ! وسمع الانسان أيضاً محدود بعتبتين أولاهما ـ العتبة الدنيا ، فهو لا يلتقط الأصوات التي تنخفض حدتها عن العتبة الدنيا لسمعه ، وهي أصوات ناعمة يزخر بها الكون . كما لايستوعب الأصوات التي تتجاوز قوتها العتبة العليا للسمع الانساني ، وهي العتبة الثانية ، كالأصوات الناتجة عن تحركات السوائل في باطن الأرض قبل حدوث الزلازل . فان الانسان لا يسمعها لشدة ارتفاعها . والعقل البشري يدرك أموراً وتفوته أمور كثيرة في جملتها أو تفصيلها أو في كليهما معاً .

كل هذا يدل دلالة أولى على أن الانسان عاجز عن تلقي خطاب الله مباشرة لعدم لياقة طبيعته لذلك فلا مسوغ لتطلب المشركين ذاك ، سيما وأن الله قد أقام لهم الدلائل القاطعة على صدق الرسول ، وأورد عليهم البراهين الكفيلة بهداية الذين يبتغون باخلاص الوصول إلى اليقين . ويظهر هذا بجلاء أن تطلبهم ذلك شطط سمج لا مبرر له إلا المكابرة والعناد ، كشأن الجاحدين قبلهم . قال تعالى : (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ! ؟ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم . قد بينا الآيات لقوم يوقنون) (١) .

يجب أن لا ننسى أن الانسان يعيش في الدنيا فترة الاختبار ، وأن تحقيق طلبهم ينقلهم إلى حال الاجبار والاضطرار ، وأن التلقي المباشر للأمور والأحكام بصورتها الذهنية المجردة لا يجدي مع معظم الناس في

---

(١) سورة البقرة : ١١٨ .

الناحية التطبيقية العملية ، فهم أحوج ما يكونون إلى الرسول القـــدوة وأتبـاعه الدعاة ، ليشهدوا الدين على بساط الواقع والتطبيق العمـلي ، فهو المقصود الأساسى من الشرائع فانهـا لم تنزل لمجرد استماعها والتعرف النظري اليها [(١)] .

ثانياً ـ طلبهم ان ينزل الله ملكاً يبلغ الناس :

تعاقب أعداء الرسل في تكذيبهم على سلوك هذا السبيل في الانكار . تشبث به قوم نوح عليه السلام ومن بعدهم أقوام آخرون كعـاد وثمود . قال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قومِ اعبدوا الله مالكم من إله غيرِهِ أفلا تتقون ؟ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم . ولو شـاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في أبائنا الأولين !!) [(٢)] .

وعول مشركو قريش ـ في جملة اعتذاراتهم عن قبول دعوة الرسول ـ على هذا المسلك في الحجاج . **وغفل هؤلاء وأولئك عن طبيعة الملائكة ،** فقـــد خلقها الله من نور يعجز البصر البشري عن مشاهدته . لضعف

---

(١) يتضح مما بينا أنه لا بد من واسطة بين الله وعباده في تبليغ رسالاته ، فهل يصح أن تكون الواسطة حجراً أو شجراً يخلق الله فيه صوتاً لخطاب الناس : « الله يأمركم بكذا وينهاكم عن كذا . . » .. !!؟

لا شك أن هذا لو حصل لجمعٍ من الناس اتملك الفزع والرعب قلوبهم وأفئدتهم ولعقدت الدهشة ألسنتهم ولاذوا منه بالفرار ، فانه مما لا يألفونه بحال . اللهم إلا أن يكون المتمرض لهذا شخص واحد أعده الله لحمل أعباء الرسالة الالهية وأحاطه بظروف ومراحل جعلته قابلا للتلقي بهذه الوسيلة ليبلغ رسالة الله .

(٢) سورة المؤمنون ٢٣ ـ ٢٤ وانظر فصلت : ١٣ ـ ١٤ .

القوى البشرية وعدم لياقتها لذلك . ولا يغيب عن بالك ان مجالسة الرسول القوم المرسل اليهم امر ضروري لا يتحقق الغرض من بعثة الرسل إلا به . فكيف يعقل ان تحصل الالفة المؤدية للاقتداء من غير مجانسة!؟. وكيف تقتنع العقول بجدوى الدين وامكان تطبيق البشر له إذا كان الرسول من غير نوع البشر ؟ ومجالسة المغاير في الجنس والطبيعة لا تكون من غير تكلف ومجاهدة شاقة ، مما يحول دون تحقق أغراض الهداية والارشاد .

(وما منعَ الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءَهمُ الهدى إلا أن قالوا أبعثَ اللهُ بشراً رسولا ؟ قل لو كانَ في الأرضِ ملائكةٌ يمشونَ مطمئنينَ لنزّلْنا عليهم من السماءِ مَلَكاً رسولا)(١) .

لقد نبه الله تعالى عباده ولفتهم إلى لطفه ورحمته في بعثة الرسول من جنسهم ، ليتمكنوا من مخاطبته والأُنس به والاستماع إليه ، فيعرفوا منه أمر ربهم ويتفقهوا في دينهم . ولو بعث اليهم رسولاً ملكاً لحُرموا ذلك الخير كله . فبعثته ـ مَلَكاً ـ ضرب من العبث يتنافى مع حكمة الله ورحمته بعباده (٢) .

---

(١) سورة الاسراء : ٩٤ ـ ٩٥ وانظر سورة الانعام : ٥٠ .

(٢) فان قيل : فليرسل الله ملكاً على صورة رجل ليبلغ الناس رسالة الله . قلنا : لما بعث الله رسولاً بشراً لم يكن معه سوى ادعاء واحد ، هو : أنه مرسل من الله اليهم برسالته . فلو جعله ملكاً في هيئة بشر لجاء الناس بادعاءين متلازمين :

أولهما : انه ملك صيره الله على هيئة رجل .

ثانيهما : أن الله أرسله اليهم برسالته وأن عليهم أن يسمعوا له ويعتصموا بما جاءهم به .

ثالثاً ـ تطلب المشركون ازال ملائكة على رسوله محمد ـ ﷺ ـ لتشهد له بصدقه في رسالته :

وما تطلبوا هذا وسواه استهداء واسترشاداً ، إنما كان معاجزة وعناداً وتكبراً عن الانصياع للحق واصراراً على الغي والفساد . فلو أجابهم الله إلى طلبهم ـ على سبيل الفرض والاحتمال ـ فماذا يكون موقفهم من الرسول ؟ (ولو أننا نزّلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيءٍ قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا) (١) .

لقد عظم المشركون أنفسهم وأكبروا شأنها فتمنوا على الله الأماني وتقدموا إلى رسوله بما لا يعقل من الطالب من ازال الملائكة . . إلى رؤية الله تعالى .

(وقال الذين لا يرجونَ لقاءَنا لو لا أُنزل علينا الملائكةُ أو نرى ربنا ؟ لقد استكبروا في أنفسهم وعتَوْا عُتُواً كبيراً) (٢) .

= الا ترى أن الرسول لما جاء بادعاء واحد كذبه الناس وعادوه وآذوه ، فاذا جاءهم بادعاءين مركبين لم يكونوا أقرب الى التصديق ؟

فليس في ذاك النمط من التبليغ تيسير لسبل الهداية والرشد . وأن حكمة الباري سبحانه تأبى أن تجعل سبل الهداية وعرة المسالك . فقد أنزل الله دينــه سهلا ميسراً لا تعقيد ولا عسر فيه حكمة منه ورحمة ، وكذلك جعل وســيلة تبليغه والدعوة اليه بسيطة مقبولة . فكانت رجلا يصطفيه الله من الناس .

(١) سورة الانعام : ١١١ ، ومعنى قبلاً : انها جمع قبيل بمعنى كفيل على صدق محمد في رسالته أو قبلاً : مواجهة ومعاينة .

(٢) سورة الفرقان ٢٠ ـ ٢٢ (ويقولون حجراً محجوراً) يستعيذون من ملائــكة العذاب . انظر حاشية الجمل على الجلالين جـ ٣ ص ٢٥١ وانظر الآيات ٦ – ٩ سورة الحجر وتفسيرها في حاشية الجمل جـ ٢ ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩ .

انهم غير قادرين على رؤية الملائكة وهم يحيون الآن في دار الاختيار والاختبار . وتقويتهم بحيث يرونها حين انزالها لا حكمة فيها ، لأنهم عندئذ إنما يُصدقون عن الزام واضطرار . . وقد وهبهم الله العقل وأقام دلائل صريحة توصلهم إلى الحق . فلا داعي لتلبية مطالبهم التي تجاوزت الحـــد المعقول ، فقد صدرت عن طغيانهم وعتوهم واستكبارهم ، فسينالون على ذلك جزاء وفاقاً يوم الحساب ، يوم يجعلهم الله قادرين على رؤية الملائكة فيلقون منها من العذاب ما يستأهله اصرارهم على الضلال (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حِجْراً محجوراً)[1] .

رابعاً ـ طلبهم ارسال ملك على هيئة بشر شاهدٍ للرسول الانسان على صدقه . . ؟

لقـد دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الاسلام وكلمهم فأبلغ اليهم . . فقال له زمعة بن الاسود بن المطلب ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وعبدة ابن عبد يغوث ، وأُبيُّ بن خلف بن وهب ، والعاص بن وائل بن هشام : لو جُعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويُرى معك . فأنزل الله تعـالى قوله :

(وقالوا لولا أنزل عليه مَلَك ؟؟ ولو أنزلنا ملكاً لَقُضيَ الأمرُ ثم لا يُنْظَرون . ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ولَلَبسنا عليهم ما يلبِسون)[2] .

---

(١) سورة الفرقان : ٢٢ راجع الصفحة السابقة التعليق (٢) .

(٢) سورة الانعام : ٨ ـ ٩ وقد أخرج سبب النزول ابن أبي المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن اسحق . انظر روح المعاني للالوسي ج ٧ ص ٨٣ طبع مصر ـ المنيرية الثانية .

أخبر الله في هاتين الآيتين عن فرط تعنتهم وتصلبهم في كفرهم ، إذ تطلبوا انزال ملك يسير مع محمـــد يشهد بصدقه وينذر الناس معه . وهذا الطلب مشتمل على أمر متباينين : انزال الملكِ على صورته الملكية ؛ وجعله محدثاً للناس ونذيراً . فهذان أمران متعارضان مفترقان لا يجتمعان فانه لو نزل على صورته الأصليـــة فشاهدوه بأعينهم (لَقُضِي الأمر) بهلاكهم تماماً لمزيد هول منظره مع فقدهم للقوة الجسمية والطاقة الروحية الكافية لتحمل ذلك . وان نبينا محمداً ﷺ قد غُشِي عليه لما جاءه جبريل على صورته الحقيقية [١] . وهكذا فانهم يهلكون فور مشاهدتهم الملك فلا يُمهلون بعد رؤيته - نظراً لطبيعتهم - مدة تكفيهم لاعلان إيمانهم وتصديقهم .

ولو أُريد أن يكون ملكاً ونذيراً بآن واحد فلا بد من انزاله على هيئة رجل من الناس (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً) .

نحلل هذا الطلب فنراه يقتضي أن يدعي النبي ثلاث دعاوى :

أولاها - وجود ملك كريم حوّله الله إلى هيئة رجل من البشر .

ثانيها - إن الله أوفده ليكون شهيداً بالحق يُعرّف النـاس بصدق الرسول الانساني الخِلقة ، وينذر المكذبين المخالفين .

---

(١) والرسول محمد وهو سيد الخلق ثبت أنه إنما رأى جبريل على صورته مرتين - فقط - هذا ما رواه الترمذي عن عائشة . وأما بقية الاحوال فكان يراه في صورة دحية الكلبي .. ولم يثبت أن أحداً من الرسل رأى جبريل على صورته الحقيقية. انما ثبت أنهم رأوا الملائكة في صورة رجال كما ذكر القرآن في قصة ابراهيم ولوط ؛ وفي قصة الخصمين مع داود (انظر روح المعاني ج ٧ ص ٨٤) فان رؤية الملك تتطلب اعداداً إلهياً خاصاً ، لذلك رآه الرسول صلى الله عليه وسلم لماما لا كثيراً .

ثالثها ـ ان الرجل الذي عرفه الملك وشهد له انما هو رسول تلقى رسالة الله ، لذلك أجابهم تعالى : (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) . فتحويل الملك إلى رجل بحيث يستمعون كلامه ويفهمونه إذا شهد لهم بصدق محمد ﷺ فيما يبلغ عن ربه لن يزيل الاشكال ، إذ يبعثهم ذلك على سؤاله : ما يدرينا أنك ملك بأصل الخلقة وانك لست بشراً كما نراك !؟.

فماذا يجدي تحويل ملك إلى بشر ليكون شاهداً للرسول ؟ لعمري ان فيه طمساً لمعالم الحق ، وتعمية للناس عن معرفته ، لذلك قال تعالى : (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يعني لو أجبنا طلبهم لأدى ذلك إلى اشتباهم وشكهم ، كما كانوا من قبل يشكون ويخلِّطون الأمر على ضعفائهم . وواضح أن انفاذ طلبهم ينبذه العقل السليم ، وتتجافى عنه حكمة البشر . فهل يصح هذا في حكمة الله !؟ إن الله بعث رسله مصابيح هدى، وأيَّدهم بالآيات والبراهين الدالة قطعاً على صدقهم . فكيف يجعل أمر هدايته مشتبها مشكلاً !! ؟؟ ولكن الله تعالى لم يشأ أن يُلَبِّس أمر الحق عليهم، كما لبَّسوا على أنفسهم ، وشككوا فيه ضعفاءهم (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) .

ولعل من أجلِّ الحكم الالهية في العدول عن ارسال الملائكة إلى الناس أنهم من طبيعة مغايرة خالية من الغرائز مصونة عن الشهوات . فلو دعوا الناس إلى الاقتداء بهم في الامتناع عن الشهوات المحرمة ؛ لتنكب الناس سبيلهم محتجين عليهم باختلاف الطبيعة وتعذُّر ذلك على البشر دون الملائكة .

وقد ذكر الامام الرازي في بيان وجه الحكمة من بشرية الرسل أمـــوراً :

الأول : أن الجنس إلى الجنس أميل .

الثاني : أن البشر لا يطيقون رؤية الملك .

الثالث : ان طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعات البشر وربما لا يعذرونهم في الأقدام على المعاصي .

الرابع : ان النبوة فضل من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده[1].

بشرية عيسى عليه السلام[2]

إن بشرية الرسل حقيقة راسخة في جميع الشرائع والديانات الالهية . لكن التحريف في الديانات قد جعل هذه الحقيقة موضع نزاع وأخذ ورد . حتى بلغ الأمر ببعض المحرفين أن زعموا ان نبيهم ليس بشراً إنما هو ابن الله تعالى وان كان ذا جسد بشري .

اتخذ هذه الوجهة اليهود في عُزير ، والنصارى في عيسى ابن مريم عليهما السلام . فرد القرآن عليهم زعمهم مبيناً أن الله لم يأمرهم إلا بعبادة

---

(١) روح المعاني جـ ٧ ص ٨٧ وتفسير القرطبي جـ ٦ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ وانظر تفسير الآية في التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ١٢ ص ١٦٢ ـ طبع عبد الرحمن محمد .

(٢) وانما حملنا على التطرق إلى بشرية سيدنا عيسى عليه السلام ضرورة تقرير السنة الالهية في اصطفاء الرسـل من البشر فقط ، ودرء الطعن في صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي مكانته ، لئلا يجعل دون غـــيره ، وبالتالي قمع التشكيك في كونه خاتم رسل الله عليهم الصلاة والسلام .

إله واحد لا شريك له ولا والد ولا ولد . (وقالتِ اليهودُ عزيرٌ ابن الله ، وقالت النصارى المسيحُ ابنُ الله ، ذلك قولُهم بأفواههم يضاهِئون قولَ الذين كفروا من قبلُ قاتلَهم اللهُ أنى يُؤْفَكون . اتخذوا أحبارَهم ورهبانَهم أرباباً من دون الله والمسيحَ ابنَ مريم . وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)(١) .

وسبب انصراف النصارى عن التوحيد الخالص إلى تأليه عيسى وزعمهم بنوته لله ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ؛ أنه تعالى خلق عيسى من أُمٍ دون أب من مريم العذراء عليها السلام . فزعم النصارى أنه ابن الله . فلا بد ـ حسب توهمهم ـ أن يكون إلهاً مثله . فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً .

والحق أن تخلق عيسى في بطن أمه ـ مريم العذراء الطاهرة ـ قد تم بالامر التكويني الالهي (كن) من غير واسطة أب ، فالله تباركت أسماؤه على كل شيء قدير . وقد ذكر الله في كتابه حقيقة خلق عيسى فقال : (إذ قالت الملائكة يا مريمُ ان اللهَ يُبشرك بكلمةٍ منه اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أني يكونُ لي ولدٌ ولم يمسَسْني بشرٌ ! ؟ قال كذلكِ الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون)(٢) .

عبر القرآن عن عيسى الولد بأنه (كلمة) إذ نفذت ارادة الله في تخليقه بكلمة الله (كن) دون واسطة أب وأطلق السبب « الكلمة »

(١) سورة التوبة : ٣٠ ـ ٣١ . (٢) آل عمران : ٤٥ ـ ٤٧ .

على المسبَّب « عيسى »[١] . وخَلقُ شيء منها عظم على غـير السنة الجارية في أسباب الخلق ؛ ليس شيئاً عسيراً . في جنب القدرة الالهية التي لا حدود لها .

والنصارى في اعتقادهم ذاك محجوجون أمام أنفسهم في عقيدتهم ، فهم يرون ـ كما يقرر كتابهم المقدس ـ ان الله خلق آدم من غـير أب ولا أم . **أفليس الله الذي خلق آدم من تراب بقادر على خلق عيسى من أم فقط ؟ ؟ وآدم المخلوق من طـين هو نبي بشر . فهل عيسى المخلوق من أم فقط يخرج عن كونه بشراً رسولاً ! ؟** وإذا كان عيسى على زعمهم ابناً لله ، فلماذا لم يعتبروا آدم المخلوق من غير واسطة أب ولا أم أيضاً ابناً لله من باب أولى ؟ ان التناقض والخطأ في الاعتقـاد النصراني واضحان . فليس خلق عيسى في العقل السليم بعيداً عن خلق العبد البشر (إنَّ مَثلَ عيسى عند اللهِ كمثل آدم خلَقَه من ترابٍ ثم قال له كُنْ فيكون . الحقُ من ربك فلا تكن من الممترين)[٢] .

وكل اعتقاد بوجود ولد لله على أي صورة كان ، إنما يتنافى مع صحة الاعتقاد بوحدانية الله تعالى ، فهو جحود لـكماله وصفاته وضلال عنه وكفر به سبحانه .

(لقد كفرَ الذين قالوا انَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسَنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)[٣] .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين . (٢) سورة آل عمران : ٥٩ـ٦٠ .

(٣) سورة المائدة : ٧٣ ـ ٧٤ وانظر المائدة : ١٧ و ٧٢ .

فليس المسيح إلا واحداً من رسل الله الذين اختارهم من البشر. أمدهم الله بآياته، وجعل لهم من العلامات والأدلة ما يلفت النظر إلى حقيقة نبوتهم وصدقهم في تبليغ رسالة الله. وكذلك أقام في خلقه عيسى دليلاً على أنه عبد أعده لرسالته فهو بشر رسول، وأيده بالمعجزات برهاناً على صدقه وتثبيتاً لقلوب أتباعه. فأنزل عليهم مائدة من السماء تناولوا منها طعامهم معه. انه كان يأكل ويشرب ... وما إلى ذلك. وهذا معروف لدى أتباعه إلى هذا الزمان - **فتناوله الطعام هو وأمه دليل على أنها مخلوقان مفتقران إلى الله افتقار كافة المخلوقات، وأنهما خاضعان لمتطلبات الجسد البشري. ومن كان كذلك لم يكن إلهاً ولم يستحق العبادة**. فما عيسى إلا بشر كرمه الله على كافة أهل زمانه واصطفاه لرسالته، وما أمه إلا امرأة كسائر النساء، غير أنها لازمت التصديق وبالغت في التحقق به (ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ وأُمهُ صِدّيقةٌ كانا يأكلان الطعامَ. انظر كيف نُبينُ لهم الآياتِ ثم انظر أنى يُؤفكون)(١).

ذهب ابن أبي الأصبع المصري إلى أن قوله تعالى: (كانا يأكلان الطعام) تعبير عن النجس (وهو البراز) بالطاهر (وهو الطعام) ففيه كناية عن الحدث لانه ملازم أكل الطعام (٢).

ولا يخفى عليك ما في هذا القول من دلالة مفحمة، فهل الذي يتناول الطعام والشراب ويتبول ويتغوط يكون في مستوى إله !!؟؟

---

(١) سورة المائدة : ٧٥ وانظر أدلة أخرى أقامها القرآن على بشرية عيسى في المائدة ١٧ و ٧٦.

(٢) بديع القرآن ص ٥٣ لابن أبي الاصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ).

وذكر الألوسي ان قوله : (كانا يأكلان الطعام) دليـــل على افتقارهما وبشريتها ، ثم قال رحمه الله تعالى : (وقيل هو كناية عن قضاء الحاجة ، لأن من أكل الطعام احتاج إلى النفض . وهذا أمرٌ ذوقاً في أفواه مُدّعي ألوهيتها ، لما في ذلك من الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهية من بشاعة عرفية . وليس المقصود سوى الرد على النصارى في زعمهم المنتن واعتقادهم الكريه)[١] .

فتأمل كيف أقام الادلة على أنه واحد أحد غني عن العالمين . وتأمل كيف انصرف النصارى واليهود عن التسليم بهذه الحقيقة فضلوا في معرفة ذاته ـ تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً (وقالوا اتخذَ اللهُ ولداً . لقـــد جئتم شيئاً إدّاً . تكاد السموات يتفطّرنَ منه وتنشقُ الأرض وتَخِرُّ الجبالُ هداً . أن دعوا للرحمنِ ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . إنْ كلُ من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً)[٢] .

ويحلو للبعض أن يؤيد عقيدته بالخطأ دون الصواب وبالكذب دون الصدق وبالتقول دون النقل الأمين ، يحمله على ذلك توهمه أنه قادر على طمس معـــالم الحق ، وأن يده تصل إلى عقول اتباعه تقليباً وتحويلاً . فقد راق لبعض رجال الدين النصارى أن يلقنوا أتباعهم دليلاً على ألوهية عيسى من القرآن الكريم نفسه (كذا !!!) فأخبروهم أن الله تعالى قال عن عيسى في القرآن أنه (روح منه) وهذا يفيد أنه جزء من الله ـ كذا أوهموهم ! ـ فاقرأ الآية كاملة : (يا أهلَ الكتابِ لا تَغْلوا في دينكم ولا

---

(١) روح المعاني جـ ٦ ص ١٨٦ .

(٢) سورة مريم : ٨٩ ـ ٩٤ . ومعنى إدا : فظيعاً منكراً . يتفطرن منه : يتشققن منه قطعاً . تخر الجبال هداً : تسقط متهدمة . وفي الآية تنديد بالمشركين العرب أيضاً في زعمهم أن الملائكة بنات الله .

تقولوا على الله إلا الحقَّ ، إنمـــا المسيحُ عيسى ابن مريم رسولُ الله وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه . فآمنوا باللهِ ورسلهِ ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهوا خيراً لكم إنما اللهُ إلهٌ واحدٌ سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض . وكفى بالله وكيلاً) (١) .

تبرز أمامك من ثنايا الآية الكريمة صفات السيد المسيح عليه الصلاة والسلام فليس ابناً لله انما هو (ابن مريم) وليس بالتالي إلهاً إنمـا هو رسول الله . أما قضية خلقه التي طاشتْ عقولُهم في تصورها ، وسلكوا فيها متاهات الضلال ، فهي واضحة جلية . فلم يخلقه الله بالسبب المادي (المني) الذي خلق منه سائر الناس ، انما خلقه بغير ذلك السبب ، فأتم خلقه بكلمته (كن) وبث فيه تعـالى الروح التي خلقها ـ كما خلق لكافة الناس أرواحهم ـ فهو مخلوق بالأمر الالهي التكويني ، وروحـه هي من خلق الله تعالى ، لذلك أضيفت اليه لانها مخلوقة له (وروح منه) .

قال أبو حيان الاندلسي رحمـه الله : (ومعنى « روح منه » أي صادرة ، لأنه ذو روح وجسد من غير جزء من ذي روح ـ كالنطفة المنفصلة من الأب الحي ـ وانما اختُرع اختراعاً من عند الله وقدرته) (٢). فعامل خلقه وسببه من عند الله تعـالى فلا دخل فيه لسبب مادي عادي من عند أحد من الناس ، إذ لم يدخل في تكوينه جزء من مخلوق ذي روح ـ وهذا الجزء هو النطفة .

---

(١) سورة النساء : ١٧١ .

(٢) البحر المحيط ج ٣ ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ ، محمد بن حيان الاندلسي المتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ .

وقد رجح الألوسي أن معنى (روح منه) هو أنه خلق من نفخة سيدنا جبريل في درع مريم العذراء بأمر من الله سبحانه فقـــال : (وسمي عليه السلام روحاً لانه حدث عن نفخة جبرائيل عليه السلام في درع مريم عليها السلام بأمره سبحانه . وجاءت تسمية النفخ روحـاً في كلامهم ، ومنه قول ذي الرمة « في نار وأحيها بروحك » . و « من » متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح وهي لابتداء الغاية مجازاً ؛ لا تبعيضية كما زعمت النصارى)[1] .

وتقدير الـكلام ـ في قوله تعالى (وروح منه) ـ عند أبي حيان : وروح حاصلة بأمر الله تعالى . وتقديره عند الألوسي : ونَفْخُ جبريلَ وصل إلى مريم بأمر من الله تعالى .

ونحن نرجح قول أبي حيان ، فانه أبعد عن التكلف في تقدير المحذوف وأدق تعبيراً عن حقيقة عيسى وبشريته . وهو ما أراد القرآن بيانه هنا . فليس المراد في تقديرنا بيان الكيفية التي تم بها خلق عيسى ، فقد ذكرها القرآن في موطن آخر .

ويرى الألوسي وأبو حيان وجمهور المفسرين أن (من) في قوله : (وروح منه) **ابتدائية تفيد تشريف عيسى عليه السلام** ، وليست تبعيضية أبداً . مثالها قولك عن قطعة الخبز : (هذه نعمة من الله) فلست تعني أنها جزء منه تعالى ، إنما أردت انها حاصلة من خلق الله تعـالى وواصلة الينا بتيسيره وكرمه . قال الغزالي قدس الله سره : (لـكل مولود سبب قريب وبعيد فالأول : المني ، والثاني : قول (كن) . ولمـا دل الدليل على عدم القريب في حق عيسى عليه السلام أضافـــه إلى البعيد ، وهو

---

(١) روح المعاني جـ ٦ ص ٢٢ . والدرع : قميص المرأة .

قول (كن) اشارة إلى انتفاء القريب . وأوضحه بقوله سبحانه (ألقاها إلى مريم) أي أوصلها اليها وحصلها فيها . فجعله كالمني الذي يلقى في الرحم فهو استعارة)[١] .

واذا تأملتَ مطلع الآية وشطرها الثاني وما فيها من توبيخ وزجر لمدعي ألوهيـــة عيسى ، علمت أن استدلالهم ليس من باب الفهم السقيم والجهل بالعربية فحسب ، انما هو أيضاً مغالطة وافتراء واضح ودجل فاضح . وان أُحبولتهم لا يقع في شراكها عاقل مستبصر أو راغب في الحق متنور ، فقد حُكي أن طبيباً نصرانياً للرشيد ناظرَ علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم ، فقال له : ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى . وتلا هذه الآية . فقرأ الواقدي قوله تعالى : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه)[٢] فقال : إذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءاً منه سبحانه وتعالى علواً كبيراً . فانقطع النصراني فأسلم . وفرح الرشيد فرحاً شديداً ، ووصل الواقديَّ بصلة فاخـــرة .

أناجيلهم تثبت بشرية عيسى :

ولم تزل الأناجيل المنسوبة إلى عيسى عليه السلام المعتمدة لدى الكنائس اليوم ـ على ما أصابها من تحريف وتشويه ـ تحوي نصوصاً قوية الدلالة على أن عيسى رسول من الله وبالتالي فهو واحـــد من البشر . فقد ناجى عيسى ربه بقوله : (هذه هي الحيـاة الأبدية أن يعرفوك ،

(١) روح المعاني جـ ٦ ص ٢٢ . وارجع اليه في تفسير الآية .

(٢) سورة الجاثية : ١٣ والمراد : أن الله سخرها لكم ، والحال أنه خالقها جميعاً من لدن قدرته وحكمته .

أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي **أرسلته**)[١] .

وأعلن عيسى عليه السلام عن اعتباره الذاتي لشخصه حين ظهرت مؤمرات بني إسرائيل لقتله . فبين بصراحة لا تحتمل التأويل أنه فرد من بني الانسان ، تلقى عن الله الدين الحق ، ودعا الناس اليه . وهذا نص خطابه في انجيل يوحنا (قال يسوع : لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني ، **وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله**)[٢] .

ويجهر سيدنا عيسى ببشريته على الملأ من بني اسرائيل ، إذ يقر بأن إلهه وإله قومه إله واحد ، هو الله وحده . فهو عبد مخلوق لله تعالت صفاته (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسناً ، سأله أية وصية هي أول الكل . فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل ، **الرب إلهنا رب واحد** . وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الأولى . . فقال له الكاتب : جيداً يا معلم ، بالحق قلت ، **لأنه الله واحد وليس آخر سواه**)[٣] .

وينفي سيدنا عيسى عن نفسه الكمال ، ويكشف انه بطبيعته معرض للخطأ كشأن كافة البشر (وإذا واحد تقدم وقال : أيها المعلم الصالح ،

---

(١) يسوع : من أسماء سيدنا عيسى لدى النصارى ، وكذا المسيح . والفقرة المذكورة من انجيل يوحنا : الاصحاح السابع عشر : ٣ . نشر الجمعية الأميركانية .

(٢) انجيل يوحنا : ٨ : ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) انجيل مرقس : ١٢ : ٢٨ ـ ٣٣ .

أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعوني صالحاً!؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله) (١) .

يتضح مما سبق أن جميع الرسل بشر من الناس ، وأن الرسول الذي لهث أتباعه في بذل جهود شاقـــة مضنية لاقناع الناس بألوهته ؛ قد قامت الدلائل القطعية على بشريته عليه الصلاة والسلام . وانكشف زيف استدلالهم وبطلانه بالعقل والنقل .

---

(١) انجيل متى : ١٩ : ١٦ .

الفصل الثالث

أخلاق محمد ﷺ ودلالتها على نبوته

- سمو أخلاقه يثبت نبوته .
- نماذج حية من أخلاقه عليه الصلاة والسلام :

(١) رعايته الأيتام والأرامل والفقراء .

(٢) صـــبره ﷺ .

(٤) لين جانبه ﷺ .

(٤) رأفته ورحمته ﷺ .

(٥) شجـاعتـــه ﷺ .

(٦) خشوعه وتعبده ﷺ .

(٧) ترفعه ﷺ عن الاغراض الشخصية .

- ثبات أخلاقه وسريانها إلى أهله وخاصته يثبت رسالته .
- خير رسل الله .
- نموذج باهر من استدلال العقل السوي على نبوته .

إن القيم الخُلقية تكشف عن مُثل الانسان العليا ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجهته وحقيقته . ومن هنا نجد للصفات الخُلقية صلة قوية بدعوى النبوة ، فان النبوة تستلزم من صاحبها أن يتصفَ بخصال كريمة معينة ، وأنْ يتنزه عما يضادها . لذلك نجد القرآن الكريم يصف النبي ﷺ بجامع الخلق الكريم وينزهه عن كل شين خلقي .

وقد رأيتُ في معالجة هـذه المسألة بالذات أن أبدأ بتبيان ما تدل عليه أخلاقه ﷺ من خلال نصوص الكتاب الكريم . ثم أُورد أقوال العلماء في دلالة أخلاقه على نبوته ، وأتبعها بعرض صور حية من أخلاقه كما عرضها القرآن الكريم ، لتجيء برهاناً ساطعاً على صحة ما استخلصناه قبل وهو أن أخلاقه ﷺ تثبت نبوته .

سمو أخلاقه يثبت نبوته

لقد تحلى محمـد ﷺ بكمالات الأخلاق . فعرفه القوم على يتمه وفقره أميناً صادقاً ؛ كريماً سخياً ؛ مترفعاً عن أغراض الذات ؛ عطوفاً على الأيتـام والأرامل والبؤساء . دعا قومه إلى الله فأذاقوه من مرارة الأذى وقسوة الاضطهاد والحرمان ما تنوء بحمله الجبال الشامخات . فاحتمل في سبيل نشر رسالة الله ما احتمل وجاهد في الله حق جهاده . إن الفضائل النفسية العريقة الـكاملة لا تتوافر في أحد من البشر إلا الرسل المصطفين الأخيار عليهم الصلاة والسلام ، ومنهم محمد ﷺ . فقد أدبه ربه فأحسنَ تأديبه ، وجعله المثل الـكامل في الفضائل الانسانية ، فأهله بذلك لحمـل أعظم رسالاته .

أ ـ تدليل القرآن بأخلاقه على نبوته :

أشارَ القرآن الكريم إلى دلالة أخلاقــه عليه الصلاة والسلام . فقال في معرض نفي بعض التهم التي ألصقها به المشركون تبريراً لتكذيبهم (هل أُنبئكم على من تَنَزَّلُ الشياطين ؟ تنزل على كل أفّاكٍ أثــيم . يُلْقون السمعَ وأكثرهم كاذبون)(١) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يقول تعالى مخاطباً لمن زعم من المشركين ان ما جاء به الرسول ﷺ ليس بحق ، وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه ، أو أنه أتاه به رَئِيٌّ من الجــان ، فنزه الله سبحانه وتعالى جناب رسوله عن قولهم وافترائهم . ونبه أن ما جاء به إنمــا هو من عند الله وأنه تنزيله ووحيـه نزل به ملك كريم أمين عظيم . وأنه ليس من قبل الشياطين فانهم ليس لهم رغبة في مثل القرآن العظيم . وانما يتنزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة)(٢) .

وشياطين الجن تلك المخلوقات الشريرة الخفية تحض على السوء والفساد والكذب والأذى ، فذاك خُلقها ونهجها . فلا يعقل أن تألف وتعين إلا من شاركها فيه(٣) . وانتم تعرفون أن محمداً عليه الصلاة والسلام ليس

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢١ .

(٢) وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية أيضاً : («تنزل على كل أفاك أثيم» أي كذوب في قوله ، وهو الأفاك . أثيم : وهو الفاجر في أفعاله . فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة فان الشياطين أيضاً كذبة فسقة) .

(٣) وانظر تفسير الآية في ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ـ لأبي السعود محمد بن العمادي (٨٩٦ ـ ٩٥١) جـ ٤ ص ١١٩ .

من ذاك الجنس فهو الـكامل في خلقه، وبينه وبينهم من المفارقة والمنافرة ما يحول بينه وبين إلْفتهم، فان الجنس انما يأنفه الجنس. ومحمد ـ وقد خبرتموه ـ ليس بالأفاك الـكاذب ولا بالمرتـكب للآثام، فيستحيل في العقل والواقع أن يبدر منه افتراء في جلائل الأمور. **ونحن نرى أن القرآن ذكر نقيض صفات الرسول ﷺ، وبين أن ادعاء النبوة زوراً إنما ينسجم مع تلك الأوصاف المتـكسة. فأشـار بذلك إلى أن صاحب الأخلاق العالية العريقة إذا تحدث في أمر النبوة وجاء بأدلتها لم يكن إلا صادقاً. فمن نبل أخلاق محمد ﷺ تستدل على صدقه في نبوتـه، وبضدها تتميز الأشياء.**

وقد أشاد الله عز وجل بأخلاق النبي المجيدة وقرر نبوته فقال: (ن. والقلمِ وما يَسْطرون. ما أنت بنعمةِ ربك بمجنون. وإن لك لأجراً غيرَ ممنون. وإنك لَعَلى خُلُق عظيم)[1].

فقد أثنى عليه ربه فوصفه بأنه صاحب الخلق العظيم، في معرض الرد على المشركين وكشف زعمهم الزائف **وأرى أن هذا يثبت أمرين:**

الأول ـ أن مكارم الاخلاق من شيم كمل الرجال وأرجحهم عقلاً وهذا يبطل دعوى الجنون عن النبي الكريم، لذلك قرن نفي الجنون عنه بالدليل القاطع على سلامته منه بقوله: (بنعمة ربك) فنبه أنه تعالى غمر عبده محمداً ﷺ بنعم ظاهرة عرفوها فيه. فقد ألفوه كامل العقل

---

(١) سورة القلم: ١ ـ ٤ والمراد بالقلم: جنس القلم، وهو واقع على كل قلم يكتب به من في السماء ومن في الارض. وأقسم به لكثرة فوائده وكونه وسيلة التعبير به: عن العقل. أو المراد القلم الذي خط في اللوح المحفوظ ـ كما وردت بذلك الآثار. انظر تفسير الآيات في التفسير الكبير ـ للرازي ج ٣٠ ص ٧٨ ـ ٨٠.

تام الفصاحة ذا سيرة مرضية بريئاً من كل عيب متصفاً بكل مكرمة . فظهور هـذه النعم المحسوسة عليه ينافي وجود الجنون فيه . وهذا واضح لـكل ذي لب وضوحاً لا يحتاج إلى بيان .

وأنت ترى أنا فسرنا قـوله : (بنعمة ربك) حسب عموم اللفظ فاشتمل على النبوة وغيرها من نعم الله على محمـــد ﷺ . واليه ذهب الرازي والألوسي . لكن ذهب أبو حيان إلى أن المراد منه العقل والشهامة فقال : (والمعنى : استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسداً ، وأنه من إنعام الله تعالى عليه بحصافة العقل والشهامة ؛ التي يقتضيها التأهيل للنبوة ؛ بمنزلة) [1] .

وذهب ابن كثير إلى أن المراد من (نعمة ربك) النبوة . وذهب أبو السعود إلى أن المراد النبوة والرياسة . **ونحن لا نرى موجباً لهذا التخصيص فاللفظ عام** ، ولا يصرفه عن العموم أن الآية نزلت بسبب اتهامهم الرسول بالجنون لما جاءهم بالنبوة ، فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وأعلا الله مقام رسوله فأغدق عليه ثوابه (وان لك لأجراً غير ممنون) فستنال يا رسول الله جزيل المكافأة ثواباً مستمراً لا ينقضي . فأنت تستأهل ذاك على نهوضك بأعباء الرسالة ، فانك تحملت من القوم الطعن الخبيث والاختلاق القبيح ، ورفضت أن تعوقك مواقفهم عن دعوة الخلق إلى الله ، فأعلنت النبوة وقدمت المعجزات .

(وإنك لعلى خلق عظيم) وأنى للعاقل أن يقبل تهمة الجنون في

---

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص ٣٠٨ – وانظر التفسير الكبير للرازي جـ ٣٠ ص ٨٠ وروح المعاني جـ ٢٩ ص ٢٤ .

صاحب الأخلاق الحميدة والافعال المرضية الطاهرة . فأفعال المجانين مختلة يخترمها الفساد ، وأخلاقهم ينخرها السوء ويملوها التناقض والاضطراب . ومحمد ﷺ متمكن في الأخلاق الشماء العظيمة ، فهي طوع بنانه ، بل هي طبعه الذي لا يتكلفه ولا ينفك عنه بحال (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين)[١] .

وقد دل سلوكه الرفيع باستمرار على أصالة هـذا الخلق العظيم في نفسه . عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ . ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال : لبيك ، فلذلك أنزل الله عز وجل (وإنك لعلى خلق عظيم)[٢] .

الثاني - أن الاتصاف بالخلق العظيم لا بد فيه من الصدق والأمانة والشجاعة والجرأة في الحق والجهاد في سبيله .. وهذا يقتضي أهلية محمد ﷺ لتلقي فيض النور الالهي وصدقه في دعوى النبوة ، وأنه حقاً مبلغ عن الله تعالى رسالته . وقد استدلت على ذلك السيدة خديجة رضي الله عنها في حديثها إثر نزول الوحي على رسـول الله ﷺ أول مرة فقالت : (كلا والله ما يُخزيك اللهُ أبداً . انك لتصل الرحم وتحملُ الكَلَّ وتَكْسِبُ المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق)[٣] .

---

(١) سورة ص : ٨٦ .

(٢) سورة القلم : ٤ . والحديث رواه أبو الشيخ الاصبهاني : أخلاق النبي ص ١٧ .

(٣) رواه البخاري : باب كيف كان بدء الوحي . وسنذكر الحديث بطوله ونشرح الفاظه في فصل ظاهرة الوحي ان شاء الله تعالى .

لقد أدركت خديجة رضي الله عنها أن هذا اليتيم قد نشّأه الله النشأة القوية السامية ، وقذف في صدره النور الهادي والالهام الموفق ، فأهله بذلك لتلقي الوحي الالهي . قال ابن حجر في شرح كلام خديجة رضي الله عنها: (استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً - يريد قولها : والله ما يخزيك الله أبداً - بأمر استقرائي . ووصفته بأصول مكارم الاخلاق ، لأن الاحسان إما إلى الأقارب أو إلى الاجانب ، وإما بالبدن أو بالمال وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفته به)[١] .

لقد عهده قومه منذ طفولته صادقاً أميناً وفياً كريماً محسناً حليماً رحيماً . وها هو يأمرهم بالصدق والعفاف والبر والتقوى ويبلغهم القرآن الكريم بما انطوى عليه من حقائق الغيب التي يستحيل تلقيها إلا من الملائكة المرسلين عليهم الصلاة والسلام .

وثبوت صدق محمد ﷺ في دعوى النبوة بدلالة اخلاقه طريق يأنسه العقل الراجح . وقد أدركه هرقل ملك الروم ، فسأل أبا سفيان عن الرسول أمام نفر من قومه : (فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان : لا) فعلق هرقل قائلاً (فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله) وكان فيما سأله : (ماذا يأمركم ؟) فأجاب أبو سفيان (يقول : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة) فعلق هرقل بقوله : (فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميّ هاتين ..)[٢].

---

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٩ .
(٢) رواه البخاري ومسلم وسنعرضه بتمامه إن شاء الله .

وخلاصة قولي : إن في كل من المَوطنين (بنعمة ربك) و(وانك لعلى خلق عظيم) لفتة بارعـــة دقيقة جرت مجرى الدلالة اليقينية . أما الأولى فدلت على كذب زعمهم وكشفت شناعة افترائهم . ووردت الثانية تثبت أهليته للنبوة ، فصاحب الأدب الجم والخلق العظيم يليق بالنبوة وأهلُ الصدق والاستقامة والفضل يربأ بنفسه عن ادعاء ما ليس متحققاً فيه . وهكذا أعقب نفي تهمة الجنون بدليل الاثبات ، فألقى في الروع أن نبوة محمـــد ﷺ حقيقة واقعة لا مندوحة لعـقل عن التسليم والايمان بها .

ب ـ استدلال العلماء بأخلاقه على نبوته :

يبدو أن الامام القدوة أبا الحسن علي بن محمد الماوردي كان أسبق أهل العلم إلى الاستدلال بأخلاق رسول الله ﷺ على نبوته ، وذلك من جهتين كما يتبين للمتأمل :

الاولى ـ أن هذه الاخلاق العاليـــة تحمل صاحبها على الصدق والامانة ، وتحفظه من الانزلاق إلى هاوية الكذب في الامور العـــادية فضلاً عن أجل الامور وهو النبوة . فقد اشتهر الرسول ﷺ في قومه بالصدق والأمانة ، حتى لقبوه : الأمين . وهذا دليل على صدقـــه في نبوته ورسالته .

قال الماوردي : (ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرســالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة . ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم . ومن عُصم منه (يعني الكذب) في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم . وحسبك بهذا دفعاً لجاحد ورداً لمعاند)(١) .

---

(١) اعلام النبوة للماوردي ص ١٤٩ .

الثانية - أنه ﷺ قد بلغ في خصاله رتبة من الكمال يعجز الناس عن ادراكها . فلم يكن في عصر الرسول ﷺ ولا فيما بعده من داناه في كماله خلقاً وقولاً وفعلاً . وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه : (وإنك لعلى خلق عظيم) . وبين الامام الماوردي وجه اعتبار أخلاقه ﷺ معجزةً وأنها من دلائل النبوة . فقال :

(فان قيل فليست فضائله دليلاً على نبوته ولم يسمع بنبي احتج بها على أمته ولا عول عليها في قبول رسالته ، لانه قد يشارَك فيها ، حتى يأتي بمعجز يخرق العادة فيُعلم بالمعجز أنه نبي لا بالفضل !!

(قيل : الفضل من أماراتها وان لم يكن من معجزاتها . ولأنَّ تكامل الفضل مُعوز فصار كالمعجز . ولأن من كمال الفضل اجتناب الكذب . وليس مَنْ كذب في ادعاء النبوة بكامل الفضل . فصار كمال الفضل موجباً للصدق ، والصدق موجباً لقبول القول . فجاز أن يكون من دلائل الرسل) (١) .

وصفوة القول : ان توفر هذه الاخلاق والفضائل المثالية المتكاملة في أعلى مستوى من الجلال والجمال في سيدنا رسول الله ﷺ خاصة ؛ برهان ساطع على صدقه في نبوته ورسالته . وقد قدم حجة الاسلام الامام فخر الدين محمد بن عمرو الرازي دراسة كاملة عن دلالة أخلاق وصفات محمد ﷺ على نبوته (٢) . وتابعه عليها بتمامها وكمالها الامام محمد

---

(١) اعلام النبوة للماوردي ص ١٤٢ .

(٢) الاربعين في أصول الدين للرازي ص ٣٠٩ - ٣١٠ وقد توفي سنة ٦٠٦ هـ رحمه الله تعالى .

ابن المرتضى اليماني المعروف بابن الوزير (١) . فعرض مذهب الرازي مع تذويق لبعض الكلم فيه غير أنه لم ينسبه اليه . وقد عد الامام الرازي الصفات المحمدية من المعجزات الحسية . واليك موجز ما ذكره عن أوصافه :

الأول : أنه صادق ولم يسمع أحد منه كذباً في أمور الدين ولا في أمور الدنيا .

الثاني : أنه ما فعل قبيحاً منفّراً عنه لا قبل النبوة ولا بعدها .

الثالث : أنه لم يفر عن أحد من أعدائه لا قبل النبوة ولا بعدها مهما عظمت الشدائد .

الرابع : أنه كان عظيم الشفقة على أمته .

الخامس : أنه كان في أعظم درجات الكرم والسخاء .

السادس : أنه ما كان للدنيا في قلبه وقع .

السابع : أنه كان في غاية الفصاحة مع أنه لم يعانِ صناعة الكلم .

الثامن : أنه بقي على طريقته المرضية من أول عمره إلى آخره .

التاسع : أنه كان مع أهل الدنيا والغنى في غاية البعد عن المطامع والترفع عنها ؛ ومع الفقراء والمساكين في غاية القرب منهم والتواضع لهم واللطف بهم .

العاشر : **أنه كان عليه الصلاة والسلام في كل واحدة من هذه الاخلاق الكريمة في الغاية القصوى من الكمال . وكان متمكناً فيها مستجمعاً لها باسرها . ولا يتفق ذلك لأحد من الخلق غير أهل العصمة من الله تعالى . فكان اجتماع ذلك في صفاته من أعظم المعجزات .**

---

(١) وهو من مجتهدي القرن الثامن الهجري . انظر كتابه : ايثار الحق على الخلق ص ٨٠ .

وقد عد الامام الماوردي رضي الله عنه من دلائل نبوته ﷺ هذه الخصلة من فضائل فعاله وهي (ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير لطعام أهله . وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقيال(١) لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخراً ويتباهون بها فخراً ويستمتعون بها أشراً وبطراً . وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى ديناراً ولا درهماً لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن ، ويعطي الجزل الخطير ويصل الجم الغفير ، ويتجرع مرارة الاقلال ويصبر على سغب الاختلال ، وقد حاز غنائم **هوزان** وهي من السبي ستة آلاف رأس ومن الابل أربعة وعشرون ألف بعير ومن الغنم أربعون ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية . فجاد بجميع حقه وعاد خلوا . .

(وروى الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن ترك دَيْنا فعليَّ ، ومن ترك ما لا فلورثته »

(فهل مثل هذا الكرم والجود كرماً وجوداً . . أم هل لمثل هذا الاعراض والزهادة اعراضاً وزهداً !! ؟ هيهات ! هل يُدرَكُ شأوُ مَنْ هذه شذور من فضائله ويسير من محاسنه التي لا يحصى لها عدد ولا يدرك لها أمد . لم تكمل في غيره فيساويه ، ولا كذب بها ضد يناويه . ولقد جهد كل منافق ومعاند وكل زنديق وملحد أن يزرى عليه في قول أو فعل ، أو يظفر بهفوة في جد أو هزل فلم يجد اليه سبيلاً وقد جهد جهده وجمع كيده . فأي فضل أعظم من فضل تشاهده الحسدة والاعداء فلم يجدوا فيه

(١) (الاقيال) : جمع قيل . والقيل : الملك من ملوك اليمن في الجاهلية دون الملك الاعظم .

مغمزاً لثالب أو قادح ولا مطعناً لجارح أوفاضح !؟ فهو كما قال الشاعر :

شهد الانام بفضله حتى العدا ★ والفضل ماشهدت به الاعداء

(.. فكان ذلك من أوضح الشواهد على صحة نبوته وأظهرالامارات في صدق رسالته فما ينكرها بعد الوضوح الا مفضوح. والحمد لله الذي وفق لطاعته وهدى إلى التصديق برسالته)[١].

وكان إعراضه ﷺ عن الدنيا بكل ما فيها من مال أوجاه . فقد آمنت به الجموع ودانت له الجزيرة العربية بأسرها فلم يُقِمْ لنفسه من مظاهر الابهة وعظمة الملك ما كان شائعاً معتاداً . ولم يرض أن يعظمه الناس تعظيم الأعاجم لملوكها ولا أن يبالغوا في الثناء عليه مبالغة النصارى في عيسى ابن مريم . فقال: (لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد الله ، فقوله : عبد الله ورسوله)[٢] لم يُسخر رسول الله أحداً في قصر له أو حديقة . . ولم يُذلّ امرءاً في خدمته . ولم يتعال على الناس ويهيمن عليهم شأن الملوك . وذلك وقوفاً منه عند حدود رسالته التي رسمها الله (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر)[٣].

وانطلق الدكتور محمد عبد الله دراز على نفس المنحى ببيان شاعري وجداني عقلي ملزم. فقال :

(واعلم انك مهما أزحت عن نفسك راحة اليقين ، وأرخيت لها عنان الشك وتركتها تفترض أسوأ الفروض في الواقعة الواحدة والحادثة

---

(١) اعلام النبوة : ص ١٥٤ ـ ١٥٦ .

(٢) رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه . (الفتح الكبير للسيوطي ج ٣ ص ٣٢٩)

(٣) سورة الغاشية : ٢١ ـ ٢٢ .

الفذة من هذه السيرة المكرمة ، فانك متى وقفت منها على مجموعة صالحة لا تملك أن تدفع هذا اليقين عن نفسك إلا بعد أن تتهم وجدانك وتشك في سلامة عقلك . فنحن قد نرى الناس يدرسون حياة الشعراء في أشعارهم، فيأخذون عن الشاعر من كلامه صورة كاملة تتمثل فيها عقائده وعوائده وأخلاقـــه ومجرى تفكيره وأسلوب معيشته . ولا يمنعهم زخرف الشعر وطلاؤه عن استنباط دخيلته ، وكشف رغوته عن صريحه . وذلك أن للحقيقة قوة غلابة تنفذ من حجب الكتمان ، فتُقرأ بين السطور وتعرف في لحن القول . والانسان مهما امعن في تصنعه ومداهنته لا يخـــلو من فلتات في قوله وفعله تنم على طبعه إذا أُحفظ او أُحرج او احتاج او ظفر او خلا بمن يطمئن إليه .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة : وان خالهـا تخفى على الناس تُعلم

فما ظنك بهذه الحياة النبوية التي تعطيك في كل حلقة من حلقاتها مرآة صافية لنفس صاحبها ، فتريك باطنه من ظاهره ، وتريك الصدق والاخلاص ماثلاً في كل قول من اقواله وكل فعل من افعاله . بل كان الناظر اليه إذا قويت فطنته وحسنت فراسته يرى اخلاقه العالية تلوح في محياه ولولم يتكلم او يعمل . ومن هنا كان كثير ممن شرح الله صدورهم للاسلام لا يسألون رسول الله على ما قال برهاناً . فمنهم العشير الذي عرفه بعظمة سيرته ، ومنهم الغريب الذي عرفه بسيماه في وجهه . قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة ، انجفل الناس إليه . وقيل : (قدم رسول الله ! قدم رسول الله !) فجئت في الناس لانظر إليه ، فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . رواه الترمذي بسند صحيح)[١] .

---

(١) النبأ العظيم ص ٢٧ ـ ٢٨ .

نماذج حية من أخلاقه عليه الصلاة والسلام

وانما يدعونا الى الاسهاب قليلاً في الحديث عن اخلاق سيد ولد آدم ﷺ ؛ ان الاخلاق فضائل نفسية لا تُعرف حقيقتها ومستوياتها الا اذا شقت طريقها الى الواقع العملي ، فشوهدت ماثلة للعيان على بساط الطبيعة والعلاقات الاجتماعية. وليس الذي نعرض له الا غيضاً من فيض وقطرة من بحر أخلاقه ﷺ بل هو شعاع واحد من نور وهاج شاسع عريض ، غشي الانسانية فأضاء لها سبل الخلق ، بعد ان عميت عليها بالجهالات والضلالات والمظالم .

ومثوله ﷺ بأخلاقه امام البشرية يسمو بخواطرها الى صورة الكمال القائمة في نفسه . فيثبت لها انه كمال مثالي ممكن في جنسه غير ممتنع وواقع ليس بخيال . فيتمكن بذلك من تحقيقه فيهم بالقدر الذي يتسع له ذرعهم ويحتمله نقصانهم .

اما ملاحدة زماننا فكلما ألجمتهم بالحجة ودمغت باطلهم بالبراهين الساطعة فأزهقته ، سلكوا سبل النفاق . فزعموا ان مبادئ الاسلام وأخلاقه ومثله وقيمه كمالية مثالية ، تخور دونها عزائم البشر وتتخاذل عنها هممهم . لكن ثبت لديك في السيرة والتاريخ ان اصحاب الرسول ﷺ وتابعيهم عبر القرون قد تحلوا بهذه الأخلاق والمثل على نحو مستمر مطرد ، لا يتخلف ولا يتحول بتحول المصالح الشخصية والمنافع الذاتية . ويدل هذا دلالة قوية بالغة على انسجام وتعانق بين تلك الأخلاق والخصال وبين واقع الحياة

م / ١٤

الانسانية وطبيعة العلاقات الاجتماعية . فهي أخلاق مثالية سامية ، وواقعية ممكنة ، نابعة عن ايمان عميق بالله جل شأنه . وهذا هو سر روعتها وخلودها .

واليك خصالاً حية من أخلاقه عليه السلام[١] جابه بها الحوادث على بساط الواقع . فهي آيات بينات على ان لصاحبها سنداً الهياً يلهمه ويهديه . فكان ولا زال خير مثال تقتدي به الانسانية في الفضائل ومكارم الأخلاق .

١ ـ رعايته الايتام والارامل والفقراء :

ومن بواكير التوجيهات الخلقية في القرآن ما خاطب الله به نبيه في سورة الضحى مباشرة فقال : (الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر . واما السائل فلا تنهر . واما بنعمة ربك فحدث) .

امتن الله على رسوله بأن آواه من يتم فهيأ له من يكفله . ثم امتن عليه بالنعمة العظمى التي خصه بها دون سائر الناس ، فجعله خاتم المرسلين فعرفه شريعته بعد اذ كان جاهلاً بها غافلاً عنها . واعقب ذلك بذكر نعمة امتدت ملازمتها للرسول منذ طفولته الى ان تنزلت عليه السورة بعد بعثته ، وظل ينعم بها طيلة عمره ، فقد انتشله الله من وهدة الفقر والاحتياج بنعمة الغنى والاكتفاء . وتتابعت التوجيهات القرآنية المناسبة للمقام حتى اصبح الرسول في حالة شهود لألوان عظيمة من المنة الالهية ، فخوطب من ناحيتها واحدة إثر اخرى .

---

(١) ومن أراد المزيد عما نذكره فعليه بكتاب : الشمائل المحمدية للترمذي والشفاء للقاضي عياض ـ وشرحه لملا علي القاري ـ وكتاب أخلاق النبي من رواية أبي الشيخ الاصبهاني ـ وعليه بكافة كتب السنة والسيرة يجد فيها الامثلة والنماذج العديدة في مظانها ومنبثة في تضاعيف عامة موضوعات تلك الكتب .

أيها اليتيم : لقد صانك الله في يتمك . فاحفظ الأيتام مجتنباً طريقة الجاهليين في اكل اموال اليتامى ظلماً ، استخفافاً بشأنهم وطمعاً في اموالهم . اعطف على الايتام فانهم حرموا الحنان والود ، فهم اجدر بالرعاية والعطف . فكان الرسول ﷺ القدوة في رعاية الايتام والاحسان اليهم .

فهذا انس بن مالك يتيم الاب ، تزوجت امه من ابي طلحة فدفعت أنساً الى رسول الله وهو ابن عشر سنين وقالت له : هذا انس غلام يخدمك . فقبله الرسول وآواه اليه فأمضى في كنفه وخدمته عشر سنين ، حظى فيها بكرم الايواء وحسن الرعاية والتوجيه . فشهد من خلال معاملة الرسول له بأنه احسن الناس خلقاً فقال رضي الله عنه : (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفّ قط ، وما قال لي لشيء صنعتُهُ : لِمَ صنعتَهُ ؟ ولا لشيء تركتُهُ : لِمَ تركتَهُ) (١) .

وقد بين عليه الصلاة والسلام ان المرأة التي تحبس نفسها على ايتامها فتبذل غاية الجهد وتحتمل في تربيتهم المشقة والضنك وتحرم نفسها نعيم الشباب إنما تنال عند الله مكانة كريمة قرب نبيه في عليين : (انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة ، وأومأ بالوسطى والسبابة ، امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا او ماتوا) (٢).

وأمضى الرسول عليه السلام حياته براً بالايتام والضعفاء والأرامل.

---

(١) الشمائل المحمدية للترمذي ص ٢١٧ . وانظر الاصابة جـ ١ ص ٨٤ وجـ ٤ ص ٤٤١ – ٤٤٢ وانظر أخلاق النبي ص ٢١ .

(٢) رواه أبو داود . ومعنى سفعاء الخدين : متغير لون خديها من التعب والارهاق . آمت : صارت بلا زوج . بانوا : كبروا أو استغنوا عنها . انظر التاج الجامع للاصول جـ ٥ ص ١٤ .

وأعلن بأنه ولي من لا ولي له من المسلمين . فكان لهم الأب الرؤوف الرحيم . كما حض المسلمين على انتهاج خطته ﷺ في الايتـــام فقال : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بأصبعيه السبابة والوسطى) [1] .

وتتابع الخطاب الالهي (واما السائل فلاتنهر) يلمس فؤاد محمـد ﷺ من جنب ثان من النعم التي كساه بها : ايها العائل الذي لم يرث مالاً ولا عقاراً لقد كنت خالي الوفاض من متاع الدنيا وزينتها فأعطاك الله ما كفاك ورزقك عفة النفس مع القليل فأغناك . لاتنس الفقراء المحتاجين ولا ترد السائلين اللائذين بل اعط ما استطعت إلى العطاء سبيلاً . ولا تدخر جهداً في رد لهفة المستغيثين والملهوفين .

فكان اجود الناس جميعاً وكان الخير يتدفق من بين يديه وفـيراً يسابق الريح المرسلة فيما تأتي به من سحب تهطل منها الأمطار مدراراً ، فيعم الري والخصب البلاد والعباد .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ اجود الناس بالخير واجود ما يكون في شهر رمضان . لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فاذا لقيه جبريل كان اجود بالخير من الريح المرسلة) [2] .

---

(١) رواه الاربعة . وروى مسلم نحوه . ومعنى قوله : قال بأصبعيه : أشـــار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما . التاج الجامع للأصول ج ٥ ص ١٣ تأليف : منصور علي ناصيف .

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب فضائل القرآن ج ٣ ص ٢٢٧ وكتاب الخلق : باب ذكر الملائكة ج ٢ ص ٢١٣ . وانظر الشمائل المحمدية للترمذي ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

وامضى الرسول عمره ينفق كل ما تصل إليه يداه من المال لا يدخر منه شيئاً خشية املاق في غدٍ او بعده ، بل يعطي عطاء من لا يخشى فقراً . فاذا نَفِـد ما عنده وجاءه سائل ، فغاية الجود فيما تظن أن يرده معتذراً عن عطائه اليوم ، يعده اياماً ويؤمله العطاء .. لكن الرســـول يخيب ظنك في هذا الذي تراه غاية في الجود .

(عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلاً جاء الى النبي ﷺ فسأله ان يعطيه فقال النبي ﷺ ما عندي شيء ولكن ابتع عليّ ، فاذا جاءني شيء قضيته . فقال عمر : يا رسول الله قد اعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه . فكره ﷺ قول عمر . فقال رجل من الانصار : يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا ، فتبسم رسول ﷺ وعُرف في وجهه البشر لقول الانصاري ثم قال : بهذا أُمرت)[1] .

لقد استجاب محمد ﷺ لامر ربه استجابة تفوق التصور وتتجاوز حدود التحمل . فصار أجود الناس وأجود بالخير من الريح المرسلة . وأعطى عطاء من لا يخشى فقراً . فاذا نفد ما عنده امر السائل ان يستدين عليه . لقد أدرك بهذه الخلال ذروة الكمال التي عجزت عنها همم الرجال ولم تبلغها آمالهم . فثبت بذلك انه رسول الله حقاً وصدقاً .

ثم يأتي الخطاب الى رسول الله جامعاً شاملا ما سبق ، يوجه قلبه الى المنعم المتفضل ، منشطاً له على ذكر نعمائه دائماً لا يغفل عنها لحظـــة

---

(١) الشمائل المحمدية ـ للترمذي ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ وليس المراد من (السائل) في الآية صاحب الحاجة المادية فحسب بل يشمل المستفسر عن علم أو حكم من شرع الله عز وجل . وسيرة الرسول زاخرة بالامثلة التي تدل على مزيد اهتمامه بهذا الصنف من السائلين رجالاً كانوا أم نساء .

(واما بنعمة ربك فحدث) فقد آواك وانت يتيم ، واعطاك وانت عائل محتاج ، وانقذك بالهداية الى الشريعة وانت غافل عنها جاهل بها ، فحدث بجلائل النعم التي حباك الله بها واقتد بالكريم سبحانه فأغدقْ على من حولك ما استطعت من الاغداق . ولا تنس ابداً فضل الله العظيم عليك ، بل اجهر به يعرفه الناس فان التحدث بالنعمة شكر لها . وتحدثك بنعمة الله الشاملة عليك تعويد لهم على ملاحظة النعمة وشهود المنة الالهية . وهذه من ارقى عبادات المتقين المتقربين الى الله . وذكرك نعمة الله تعريف للمؤمنين بنعمة الله عليهم . فالانعام على نبيهم الذي اعده الله لانقاذهم انعام عليهم . (١)

٢ ـ صبره ﷺ :

وما الذي يحمله على الصبر .. وما اهمية الصبر بالنسبة اليه . ؟

انه الشريفُ في قومه ؛ المحترم لدى الناس ولا غرو ! فانه الصادق الأمين . يتسامعون به فيجلونه وكثير منهم لم يره بعد !

ثمة عوامل تدعوه إلى الصبر ؛ رسالة بُعث بها ، ودعوة اُمر ان يبلغها القريب فالبعيد (وانذرْ عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (٢) .

ومقام اقامه الله به في قومه ينبغي ان يؤدي واجباته جميعاً من بشارة ووعد إلى نذارة ووعيد . وشهادةٌ يشهد بها يوم الحساب على الجمع كله (يا ايها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ولا تطع الكافرين

---

(١) راجع تمام تفسير سورة الضحى في هذه الرسالة ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) سورة الشعراء : ٢١٥ .

والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً)[١] .

ان عليه أن يصبر فيما يتصل به أولاً ، وفيما يتصل بدعوته ثانياً .
أما في الحال الأول فانه رسول قدوة يتأسى به المسلمون فهو القدوة لهم في الصبر على نوائب الزمان وصروف الأيام يحتسب أجره عند الله فيما يلم به من بؤس وفاقة وضر وفقد عزيز . فها هو رسول الله ﷺ يحمل بنتاً لابنته زينب وقد أشرفت على الموت فتدمع عيناه رأفة بها . فبكاؤه في جليل المصائب قاصر على دمع العين ـ لكن أم أيمن حاضنة الرسول ﷺ أجهشت بالبكاء فمنعها تعويداً لها على الصبر والاحتساب . فقالت : ألستُ أراك تبكي . فقال ﷺ : (اني لست أبكي إنما هي رحمة ، إن المؤمن بكل خير على كل حال ، ان نفسه تُنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل)[٢] .

وهذا أخوه من الرضاعة عثمان بن مظعون ، قرشي أسلم في مكة بعد ثلاثة عشر رجلاً ، يفجع موتُهُ رسول الله ﷺ فتنهمر دموعه حزناً عليه . ويمسك نفسه صابراً محتسباً إمساكاً ينبىء عن رجولته العالية الفريدة[٣] . وما كانت هذه النماذج العالية من الصبر إلا تلبية لأمر الله تعالى .

(واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)[٤] .

(واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)[٥] .

---

(١) سورة الاحزاب : ٤٥ .

(٢و٣) انظر الحديث بنصه التام في الشمائل المحمدية للترمذي : ص ٢٠٢ـ ٢٠٣ .

(٤) سورة ق : ٣٩ . (٥) سورة الاحقاف : ٣٥ .

(واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضَيْق مما يمكرون) (١) .

وكما صبر على ما ألم به من صروف الأيام صبر على ما نزل به من كيد الكائدين الكافرين وعاش مترفعاً عن المطامع والمغانم فلم يشبع محمد وآل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ ، وكانوا يمكثون الشهر ما تُوقد لهم نار للاضاءة أو الطبخ ، فما كان طعامهم إلا التمر والماء . وصبر عليه السلام على الاضطهاد والقاء الأقذار والأشواك في طريقه . بل على ضرب سفهاء وصبيان بني ثقيف إياه بالحجارة حتى سالت الدماء . وصبر عليهم ثلاث عشرة سنة يعاندون ويكابرون ويبالغون في الايذاء ، لحزن عليهم أن تفوتهم سبيل الهداية ، وتألم لذلك فؤاده حتى عاتبه في ذلك ربه : (فلا تذهبْ نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون) (٢) . (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) (٣) .

ولم ينج الرسول من أذى المشركين حين هاجر إلى المدينة . فقد جمعوا الجموع لحربه ، وظهر في المدينة طائفة أخرى من الأعداء المتربصين بطريقة ماكرة خبيثة . هؤلاء المنافقون ينشرون الاشاعات ويبغون الفتنة ويستغلون الظروف تثبيطاً للمؤمنين وايذاء لرسولهم . وقد افتضح أمر بعضهم . إذْ قالوا : اذهبوا إلى محمد فاحلفوا يصدقكم ، فانه يصغي باذنه مصدقاً كل متحدث فاذا حلفنا له صدقنا . فبين الله تعالى أن الرسول يصغي بنباهة يميز بها الصادق من الكذوب من غير غفلة أو تساهل .

(١) سورة النحل : ١٢٧ .   (٢) سورة فاطر : ٨ .
(٣) سورة الكهف : ٦ وباخع نفسك : مهلكها .

فيصدق المؤمنين بالله ويكذب المنافقين ويكشف خفايا نفوسهم (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذُنٌ ، قلْ أُذُنُ خيرٍ لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) (١)

ان صبره ودأبه في تبليغ دعوته سنيناً طوالاً دون كلل أو ملل، لهو من أقوى الادلة على صدقه وامانته فيما يبلغ عن ربه . فان ما نزل به من صنوف البلاء لو عرض على أعتى الرجال وأكثرهم جلداً وصبراً ليحتمله فينال به الدنيا وزخرفها لأعرض عنه ايثاراً للسلامة . ومع ذلك فقد احتمل الرسول ما احتمل فلما أُحضرت له الكنوز والأموال ترفّع عن ادخار شيء واكتنازه . ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يخلف لذويه ميراثاً .

٣ ـ لين جانبه ﷺ :

أرادَ المشركون بعد الهزيمة النكراء التي حلت بهم في غزوة بدر أن يثأروا لقتلاهم ، فحشدوا جموعَ العربِ واتجهوا الى المدينة المنورة . فشاوَرَ الرسول صحبه فيما يفعله . وكان رأيه ورأي عليةِ الصحابة البقاء في المدينة حتى يأتيهم العدو ، فان دخلها أمكنهم قتاله جميعاً رجالاً ونساءً وصبياناً في الأزقة ومن أسطحة المنازل بالحجارة فيمزقونه بدداً . لكن جمهرة الصحابة ومعظمهم الشبان الذين فاتهم حضور غزوة بدر تحمسوا للخروج للعدو رغبة في لقائه . وأصروا على رأيهم فنزل رسول الله عن رأيه الى رأيهم . وخرج رسول الله في ألف مقاتل ، لكن عبدالله بن

---

(١) سورة التوبة : ٦١ .

أُبيّ ابن سلول رأس النفاق حرن في الطريق ورجع بثلث الجيش . وكلف رسول الله ثُلة من مهرة الرماة ان يتبوؤا مراكز في موقع منيع في جبل أحد يمكّنهم من رد خيل العدو عن المسلمين ولا يمكّن العدو منهم وقال لهم الرسول ﷺ (انضحوا الخيل عنا ، ولا نؤتينّ من قبلكم ، والزموا مكانكم ان كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم) وانتصر المسلمون أولَ النهار وجعلوا يجمعون الغنائم ويتعقبون فلول المنهزمين فنزل معظم الرماة عن الجبل ـ خلافاً لأمر رسولهم ـ فدخلت خيل المشركين من تلك الثغرة وفعلت بالمسلمين الأفاعيل وانهزم معظم المسلمين وبقي الرسول في اثني عشر رجلاً من صحبه فحاصره العدو فأصيبت رباعيته وشج في وجنته وكُلمت شفته وقتل سبع من صحبه (١)

بعد هذا العصيان الذي أنزل بالمسلمين نكبة أليمة ، لقي رسول الله أصحابه فواساهم في مصابهم وعزاهم بقتلاهم بشفقة ورأفة وتسامح ولين . لقد اغضى عما كان وراح يعالج الأمر فيما آل اليه . فأنزل الله عز وجل قوله (فبما رحمةٍ من اللهِ لنتَ لهم ولو كنتَ فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمتَ فتوكلْ على الله إن الله يحب المتوكلين) (٢) .

والفاء للترتيب . فان السياق السابق على الآية ذكر فرارهم عن رسول الله ﷺ ، والحرب قائمة على سياق ؛ وحياض الأهوال مترعة . فأفاد ان الفارين استحقوا اللوم والتعنيف من الرسول ﷺ بمقتضى الجبلة

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٠٠ وما بعدها . وانظر كتب السيرة . وكان عدد المسلمين نحو سبعمائة رجل ، وعدد المشركين ثلاثة آلاف رجل .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

البشرية . لكن الله رتب لحالهم تلك سمة الأخلاق النبوية رحمـــة منه سبحانه وتعالى (١) .

روى ابو الشيخ الاصبهاني عن الحسن البصري رضي الله عنه في قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) .

قال : هذا خُلُق محمد ﷺ نعته الله عز وجل به (٢) .

خاطب الله رسوله ان تأمل ـ يا محمد ـ فيما منحهم الله ـ على الرغم مما كان منهم ـ فقد ألانَ الله لهم برحمته قلبك وأسال عليهم عطفك وبرك . فليقدروا هذه الرحمة الالهية المتمثلة في حقيقة النبي بأخلاقه السامية وسجيته الخيرة الكريمة وطبيعته الهينة اللينة السمحاء . فقد أعدها الله لتجتمع بها القلوب وتتعارف النفوس وتتألف الأفئدة . فلو كنت فظاً جافي المعاشرة قولاً أو فعلاً ، ولو كنت غليظاً قاسيَ القلب غليظ الكبد قليل الشفقة إذن لتفرقوا عنك أشلاء وأجزاء . إنهم أحوج ما يكونون الى كنف رحيم وسماحة ندية دافقة . ووجه بشوش طلق ورعاية مفعمة بالحنان الكثير والود العريض . ولا ريب أن الله حباه هذه الخصال تمكيناً له من القيام بأعباء الرسالة . فلولا هـذا التأهيل الالهي الخاص برسوله ، لنشأ متطبعاً بطباع الجاهلين من شراسة الخلق وقساوة القلب ، ولضاق بالعرب وغيرهم ذرعاً فتفرقوا عنه . قال الألوسي : (في الكلام حذف ، اي لو كنت فظاً غليظ القلب فلم تَلِنْ لهم وأغلظت عليهم « لا نفضوا من حولك » اي

(١) و (الباء) متعلقة بلنت ، والتقديم للقصر ، و (ما) مزيدة للتأكيد ، وعليه أجلة المفسرين .

(٢) كتاب أخلاق النبي ص ١٩ وابن كثير ج ١ ص ٤٢٠ ولعله وقع فيـــه تصحيف في قوله (بعثه) بدل (نعته) .

انفرقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا إليك وتردوا في مهاوي الردى ولم ينتظم أمر ما بعثت به من هدايتهم وإرشادهم الصراط) [١].

(فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) فاعف عنهم - على الرغم مما وقعوا فيه - بحلم يتسع لجهلهم ونقصهم وغلطهم واصفح صفحاً جميلاً تتجاوز به عن سيئاتهم واسألِ الله أن يغفر لهم خطأهم ومخالفتهم . وثابرْ على الأخذ بالشورى فانها لا تأتي إلا بخير فهي عماد الحكم في الاسلام . فاذا عزمت على امضاء الأمر بعد المشاورة فلا تتردد ولا تتراجع ، وثق بالله تعالى وفوض الأمر إليه ، فان الفاعلية له وحده - في تصريف الأحداث وترتيب النتائج - لا للشورى أو غيرها - والله يحب من العبد أن يأخذ بالأسباب ويوجه قلبه إليه معتمداً عليه ملاحظاً أنه ذو القوة المتين الفعال لما يريد [٢] .

ولا غرو فقد لمس الصحابة الرحمة الالهية في الاخلاق النبوية فقد كان عليه السلام (أجود الناس صدراً وأصدقَ الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة مَنْ رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه . يقول ناعته لم أرَ قبله ولا بعده مثله) [٣] .

لقد دأب عليه السلام على الرفق بالناس ، فجعل يختار لهم من أمورهم أيسرها وأرحبها ، مجتنباً ما حرمه الله (عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما خُيِّر رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا اختار أيسرَهما ما لم يكن

---

(١) روح المعاني : ٤ : ٩٣ - ٩٤ .

(٢) انظر تفسير الاية في حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ . وروح المعاني جـ ٤ ص ٩٣ - ٩٤ ، وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٣) من حديث سيدنا علي - الشمائل المحمدية للترمذي ص ١٦ - ١٧ .

إثماً . فان كان إثماً كان أبعد الناس منه . وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أنْ تُنتهك حرمة الله تعالى ، فينتقم لله بها) (١) اشتهر رسول الله ﷺ بالكرم ؛ والسماحة ؛ والعفو عند المقدرة على انزال العقاب ، وذلك فيما يتصل بحقوقه الشخصية أما إذا تعدى الناس حدود الدين وتجاوزوا حرمات الله ؛ غضب حتى لم يقم لدرء غضبه شيء إلا تنفيذ شرع الله . لقد اطرح حظوظ الذات ، وأعرض عن مطالب الأنا ، فليس له غرض في التشفي أو الانتقام لحقوقه . وتحلى بأخلاق قرآنية محضة فلم ينطق أو يتصرف في الرضا والغضب والسخط إلا حقاً وخيراً . (عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه) (٢) ، ومن هنا جاء تنازله عن حقوقه الشخصية عجيباً مدهشاً ، واغضاؤه عن اساءة الآخرين فوق تحمل البشر العاديين وطاقتهم ، مما لا يقدر عليه إلا إنسان مؤيد بمدد إلهي عظيم .

فهذا واحد من الأعراب الأجلاف يُغلظ عليه فيحتمله ويضحك له ويكرمه . (عن أنس رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ ، وعليه برد غليظ الحاشية ، فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ، ثم قال : يا محمد احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك ، فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك . فسكت النبي ﷺ ثم قال : المال مال الله وأنا عبده ، ثم

(١) رواه الشيخان وأبو داود ـ انظر شرح الشفاء ج ١ ص ٢٣٦ ، ورواه الترمذي قريباً مما ذكرناه في الشمائل ص ٢٢٠ . ومعنى قط : أبداً .

(٢) رواه ابن المنذر وغيره ـ روح المعاني للألوسي ج ٢٩ ص ٢٥ .

قال : ويُقاد منكَ يا أعرابي ما فعلت بي قال : لا . قال النبي ﷺ : لِمَ ..؟ قال : لانك لا تكافىء بالسيئة السيئة فضحك النبي ﷺ ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر) (١) .

أما احتماله ﷺ للمشركين فقد استمر ثلاث عشرة سنة في مكة ذاق فيها مرارة الاضطهاد والايذاء والمحادّة والمعاداة . واحتمل من الآلام ما لا قِبل لعظماء البشر به عادة . وعرض عليه جبريل أن يطبق عليهم جبال مكة فيسحقهم عن آخرهم :

روى الشيخان أنه ﷺ لما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال : مرني بما شئت ، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين .

قال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً (٢) .

وقد انزل المشركون به في أُحد أذى كثيراً . وقتلوا عمه حمزة ومثلوا به أشنع تمثيل فلم يدعُ عليهم . واستمرت المصاولة بينه وبينهم بعد

(١) رواه الشيخان والبيهقي ـ شرح الشفاء لملا علي القاري جـ ١ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ . البرد : كساء . جبذه : جذبه أو جره . صفحة عاتقه : ما بين كتفه ومنكبه وأما قوله (فانك لا تحمل .. الخ) فهو زيادة للبيهقي على ما في الصحيحين . يقاد منك : أي يقتص منك بمثل فعلك عقاباً لك على أذاك وسوء أدبك وضحك النبي : أي تعجباً من منطقه وتصرفه .

(٢) شرح الشفاء لملا علي القاري جـ ١ ص ٢٧٩ . الأخشبان : جبلان مطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، والأخشب : كل جبل خشن غليظ الحجارة . النهاية جـ ٢ ص ٣٢ .

الهجرة ثماني سنين حتى أظفره الله عليهم اذ داهمهم الرسول في عقر دارهم. وسيق اليه أبو سفيان ، الذي جلب الأحزاب لحربه وتسبب وزوجه بواسطة وحشيّ في قتل عمه حمزة والتمثيل به ، فلاطفه الرسول ودعاه للاسلام فقال : ويحك يا أبا سفيان .. ألمْ يأنِ لك أن تعلم وتشهد أن لا اله إلا الله . فقال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك (١) ثم جعل له مكرمة خاصة لدى اقتحام المسلمين مكة ، فجعل الأمانَ لمن دخل داره (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) . واجتمع الذين حاربوا الله ورسوله يستمعون الى الحُكم فيهم وهم يظنون أن الرسول لن يتوانى عن استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فقال : ما تقولون أني فاعل بكم .. فقالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحمُ الراحمين (٢) .

بانَ لك من ذلك كله تفوق رسول الله ﷺ على الناس أجمعين بسعة الصدر ولين العريكة وكرم العشرة وكظم الغيظ والعفو عن الناس ... حتى رحُب صدره لأجلاف الجاهلية ؛ وهم من اغلظ البشر طبعاً وأقساهم معاملة . وهذا كله يكشف عن تأهيل الله محمداً لمقام الرسالة العظمي ويقرر صدق نبوته .

٤ ـ رأفته ورحمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

اختار الله لدعوته وخاتمة رسالاته محمداً ﷺ من بين العرب ، وأمره أن يبلغهم اياها ، فانهم المكلفون بها أولاً وبالذات . وخاطبهم سبحانه فلفت انتباههم الى صفاته النبوية فقال : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٣) .

(١و٢) شرح الشفاء ج ١ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٧ .   (٣) سورة التوبة : ١٢٨ .

أيها العرب ما لكم تتوقفون عن الايمان بالرسول وقد ابتعثه الله منكم ، فأنتم تعرفون أخلاقه وسجاياه قبل البعثة . وها أنتم ترونه تتمثل فيه خيرة صفات الرسل ، فانه ليصعب ويشق عليه أن يلم بكم - لاصراركم على الكفر - مكروه في الدنيا من هزيمة وذلة وخزي ، أو عذاب في الآخرة عقاباً على ما فرطتم في جنب ربكم ودعوة رسولكم . كان من اشفاقه عليه الصلاة والسلام عليهم أن رجا ربه في معراجه التخفيف عن أمته من الصلوات الخمسين التي فرضها عليهم ، وظل يناجيه فيحط عنهم خمساً بعد خمس ، حتى صارت خمس صلوات فقط . كل صلاة بعشر فذلك خمسون صلاة .

وان رسولكم - أيها العرب - حريص على إيمانكم واهتدائكم واصلاح شأنكم ، وانه ليؤلمه غاية الايلام ويقضُّ مضجعه حزناً وأسفاً عليكم ان لم تؤمنوا برسالة الله . وقد عاتبه في ذلك ربه (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) [1] .

ان رسولكم رؤوف بالمؤمنين عامة عرباً وعجماً ، فهو يشفق عليهم أن تصيبهم معرة مضرة ، وهو في غاية الحرص على دفع الأذى عنهم . وهو رحيم بهم يبذل كل ما في الوسع احساناً اليهم ومحاولة لجلب النفع والخير العميم لهم . وقد خص الله رسولنا ؛ سيد ولد آدم ﷺ ؛ دون سائر الانبياء باسمين من أسمائه تعالى ، فوصفه ههنا بأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) . وقال تعالى (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) [2] .

ومن رأفته بالمؤمنين واشفاقه عليهم انه كان يتعجل في صلاته مع

---

(١) سورة الكهف : ٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ وانظر تفسير الآية في روح المعاني ج ١١ ص ٤٧ وابن كثير ج ٢ ص ٤٠٣ وحاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٣٣١ .

الجماعة اذا سمع بكاء الصغير ، (١) خشية ان يتحول قلب أحد والديه أو بعض المؤمنين عن الخشوع في الصلاة .

ومن رحمته عليه صلوات الله وسلامه أنه خصص للمؤمنين قسطاً من وقته يومياً ، يلقى به ذوي الحاجات فيقضي حوائجهم . ويطلب الى أصحابه أن يبلغوه حاجة المحتاج . وقد وسع الناس بشره وطلاقة وجهه وكريم خلقه ، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء .

(قال الحسين بن علي رضي الله عنهما : **فسألت أبي عن دخول** رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان إذا أوى الى منزله جزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءاً لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه . ثم جزَّأ جزأه بينه وبين الناس ، فيرد بالخاصة على العامة (٢) ولا يدخر عنهم شيئاً . وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل (٣) باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين ؛ فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج . فيتشاغل بهم ؛ ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألتهم عنه ؛ وأخبارهم بالذي ينبغي لهم (٤) . ويقول : ليبلغ الشاهد (٥) منكم الغائب ، وأبلغوني

---

(١) مأخوذ من حديث رواه الشيخان ـ شرح الشفاء ج ١ ص ٢٧٨ .

(٢) (فيرد بالخاصة على العامة) : إن علية الصحابة وأهله يدخلون عليه فيتحدثون عن مصالحهم ومصالح عامة الناس فيقضيها لهم ، ويستمعون للأحاديث فيبلغونها الناس . وهكذا فان الرسول قد خص جزءاً من وقته داخل بيته للعامة تصلهم حصيلته بواسطة الخاصة ، لاستحالة دخول جميع الناس بيته .

(٣) (إيثار أهل الفضل) : تقديمهم على من دونهم .

(٤) وأخبارهم بالذي ينبغي لهم : ويتشاغل بالأخبار المتعلقة بهم كالأحكام التي ينبغي أن يقولها لهم .

(٥) الشاهد : الحاضر .

حاجة من لا يستطيع إبلاغها . فانه من أبلغَ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبَّت اللهُ قدميه يوم القيامة . لا يُذكرُ عنده إلا ذلك ، ولا يقبلُ من أحد غيره . يدخلون رُوّاداً (١) ولا يفترقون الا عن ذواق (٢)، ويخرجون أدلة ، يعني على الخير (٣) .

قال : **فسألته عن مخرجه** (٤) ؟ كيف كان يصنع فيه ؟ قال : كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه . ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويُحذِّرُ الناس ، ويحترسُ منهم ؛ من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه ويتفقدُ أصحابه . ويسأل الناس عما في الناس . ويُحسن الحسنَ ويقويه ، ويُقبِّح القبيح ويوهيه (٥) . معتدلَ الأمر غير مختلف . لا يغفُلُ مخافة أن يغفُلُوا أو يميلوا (٦) . لكل حالٍ عنده عتاد (٧) لا يُقَصِّرُ عن الحق ولا يجاوزه ، الذين يلونه (٨) من الناس خيارُهم ، أفضلُهم عنده أعمُّهم نصيحةً ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرةً (٩) .

---

(١) يدخلون رواداً : راغبين في الاستفادة منه فيما يصلحهم والامة .

(٢) ذواق : أصله : المذوق من الطعام ، والمراد هنا : الاستفادة من العلم والخير .

(٣) أدلة على الخير : هداة للناس .

(٤) فسألته عن مخرجه : عن وقت استقراره خارج البيت .

(٥) يقبح القبيح ويوهيه : يصفه مظهراً قبحه ، ومضعفاً شأنه ويزجر من يرتكبه .

(٦) يميلوا : يتراخوا ويتساهلوا في تطبيق أمر دينهم أو يبعدوا عن نبيهم .

(٧) لكل حال عنده عتاد : أعد لكل عدته ، سواء أكان حرباً أم غيره .

(٨) يلونه : يقربون منه .

(٩) مواساة : احساناً للمحتاجين . مؤازرة : معاونة .

قال : **فسألته عن مجلسه** ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكرٍ وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك . يعطي كلَّ جلسائِهِ بنصيبه ؛ لا يَحْسَبُ جليسُهُ أن أحداً أكرم عليه منه . من جالسه أو فاوَضَهُ في حاجة صابَرَهُ حتى يكون هو المنصرف عنه . ومن سأله حاجة لم يردَّهُ إلا بها أو بميسور من القول . قد وسعَ الناس بَسْطُهُ وخلُقُهُ فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء . مجلسه مجلس حلم وحياء وأمانة وصبر ؛ لا ترفع فيه الأصواتُ ، ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرَمُ (١) ، ولا تُنثى فَلَتاتُهُ (٢) . متعادلين ؛ بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى . متواضعين يوَقّرون فيه الكبير ويرحمونَ فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة (٣) ويحفظون الغريب (٤))(٥) .

هذه رحمة النبيين وأخلاقهم ، جمّل الله بها محمداً في أرفع مستوى فدل على حقيقة أمره وربانية دعوته . وأفاد أن نبوته عين العناية الالهية بالناس ، وأجلى الهداية الربانية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) ولا تؤبن فيه الحرم : لا تعاب فيه أمور الناس التي يحرصون عليها ، فلا غيبة ولا قذف ولا نميمة .

(٢) ولا تنثى فلتاته : لا تشاع الهفوات التي تحصل من البعض في مجلس الرسول .

(٣) يؤثرون ذا الحاجة : يقدمونه ويفضلونه على أنفسهم .

(٤) يحفظون الغريب : أي يوفونه حقه من الاكرام وغيره .

(٥) انظر الحديث تاماً في الشمائل المحمدية ص ٢٠٨ ـ ٢١٣ . وانظر أخلاق النبي ص ٢١ ـ ٢٥ .

٥ - شجاعته ﷺ :

عرف الصحابة رسولهم بالشجاعة ورباطة الجأش وجـرأة الاقدام منذ فجر الدعوة إلى أن اقترب أجله عليه الصلاة والسلام . فهذا موقفه من عمر بن الخطاب بطاش الجاهليـــة يبرهن على شجاعتـــه النادرة وإقدامه القوي .

فقد ذكر ابن هشام في سيرته أن عمر خرج من بيته متوشحاً سيفه يريد أن يبطش برسول الله صلوات الله وسلامه عليه . فلقيه نعيم بن عبدالله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها ، فأقتله .

وأراد نعيم صرفه عن رسول الله فكان فيما أجابه : أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأي أهل بيتي ؟ قال ختنك سعيد بن زيد ابن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعـا محمداً على دينه ، فعليك بهما . فذهب عمر اليهما فسمع صدى قراءة القرآن من بيتهما، فدخله ثم ناقشهما مناقشة حادة مزعجة أصحبها بالضرب والأذى لهما . ثم لان قلبه لقراءة القرآن ، فطلب أن يعرف مكان رسول الله حتى يأتيه فيسلم . فوصل البيت الذي تجمع فيه سراً ضعاف المسلمين لشدة خوفهم من بطش قريش اذا جهروا بدينهم . وكان الرسول يفقههم في دينهم . فقرع عمر الباب ، فنظر اليه من خلل الباب رجل منهم ، فرجع الى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال : يارسول الله هذا عمر جاء متوشحاً بالسيف . فقال عمه حمزة بن عبدالمطلب : فأذن له ، فانْ كان يريد خيراً بذلناه له، وان كان يريد شراً قتلناه بسيفه . فأذِنَ الرسول له بالدخول ، ونهض اليه حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه

جبذة شديدة وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزلَ الله بك قارعة . فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله . فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ ان عمر قد أسلم (١)

ومنذ اول احتدام بين صفوف الكفر والايمان ظهرت بسالة الرسول الفائقة في التصدي للعدو لاقتحام صفوفه وتفريق شمله . فكان الرسول أقرب الناس الى صفوف العدو وأكثرهم التحاماً به ، حتى جعل الصحابة يسيرون إثره يحتمون به من ضربات العدو لكثرة اشتغالهم بحربه . قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (انا كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدق اتّقينا برسول الله ﷺ . فما يكون أحد أقرب الى العدو منه . ولقد رأيتني يوم بدر . ونحن نلوذ برسول لله ﷺ وهو أقربنا الى العدو . وكان من أشد الناس يومئذ بأساً) (٢) .

والمألوف في كل العصور أن خوض غمار المعارك من شأن الشباب ، فانهم أصبر على لظاها . وإنه لمن العجب بمكان أن يقدم الرسول ﷺ على حياة حربية في منتصف العقد السادس من عمره وأن يداوم عليها حتى النصر المؤزر . فان معركة بدر قد وقعت في العام الثاني للهجرة . وكان الرسول ﷺ يناهز خمساً وخمسين عاماً . ولكن شجعان الشبان ؛ كعلي

---

(١) الحجزة : موضع شد الازار . القارعة : الداهية ، المصيبة . والحادثة موجزة من سيرة ابن هشام لدى حديثه عن اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي ، و (الحدق) : جمع حدقة وهي ما احتوت عليه العين من سواد وبياض ، وسبب احمرارها غضب صاحبها ، (نلوذ) : نلجأ ونستتر . (من أشد الناس يومئذ بأساً) : أراد أشدهم على الاطلاق قوة قلب وأكثرهم شدة ونشاطاً في الحرب . انظر شرح الشفاء ج ١ ص ٢٥٨) .

ابن أبي طالب ؛ كانوا يحتمون به . وأدار الرسول المعركة يوم حنين في العام الثامن للهجرة وقد جاوز الستين من العمر . وإنك لتشهد في كليهما من البطولة الفذة والشجاعة الخارقة ما يفوق مواقف مشاهير الأبطال . وفي ذلك من مظاهر الاعجاز الخُلقي ما يرسي قواعد اليقين بخاتم النبيين محمد ﷺ .

وفي غزوة أحد ثبت الرسول ثباتاً رفع الروح المعنوية للجيش المسلم المشتت ، حيث بقي الرسول في اثني عشر رجلاً منهم بينما لاذ المؤمنون بالفرار (اذ تُصعدون ولا تَلوون على أحد والرسول يدعوكم في أُخراكم) (١) فعلموا أن الرسول حيٌّ إذْ ناداهم بنفسه بعد أن توهموا أنه في عدادِ الموتى .

كان دأب الرسول أنْ يداهمَ الشدائدَ بنفسه مباشرة ، فهو أكثر الناس مقارنة لصفوف العدو وأسرعهم لحوقاً بموطنِ الخطر ومبادرة الى درئه قبل استفحاله (عن أنس رضي الله عنه قال : كان ﷺ أحسن النــاس وأجود الناس وأشجع الناس . لقد فزع أهل المدينة فانطلق ناس قِبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عُري ، والسيف في عنقه وهو يقــول : لن تراعوا) (٢) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٣ .

(٢) أخرجه الشيخان . فزع أهل المدينة : خافوا أن يكون العدو قد بيتهم ، فانهم لما سمعوا صوتاً غريباً من احدى نواحي المدينة توهموا أن العدو قد أعد لهم هجوماً على حين غرة ليلاً (استبرأ الخبر) تعرف حقيقته . (فرس عري) : أي لا سرج عليها وهي للصحابي الجليل أبي طلحة رضي الله عنه . (لن تراعوا) : لا تخافوا أن يصيبكم مكروه . شرح الشفاء جـ ١ ص ٢٥٩ .

لقد حضر رسول الله ﷺ المواقف الصعبة وفر الأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ، استمر في غزواته على الاقدام على العدو لاختراق صفوفه واستمر يركب بغلته يتقدم بها الجيش . فانها تسير قدماً بثبات ، ولا تعين راكبها على الفرار نظراً لبطئها . وهكذا كان اقبال الرسول على العدو مكيناً في زحفه لا يدبر ولا يتزحرح ، وقد أكسب الصحابة ثقة به وطموحاً للتقدم معه . وهذا التصرف منه يجل عن الوصف والشرح ويقصر المدح عنه . فما شجاع إلا عرفت له فرة أو حفظ عنه التردد والاضطراب في لقاء العدو - ولو مرة - سوى رسول الله ﷺ لكماله ووقاره وتبوئه أسمى مقام خلقي جليل .

ظل المسلمون يحاربون عدوهم في قلة من العدد والعدة ، ويحرزون النصر بقوة إيمانهم وتأسيهم بشجاعة نبيهم واستبساله عليه الصلاة والسلام. حتى جمعت هوازن جموعها وأنصارها فخرج الرسول إليهم بعشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار ومن آمن من قبائل العرب ومن أهل مكة (الطلقاء) وعددهم نحو ألفين ، وانخدع بعض المسلمين بكثرة جيشهم فقال : لن نغلب اليوم من قلة فباغتتهم هوازن في وادي حنين بالنبالة ، فتفرقوا وثبت الرسول ومعه نحو ثمانين رجلاً وأمر الرسول العباس أن ينادي علية الصحابة وأكابرهم ، فحضروا ، فأمروا أن يصدقوا الحملة ، واستنصر الرسول ربه ، فكتب الله لهم النصر على قلتهم ، وامتن عليهم بذلك : (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذْ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك

على من يشاء والله غفور رحيم)[١] .

نعم لقد انكشف المسلمون مع كثرتهم وولوا مدبرين وتركوا رسول الله في نفر يسير ، وهو راكب بغلته يقارع العدو بالسنان ، ويعلن بقوة ووضوح أنه النبي الصادق المعروف . وأنزل الله سكينته على البقية الباقية من المؤمنين ومن انحاز اليهم من الفارين فكتب بأيديهـــم أروع آيـات النصر الخالدة .

(عن البراء بن عازب أن رجلاً قال له : يا ابا عمارة أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ! ؟ فقال : لكن رسول الله لم يفر . ان هوازن كانوا قوماً رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا . فأقبل النـاس على الغنائم ، فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس فلقد رأيت رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته البيضاء ، وهو يقول : (انـا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[٢].

تجلَّت ههنا شجاعة الرسول النادرة ومقدرته العالية على الثبات في حومة الوغى وقد انكشف جيشه . **ان في هذه الشجاعة وهذه الثقة العظيمة بالله وقوة التوكل عليه صبراً ومصابرة وقوة احتمال ، لأدلة ناصعة باهرة على نبوته ﷺ وقد أعلنها ﷺ للملأ بأوسع مدى في صوته وبيانه .**

٦ ـ خشوعه وتعبده ﷺ :

لا يذهبن بك الظن أن الرسول وصحبه كانوا رجال حرب صامدين أشداء وحسب ، فانهم فرسان النهار رهبان الليل ، يناجون ربهـــم في صلاتهم ليلاً ونهاراً خاشعين مخبتين قال تعالى : (هـو الذي أرسل رسوله

---

(١) سورة التوبة : ٢٥ .

(١) رواه الشيخان : تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة . .)[١]

فالغرض من بعثة محمد ﷺ نشر الدين الحق ؛ الموافق لكل زمان ومكان ؛ ونصره واعلاء شأنه . وذلك بنسخ الشرائع الماضية ، وكشف التحريف الذي أدخله أهلها عليها . فكشف الحقائق للناس ليهتدي بهديها من استنارت أبصارهم وعقولهم ، وسلط المسلمين على حصون الكفر المتمردة المتعصبة في مقاومة الحق واضطهاد أهله . فحددت الآية ـ أولاً ـ صلة المؤمنين ونبيهم بهؤلاء الجاحدين المعادين . وبينت نوعية المعاملة التي التزموها في حقهم (أشداء على الكفار) فامتدحهم الله بها . كما امتدحهم واثنى عليهم ـ ثانياً ـ لحسن صلتهم ببعضهم (رحماء بينهم) فهم جسدٌ واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . وهم متعاطفون متوادون يرأف كل منهم بالآخرين ، يعينهم على ما يلم بهم من سوء ومكروه بأدب جم وتواضع بالغ واحترام نادر . فهاتان خصلتان لمن يحبهم الله ويحبونه (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)[٢].

وانتقلت الآية لبيان صلة النبي وصحبه بربهم ـ ثالثاً ـ فانك ما تنفك تبصرهم يصلون راكعين ساجدين لا ينقطعون عن مناجاته في ليل أو نهار ، ليظفروا بفضل الله ورضاه ، وسيكسوهم الله لصدق عبادتهم نوراً في وجوههم فيكون لهم علامة مميزة يوم القيامة . ولا يبعد ان يجعل الله لهم في دنياهم

---

(١) سورة الفتح : ٢٩ . (٢) سورة المائدة : ٥٤ .

نوراً ينبعث من باطنهم فينعكس على وجوههم وضاءة نورانية يراها من رزقه الله حساً إيمانياً مرهفاً . (١)

وكان لرسول الله ﷺ مزيد عبادة على عبادة أصحابه ، يتهجد بها في ليله ، متبتلاً الى ربه يناجيه ضارعاً خاضعاً معلناً عبوديته التامة له وافتقاره الدائم اليه . وقد أمره تبارك وتعالى بهذا التهجد اضافة الى الصلوات الخمس المفروضة عليه وعلى أمته . قال تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآنَ الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن الليل فتهجدْ به نافلة لك عسى أن يبعثَكَ ربك مقاماً محموداً)(٢) .

---

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ١٧١ وروح المعاني ج ٢٦ ص ١١٣ ـ ١١٤ .

(٢) سورة الاسراء : ٧٨ ـ ٧٩ ومعنى (دلوك الشمس) : وقت تحولها وزوالها عن كبد السماء إذ تحين صلاة الظهر . (غسق الليل) : شدة ظلامه . وهو وقت العشاء (قرآن الفجر) : صلاة الصبح . وسميت قرآناً لأن قراءة القرآن ركن لا تصح الصلاة بدونه و (التهجد) : الاستيقاظ من النوم للصلاة ، كذا نقل عن الليث . (نافلة لك) : زيادة لك على الصلوات الخمس . (ان قرآن الفجر كان مشهوداً) : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ، بدليل حديث لأبي هريرة أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي والحاكم وصححاه . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر . فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون) ، وفي البخاري أيضاً بلفظ : (فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر) يقول أبو هريرة : اقرءوا ان شئتم : (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً) .

والمقام المحمود : مقام الشفاعة العظمى يوم القيامة .

وقد أشارت هذه التفاسير إلى اختلاف العلماء في حكم التهجد على قولين أولهما : =

أشارت الآية الأُولى الى الصلوات الخمس ، بينما أمرت الثانية الرسول باداء صلاة التهجد . وقد ثبتت الاحاديث عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة أن رسول الله ﷺ كان يتهجد بعد نومه طرفاً من الليل . ولم يكتف السيد الاعظم من الصلوات بقدر يسير يسقط به عن نفسه العهدة امام ربه ، بل بالغ في عبادته والتزلف اليه إجلالاً لربوبيته وشكراً لنعمته . وأكثر عليه الصلاة والسلام من الصلوات حتى تورمت قدماه ، على الرغم من غفران الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقوم يصلي حتى تنتفخ قدماه فيقال له : تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكورا) . [١]

وقد روى الترمذي عن ابن عباس وعن زيد بن خالد الجهني أنه عليه السلام (كان يقوم الليل باثنتي عشرة ركعة ثم يوتر) [٢] . ولا تسأل عن حسن صلاته بالليل وطولها (عن حذيفة بن اليمان ، رضي الله عنه أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم من الليل قال : فلما دخل في الصلاة قال : الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة . قال : ثم قرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه ،

= انه كان واجباً في حقه صلى الله عليه وسلم دون أمته . وثانيهما : انه مندوب في حقه كما هو في حق أمته أيضاً . (انظر روح المعاني : ١٥ : ١٢١-١٢٩ وابن كثير : ٣ : ٥٣ -٥٨ وحاشية الجمل على الجلالين : ٢ : ٦٤١ - ٦٤٢) .

(١) رواه الترمذي في الشمائل ص ١٧٤ . والبخاري بلفظ قريب منه في كتاب الكسوف : باب التهجد بالليل .

(٢) الشمائل المحمدية للترمذي ص ١٧٥ و ١٧٧ .

وكان يقول سبحان ربي العظيم . سبحان ربي العظيم . ثم رفع رأسه فكان قيامه نحواً من ركوعه . وكان يقول : لربي الحمد . لربي الحمد ، ثم سجد فكان سجوده نحواً من قيامه ، وكان يقول سبحان ربي الأعلى . سبحان ربي الأعلى . ثم رفع رأسه ، فكان ما بين السجدتين نحواً من السجود وكان يقول : رب اغفر لي . رب اغفر لي حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الأنعام . شعبة الذي شك في المائدة والأنعام) (١) . وكان عليه الصلاة والسلام يفضل أداء صلاة التطوع في البيت والفرائض في المسجد (٢) ، وكان ينام على فراش صلب ، ولم يرغب الفراش اللين ، لئلا يستغرق في النوم فتفوته صلاة الليل (٣) . ويملكه الخشوع في الصلاة حتى يأخذه البكاء وهو يصلي لشدة خوفه من الله وعظيم اجلاله له .

(عن عبدالله بن الشخير قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل) (٤) .

وكثيراً ما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يملك دموعه إذا قرأ القرآن أو استمع اليه . فها هـــو يستمع الى قراءة ابن مسعود فيتأثر ، ويبلغ به التأثر والانفعال أقصاه حينما أتى على ذكر موقف الحساب وشهادة الرسول على أمته فاغرورقت عيناه بالدموع لشدة خشيته لله وفرط إشفاقه ورأفته بالأمة من خطر ذلك اليوم الشديد الأهوال .

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل ص ١٧٩ ـ ١٨١ .

(٢) دليل ذلك حديث الترمذي عن عبد الله بن سعيد .في الشمائل المحمدية ص ١٨٩ .

(٣) الشمائل المحمدية للترمذي باب ماجاء في فراش رسول اللهصلى الله عليه وسلمص٢٠٤.

(٤) الشمائل المحمدية ص ٢٠٠ . الازيز هنا : صوت غليان البكاء في الجوف . المرجل : القدر .

(عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : أقرأ عليّ القرآن ، فقلت يا رسول الله اقرأ عليك ؛ وعليك أنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية : (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هـؤلاء شهيداً . قال : حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان) (١) .

والله سبحانه وتعالى تعهد نبيه في آيات كثيرة بالتنشيط للعبـــادة والاستمرار على الاكثار منها منذ فجر الدعوة فقال تعالى: (واسجد واقترب)(٢) وأمره سبحانه بالالتجاء اليه ، كلما ضاق صدره أو ألمّ به كرب من جحود الجاحدين طيلة فترة الصراع بينه وبينهم ، قال تعالى : (فاصبر على ما يقولون وسبـح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليـل فسبحه وأدبارَ السجود) (٣) .

وقال : (فاصبر على مايقولون وسبـح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبحْ وأطرافَ النهارِ لعلك ترضى)(٤) .

فبينَ سبحانه وتعالى أن السبيل الموصلة الى الرضى وطمأنينة النفس وسكينة الفؤاد ، انما هي الذكر والعبادة صلاة أو تسبيحاً . وكما القى الله على كاهل نبيه القيام بأعباء الدعوة الجسام تبليغاً وصبراً واحـــتمالاً للشدائد ، ناسب أن يأمره بالتزام سبيل التعبد تقوية لقلبه وأُنساً لفؤاده وتخليصاً لنفسه من الكدر والحزن والأسى لما يلقاه من القوم فالأمر بالعبادة دائم دوام وجوده عليه الصلاة والسلام (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (٥).

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، والترمذي في الشمائل ص ٢٠٠ بلفظ قريب منه .
(٢) سورة العلق : ١٩ . (٣) سورة ق : ٣٩ ـ ٤٠ .
(٤) سورة طه : ١٣٠ . (٥) سورة الحجر : ٩٩ .

والعبادةُ المطلوبة عبادةٌ خالصة لله تعالى لا شائبة فيها ، عمادها صدق التوجه اليه وحسن الظن به وقوة السعي لنيل مرضاته برجاء ملحٍّ وأمل وطيد . وليس رضوان الله هدف المؤمن من العبادة فقط ، بل هذا هدفه من حياته كلها الى أن يفارقَ الدنيا (قل إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرتُ وأنا أول المسلمين) (١).

أي رجل هذا الذي يخشى ربه هذه الخشية ، ويدأب علناً وسراً على مناجاته والتذلل بين يديه ، ويبالغ في عبادته والتقرب اليه حتى في أطيب ساعات الراحة والنوم !!؟؟ أيعقل ممن هذه حاله أن يجترىء على الله !!؟؟ لا جرم أنه لا ترقى اليه التهم في دعواه النبوة .

ولو تقصيت مزيداً من أنباء عبادته ﷺ لعلمت علم اليقين أنه أخشى الناس لله ، وأنه أول الأواهين وسيد العابدين ﷺ (٢) .

٧ - ترفعه ﷺ عن الأغراض الشخصية :

يُبرّىء الله نبيه من ابتغاء متاع الحياة الدنيا بدعوته ، ويعلن ترفعه عن المنافع والمصالح ، وذلك في قوله تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين)(٣) وقوله (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً . قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلاً) (٤) وقال تعالى في ذلك (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم ، إنْ أجريَ إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) (٥) .

---

(١) سورة الانعام : ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٢) انظر كتاب الشمائل المحمدية ، للتوسع في معرفة عبادته عليه الصلاة والسلام من صلاة ضحى ؛ وصوم ؛ وذكر ؛ ودعاء ... (٣) سورة ص : ٨٦ .

(٤) سورة الفرقان : ٥٦ ـ ٥٧ . (٥) سورة سبأ : ٤٧ .

فقد أمره تعالى بأنْ يعلنَ على الملأ بأنه لا يريدُ منهم جعلاً ولا عطاء على أداء رسالة الله اليهم ؛ وقيامه بنصحهم وأمرهم بعبادة الله ، وأن ثوابه على تبليغه الدعوة وأدائه الأمانـــة من عند الله وحده لا من عند أحد سواه .

فالمراد من قوله تعالى : (قل ما أسألكم عليه من أجر) أن ينبه الرسول ﷺ الناس أنه لا يبتغي بالقرآن أو بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الله أي أجر دنيوي جليلاً أو قليلاً . وقد أمره الله أن يحجهم باعلانه : (وما أنا من المتكلفين) إنني لست من المتصنعين الذين يتحلون بما ليسوا من أهله . ولم تعرفوني قط متصنعاً ولا مدعياً ما ليس عندي حتى أنتحل النبوة وأتقول ! ! فليس المراد اعلامهم بهذا لأنهم يعرفونه حق المعرفة ، وإنما أمره تعالى أن يصدع بهـذه المقالة للتذكير بما علموه والاستشهاد به على صدق رسالته ، فانه دليل بليـغ مفحم .

وذهب الجمهور إلى أن مراده تعالى من الآية الثانية (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) : لا أسألكم أي أجر إلا من أراد أن يتخذ إلى رحمة ربه ورضوانه طريقاً بالانفاق في سبيل الله والزكاة والصدقة ، وليست هي بأجر له عليه السلام فانها من المسلمين وإليهم ، ولهم ثوابها ، وإنما أقامها مقام الأجر . فالاستثناء منقطع . و (ما) في كلا الآيتين نافية .

وذهب بعضهم إلى أن الاستثناء متصل وأن في الكلام مضافـــاً مقدراً « إلا فِعْلُ من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا بالايمان والطاعة » وهو مبني على ادعاء أنه أجر نظراً لأن الاتيان به مطلوب .

وأرى أن قول الجمهور أقرب إلى القلب وأبعـــد عن التكلف

الحاصل في تسويغ ادعاء أن الايمان أجر لكونه مطلوباً . وظاهر أن أغلب ما يطالب الانسان به ليس أجراً كالايمان والوفاء بالوعد والأمانة والصدق ... وأن في الآية على كلا القولين نفياً كلياً لأي شائبة طمع ، وفيها إفاضة غاية الشفقة عليهم وإرادة كل الخير بهم .

وأراد تعالى في الآية الثالثة (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم) نفي سؤال الأجر منهم أصلاً ، وذاك كقولك لصاحبك وأنت موقن أنه لم يعطك شيئاً : « إن أعطيتني شيئاً فخذه » . و (ما) : شرطية في محل مفعول ثان لسألتكم . وقيل (ما) موصولة فيكون معناها كمعنى الآية الثانية عند الجمهور [1] .

ولا يخفى عليك ما في الآية ـ على كلا القولين ـ من تنزيه ناصع لمقام الرسول الرفيع عن ابتغاء شيء من الدنيا بدعوته .

إن الحصيف المتفكر في شأن محمد ﷺ ـ مهما ذهب به الظن ـ ينحصر فكره في احتمالين لا ثالث لهما . فإما أن يكون محمد ﷺ قد قام بدعوته لدنيا يصيبها أو لرسالة أمره الله بتبليغها . وللبت في هذا الأمر لا بد أن نستعرض مسلكه في حياته ونعرض غايته من دعوته لتتضح في الذهن جلية الأمر . فهل كان محمد ﷺ امرأً يبغي الترف والنعيم ؟ أم كان يبغى الجاه والملك ؟ ثم هل عاش مترفاً عندما أصاب سعة أم كان في الدنيا زاهداً !! ؟؟

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جماعة من أشراف

---

(١) روح المعاني : ٢٣ : ٢٠٨ . و ١٩ : ٣٤ . و ٢٢ : ١٤٣ ومعالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي ج ٧ ص ٤١ . وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤ .

قريش ، وقد سماهم ، فذكر منهم عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان وأبا جهل وأمية بن خلف . . اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه . فبعثوا اليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك . فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً . وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء . وكان حريصاً عليهم يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم ، فقالوا : يا محمد ، انا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وانا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك . لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقى من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك . فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وان كنت انما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رَئِياً تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي ـ فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال رسول الله ﷺ « ما بي تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثني اليكم رسولاً ، وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً . فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . أو كما قال ﷺ تسليما (١) .

(١) وللحديث تتمة . انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٢ ـ ٦٣ . وقد مر بك جانب آخر من الحديث ص ٦٩ وما بعدها .

١ - رضاه بالعيش الخشن في الشدة والرخاء :

أرأيت لو كان المال أو الجاه أو الملك بغيته فما كان يمنعه من الظفر به ؟ وإلامَ آل أمره بعد أن رفض ما عرضوا عليه ؟ وهل يمم وجهه إلى لون آخر من العز الدنيوي ؟

لقد دعا الى الله هنا وهناك وبلغ رسالته للقاصي والداني ، وجاهد في الله حق جهاده فلقي من سخط القوم وأذاهم ما تترنح له الجبال الراسيات فاحتمله ، واحتمل - صابراً محتسباً - من ضنك الحياة وضيق العيش ما لا يقدر عليه من الناس سواه .

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى سبيله » [١] .

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال (هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير) رواه الترمذي والبزار بسند جيد [٢] .

وروى الشيخان والترمذي في الشمائل أن عائشة رضي الله عنها قالت (إنْ كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ، إنْ هو الا التمر والماء) [٣] .

وكان ﷺ يتلوى - أحياناً - طول ليلته من الجوع فلا يمنعه ذلك صيام يومه !! وكان ينام على فراش خشن فيؤثر في جنبه [٤] وقالت حفصة رضي الله عنها : « كان فراش النبي ﷺ في بيتي مسحاً (بلاسا من

(١) وللحديث روايات كثيرة . انظر شرح الشفاء جـ ١ ص ٣٠٧ .

(٢و٣) شرح الشفاء جـ ١ ص ٣٠٧ .

(٤) كما رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه .

شعر) تثنيه ثنيتين فينام عليه ، فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال : ما فرشتم لي الليلة . فذكرنا ذلك له . فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتني الليلة صلاتي » (١) .

وقد ثابر على زهده وترفعه عن الدنيا في أيام الرخاء كما كان أيام الشدة . وحسبك ما استفاض من أخبار زهده في الدنيا واعراضه عن زهرتها أيام سيقت اليه بعد الفتوح ووضعت بين يديه .

وروى الشيخان أن عائشة رضي الله عنها قالت (ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي . وقال لي : اني عرض عليّ أنْ يُجعل لي بطحاء مكة ذهباً . فقلت : لا يا رب ! أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر . فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك . وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك) (٢) .

وعلى الرغم مما أفاء الله على رسوله من انصياع أرجاء الجزيرة العربية لأمره ، فأنت ترى أنه ﷺ كان أزهد الناس فيما يتناحرون عليه ويتفانون في تحصيله عادة . ولقد ضاق ذرع أزواجه ﷺ يوماً بيبس العيش وخشونة الملبس . فأمره تعالى أن يخيرهن فاما أن يبقين عنده فيغنمن رضوان الله وسعادة الآخرة أو يسرحهن ويمتعهن متاعاً جميلاً . (يا أيها النبي قل لأزواجك إنْ كنتن تردْنَ الحياةَ الدنيا وزينتها فتعالين أُمتعكن وأُسرحكن سراحاً جميلاً . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما) (٣) .

---

(١) وطأته : لينه . انظر شرح الشفاء : ١ : ٣١٠ وهو موجز ما رواه الترمذي في الشمائل ص ٢٠٤ . (٢) شرح الشفاء جـ ١ ص ٣٠٨ .
(٣) الاحزاب : ٢٨ ـ ٢٩ وانظر ابن كثير جـ ٣ ص ٤٨٠ ـ ٤٨١ .

وكل من تحرر فكره من ربقة الهوى وأصفاد العصبية الهوجاء ، وراح يفكر في تلك السيرة العالية الفاضلة ، لا بد أن يقرر أن محمداً ﷺ كشأن أخوانه المرسلين ، وأن دعوته لم تكن إلا رسالة إلهية أمره ربه بتبليغها ، فأدى أمانته على خير وجه وقام بدعوته خير قيام .

وقد تثبّت من هـذه الحقيقة الناصعة الفيلسوف الانكليزي الكبير توماس كارليل . وأورد دلائلها فقال : (وما كان محمـــد أخا شهوات ، برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً ، وشدّ ما نجور ونخطىء إذا حسبناه رجلاً شهوياً ، لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذّ ، كلاّ فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أياً كانت ، لقـــد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكلـه ومشربه وملبسه ، وسائر أموره وأحواله وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار . وانهم ليذكرون ـ ونعم ما يذكرون ـ أنه كان يصلح ويرقع ثوبه بيده ، فهل بعد ذلك مكرمـــة ومفخرة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ؛ خشن الطعام ، مجتهد في الله ، قائم النهار ؛ ساهر الليل ، دائبا في نشر دين الله ، غير طامع إلى ما يطمع اليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان ، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت . رجل عظيم وربكم !. وإلا فما كان ملاقياً من أولئك العرب الغلاظ توقيراً واحتراماً واكباراً واعظاماً . وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته ، ثلاثاً وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ، ويجاهدون حوله) .

ثم قال : (وظني أنه لو كان أتيح لهم بدل محمـــد قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه ، لما كان مصيباً من طاعتهم مقدار ما ناله محمد

في ثوبه المرقع بيده ، فكذلك تكون العظمة وهكذا تكون الأبطال)[١] .

وقد نظر المستشرق (بودلي) في سيرة الرسول الأعظم نظرة ثاقبة فعرف دلالتها خير عرفان . فقال : (كانت حياته بسيطة كحياة السيد المسيح فكان طعامه الثريد والتمر واللبن . وكان يتناول أحياناً حساء ضأن وخضر وربما شرب بعض العسل وكان غالباً ما يقتصر على التمر واللبن ، وأياً كان الطعام فقد كان يتناوله على حصير فوق الأرض . وكانت ثيابه بسيطة كطعامه ، فكان يرتدي فوق جسمه مباشرة قميصاً له أكمام من الصوف الخشن والقطن وفوقه بردة . . وكان في يده ان تساق له الدنيا جميعاً لو أرادها ، ولكنه كان يكتفي من كل شيء بالكفاف . **وقد أصغر في عينيه الحياة لانه كان أكبر من كل ما في الحياة . هذه البساطة لا تحتاج إلى أدنى دليل على أن صاحبها ليس إلا من عند الله**)[٢] .

٢ً ـ لم يترك ميراثاً لأهله الاعزاء :

ولم يدر بخلده أن ينعم أهله بتركة مجدية تهيء لهم من بعده رغداً وعيشاً كريماً . فقد لحق ﷺ بالرفيق الأعلى دون أن يخلف لأهله عيناً ولا ديناراً ولا قصراً مشيداً ولا شجراً مثمراً .. وإنما توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله ، وكان يدعو (اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً)[٣] .

---

(١) محمد رسول الله الهدى والرحمة ص ٤٨ ـ ٤٩ . وهو مقال (البطل في صورة رسول) من كتاب الابطال ـ توماس كارليل ـ ترجمه محمد السباعي .

(٢) محمد رسول الله هكذا بشرت الاناجيل ـ للاستاذ بشرى زخارى ميخائيل ص٥٢ ـ ٥٣

(٣) وفي رواية (كفافا) وهو المراد . رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

وقالت عائشة رضي الله عنها (ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً) رواه مسلم .

وروى الترمذي في الشمائل (١) عن عمرو بن الحارث قال : (ما ترك رسول الله ﷺ الا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة) .

وأعلن عليه الصلاة والسلام أن الانبياء لا يورثون فان ما يتركه أحدهم لا يكون الا صدقة . فروى ذلك عنه أبو بكر وعمر وأبو هريرة وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال (لا نورث ما تركنا فهو صدقة) (٢) .

إنه مسلك فريد أن يترك المرء ذويه وذريته دون إرث ولا ثروة . . وهم عنده الأعزة المكرمون فابنته فاطمة أم حبيبيه الحسن والحسين وزوجة نصيره ابن عمه علي ، وأزواجه عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر ... وهذه السيرة العطرة الناصعة خير بيان لمهمته وغرض دعوته ﷺ . وهي أيضاً خير تفسير لقوله تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً . وبشرِّ المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)(٣).

وكان هذا دليلاً من الادلة البليغة التي حملت الاستاذ بشرى زخارى ميخائيل على اعلان ايمانه بمحمد ﷺ فقال : (هذا نبي الاسلام ماذا أخذ من دنيا الناس ؟ وماذا جمع من أموال وحصل من ذهب وفضة ..؟

(أيحسب في المخادعين والكذابين والمضللين مَنْ يردُّ كل هذه الدنيا التي وضعت بين يديه ؟ وماذا يبغي الخاتل بختله والكذاب بكذبه والمنافق

---

(١) ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤ .

(٢) الشمائل للترمذي ص ٢٥٣ ــ ٢٥٦ .

(٣) سورة الاحزاب : ٤٥ ــ ٤٦ .

بنفاقه ، وماذا يريد هؤلاء الا أن يفيدوا مالا أو يحصلوا ثراء ، ولقد عرفت الحياة كيف كان طعام محمد وكيف كان لباسه ، وكيف كان مأواه وفراشه ؟

(أما ما خلفه وراءه فلا شيء إلا درعاً مرهونة عند يهودي في قوته وقوت أهله . ثم كان أن حسم الأمر جميعه فيما فرض على ورثته من بعده ألا يرثوا شيئاً من مخلفاته إنْ ترك وراءه ما يورث . فقال : (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقه) . **وهنا برهن على أنه ليس لأهله وانما هو للمسلمين حياته لهم وموته لهم وكفاحه من اجلهم دون هدف ذاتي أو منفعة خاصة .**

(فلمن كان هذا الجهاد الذي جاهد وهذا الضُر الذي وجد وهذا الأذى الذي احتمل ؟ **انه لله وفي سبيل الله والحق الذي بين يديه ؛ وفي سبيل الامانة التي حملته السماء إياها وكلفته أداءها إلى الناس جميعاً)**[1].

ثبات أخلاقه

وسريانها إلى أهله وخاصته يثبت رسالته

فلو افترض ان التحلي بتلك الخلال الكريمة والصفات العالية كان تظاهراً ورياء ، فان المراءاة انما تنبت لغرض مقصود . فاذا توفر الغرض وتحقق المقصود واستقت منه النفس نهماً ، عندئذ يبطل السحر وتنكشف الخديعة وتفتضح نفس المرائي وتبرز دوافعه ومطامعه . وتلك سنة إجتماعية لا تتخلف عرفها زهير بن أبي سُلمى فقال :

---

(١) محمد رسول الله هكذا بشرت الاناجيل – بهرى زخاري ميخائيل ص ٦١ – ٦٢ .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تُعلم .

وقد عد الامام فخر الدين الرازي استمراره ﷺ على الزهادة مع توافر الكنوز بين يديه معجزةً عقلية من دلائل نبوته القويـــة . وقال : (إنه ﷺ تحمل في أداء الرسالة أنواعاً من المشاق والمتاعب ، ولم يتغير عن المنهج الأول البتة . ولم يطمع في مال أحـد ولا جاهه . بل صبر على تلك المشاق والمتاعب ، ولم يظهر في عزمه فتور ولا في اصراره قصور . ثم انه لمـا قهر الاعداء ووجد العسكر العظيم والدولة القاهرة القوية ، ونَفَذ أمرُه في الأموال والازواج ، لم يتغير عن منهجه الأول والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة . وكل من أنصف علم أن المزور لا يكون كذلك فان المزور انمـا يزور الكذب والباطل على الخلق ليجد الدنيا ، فاذا وجدها ولم ينتفع بها كان ساعياً في تضييع الدنيا والآخرة على نفسه . وذلك ما لا يفعله أحد من العقلاء)[١] .

وقد عرف « كارليل » من خلال السيرة النبوية نقاء سيدنا محمـد ﷺ من شوائب الرياء والتصنع ، فقال (واني لأُحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي ، لا يعول إلا على نفسه ، ولا يدعي ما ليس فيه . ولم يك متكبراً ، ولكنه لم يكن ذليلاً فزعاً . فهو قائم في ثوبه المرقع ، كما أوجده الله وكما أراد ، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم ، يرشدهم الى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة)[٢] .

---

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٣١٢ .

(٢) محمد رسول الهدى والرحمة ص ٥٠ . وهو مقال من كتاب الابطال ــ توماس كارليل .

واستدل «كارليل» من تجافي سيدنا محمد ﷺ عن التصنع ومن ترفعه عن المطامع والاغراض الشخصية على صحة دعوته وإلهية رسالته. فقال: (وعلى ذلك فلسنا نعد محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغية، أو يطمع إلى درجة ملك أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائر والصغائر. وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول. كلا! ما محمد بالكاذب ولا الملفق. وانما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة، فاذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. وهذه حقيقة تدمغ كل باطل، وتدحض حجة القوم الكافرين) (١) (٢).

ولا يخفى على أحد أن الدعيّ المزور على الناس ينكشف أمره لزوجه وأهله وخلانه، فيعرفوه على جهة الحقيقة. بل انه لا بد له من معين منهم يهيء معه أساليب خداعه وتضليله. ولا بد أن يكون خاصته على شاكلته يتطلعون الى مشاطرته المغانم ولئن ثبتوا على التستر في حياته - وهو بعيد - فانهم سيختلفون بعده على قسمة النفوذ والجاه والملك وينكشفون للملأ فلا يجهل خبيئتهم أحد.

أما أزواجه ﷺ فقد أقمن بعده على الطريقة التي عاش عليها

---

(١) المصدر السابق ص ١٦ (٢) ولسنا نذكر شيئاً من أقوال المستشرقين استدلالاً أو مباهاة، إنما اخترنا من أقوالهم شهادات صادقة قائمة على صحة النظر في الدلائل والبراهين. وأوردناها بعد اكتمال البحث ليطلع القارىء على شهادة الفكر السليم البريء من العصبية والعناد، على الرغم من اختلاف دين الشاهد. فما أبلغها شهادة وما أقوى دلالتها!؟

من ورع وزهد وجود وتعبد خاشع . وأما الخواص من أصحابه فكانوا في تنفيذ رسالته واتباع سنته في غاية الدقة ، اذ صاروا بعد جاهليتهم دعاة هادين مهديين ، وصارت سيرتهم في حياته وبعد وفاته مضرب الامثال في التاريخ . فهذا خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد دانت له الجزيرة واستسلم لأمره بنو حنيفة قوم مسيلمة ثم غزا فارس وافتتح الحيرة والقادسية وأطراف العراق **وصار أهلوها ذميين** تجبى منهم الأموال العظيمة . وافتتح أوائل الشام ونفذ أمره في أموالها وأراضيها . فكان حاله في الزهد والتواضع كحال رسول الله ﷺ . وخلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستكمل فتح الشـــام وطرد ملوك الروم وافتتح مصر والجزيرة والعراق وفارس .. وحملت اليه خزائن الملوك وذخائرهم .. ومكث على ذلك عشر سنين ، ثم قبض ولم يزل على حال النبي في الزهد والتواضع والتضحية في سبيل الله . وتبعهما عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما . فازداد الفتوح ، وظلا على تلك السيرة الناصعة الكريمة . ولم يقتصر الامر على هؤلاء وأمثالهم من المطلعين على أسرار الرسول بل شمل ولاتهم وأعوانهم وعامة أتباعهم من أصحاب النبي ﷺ فلم تفتنهم السلطة ولم تبدل حياتهم الاموال بل كانوا يخدمون من تولوا شأنهم ويتمتعون أقل مما يتمتعون ويجودون بما عندهم ويبيتون لله راكعين ساجدين . فهل يقبل عاقل أن يقال إن هذا كله رياء في رياء !! وهل يبلغ الرياء هذا المبلغ من الفضل والسمو ويمتد ويلازم أصحابه مدى الحياة . . ! ؟ اذن فما هي الفضائل والمكارم اذا لم تكن كذلك ؟

وهل يصنع الرياء من قوم أسوة حسنة للانسانية على تعاقب أجيالها ؟ ؟
أم يجعل منهم مضرب المثل في التاريخ يشيد بهم العدو والصديق ! !

كيف وقد نالوا بجدارة ثنـاء الله عليهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (١) وشهدت لهم الأمم بالفضل على مر العصور ! ؟ **لاجرم أن ذلك دليل يورث اليقين بنبوة محمد ﷺ واخلاصه في دعوته** (فلو كان غرض رسول الله ﷺ وأصحابه الدنيا والملك لكانوا ، وان ابتدأوا بذكر الزهد في أول أمرهم اذا ملكوا وقدروا عليها ، قد ساروا فيها سيرة طلاب الدنيا وملوكها وخطابها ، وما لبثوا أن تظهر سرائرهم وضمائرهم عند القدرة . بهذا جرت العادة وهكذا أخرجت العبرة ، فان من تخلق للناس وتصبر خوفاً منهم واتقاء لهم ومداراة ؛ اذا قدر وتمكن تغير وزال عما كان ، وظهر مكنونه . فلما دام أمر رسول الله ﷺ وهؤلاء واتصل على طريقة واحدة ؛ **علم العاقل المتأمل أن سريرتهم كعلانيتهم وظاهرهم كباطنهم)** (٢).

عقلاء النصارى الأدباء يهتدون بأخلاقه :

لقد نبغ عدد من النصارى في النهضة الأدبية الحديثة . فاذا تتبعت مقالاتهم وقصائدهم وجدت كثيرين منهم قد حطموا أغلال العصبية العمياء ودفعهم سداد الفكر وإرهاف الحس والوجدان إلى الاشادة بأخلاق محمد ﷺ والثناء على خلاله الفائقة الكريمة . كما أبدوا تعظيمهم للقرآن المجيد ونهلهم من ينابيعه الصافية ، ومن هؤلاء الشاعر القروي رشيد سليم الخوري وخليل مطران والياس فرحات وعبدالله يوركي حلاق ومي زيادة . . وآخرون لا يتسع المقام لاحصائهم وسرد مقالاتهم وأشعارهم .

وقد استرعت خصال الرسول الكريم ﷺ اهتمام الأديب النصراني الشاعر نقولا حنا ، ولفتت دعوته نظره حتى حمله حياد الفكر وبراءة القصد وإخلاص الضمير على شق عصا العصبية الطائفية وإعلان إيمانه بمحمد

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ . (٢) تثبيت دلائل النبوة ص ٣٤ .

ﷺ رسولاً شرف الله الوجود ببعثته ورفع مقامه على مقام جميع الأنام ، وان سجاياه الجميلة وخصاله البديعة قد أشربت فؤاده محبته واستثارت شاعريته في قصيدة بارعة الجمال قال فيها :

محمد خير الخلق من آل هاشم — نبي كريم والجدود كرام
لقد شرف الله الوجود ببعثه — وتم له فوق الأنام مقام
مذْ اختاره الرحمن للجهل آسيا — توارت جهالات وزال سقام
أنار عقولاً أوغلت في ضلالها — وأزرى بنور البدر وهو تمام
تقي نقي زاهد متهجد — عزيز أبيٌّ ليس فيه ملام
شجاع كريم لا يُخيّب سائلاً — ولا عن غياث المستجير ينام
قدير حليم سيد متواضع — حكيم بتصريف الأمور هُمام
عفيف يفيض الطهر من نور وجهه — حبيب مهيب منذ كان فطام
فضائله حين استبانت لقومه — دعوه أميناً وهو بعد غُلام
سجاياه أعيت وصفها كلّ حاذق — فقصر مدّاح وضاق كلام
ولستُ أجيد القول لكن مدحتي — مناقبُه أملتْ بها وغرام (١)

وآخرون من أصحاب النظر السليم والعقل الراجح والجرأة الأدبية الوافرة والترفع عن العصبية العمياء من الادباء النصارى قد أعلنوا ايمانهم برسالة محمد ﷺ . ومنهم الياس قنصل ومارون عبود . . وقد بلغ يقين مارون عبود بنبوة محمد ﷺ مبلغاً عظيماً حمله على تسمية ولده محمداً . وقد عبر عن ايمانه ومحبته وإجلاله ببيان شاعري أخاذ .

---

(١) من وحي القرآن ــ شعر نقولا حنا : ٤ .

خير رسل الله ﷺ

من تمام عناية الله تبارك وتعالى بالانسانية أن تمهد قدوتها وسيدها محمداً ﷺ حتى جمع له من الخصال والكمالات ما لم يجمعه لأحد من المرسلين قبله . فان رسولنا عليه الصلاة والسلام كان خلقه القرآن الحكيم . وقد ذكر الله فيه الكمالات المتفرقة بين رسله عليهم الصلاة والسلام . وفي ذلك من حضه على التحلي بها ما لا يخفى . وأضاف جل شأنه إلى ذلك أنْ أمره صراحة بالاهتداء بهديهم فأشاد سبحانه بسيرة فئة من أجلتهم في سورة الأنعام (١) وبين أن (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) ثم قال :

(أولئك الذين هدى اللهُ فَبِهداهم اقتدِهْ) (٢) .

أراد بهداهم : طريقهم في الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين وجميع الصفات الحميدة والأخلاق الشريفة فتلك طريق واحدة . أما شرائعهم فانها مختلفة فلا يعقل أن يؤمر بها جميعاً ، خاصة وأنه بُعث بشريعة ناسخة لها ، والمنسوخ لا يبقى هدياً . وهكذا تنزل الخطاب الالهي عليه : أن تولَّ هديَ المرسلين بالاقتداء فانه هديُ الله تبارك وتعالى . وبهذا يلزمه التأسي بحميد الخلال التي امتاز بها كل منهم ، حتى يتحلى بجميع تلك الخصال المتفرقة فيهم فيفوقهم في الفضل جميعاً .

(١و٢) سورة الأنعام : ٧٤ ـ ٨٩ و٩٠ .

وقد يُعترض بأن هذه الآية لا تفيد أفضليته عليهم ! لكنك تتساءل: هل هذا الرسول يطيع ربه ويتحقق بما أمره به من أوصاف ومكارم أم لا ! ؟ لا ريب أنه معصوم عن عصيان ربه وأنه مبادر إلى امتثال توجيهه. وأن الله جلت حكمتـــه يشد أزره ليبلغ الذروة التي أراده أن يرقاها . وبذلك يتحقق البرهان على أفضليته . قال الامام فخر الدين الرازي :

(احتج العلماء بهذه الآية على أن رسولنا ﷺ أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام، وتقريره : هو أنّا بينا أن خصال الكمال، وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة ، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلاء ، ويوسف كان مستجمعاً لهاتين الحالتين ، وموسى عليه السلام كان صاحب الشريعة القوية القاهرة والمعجزات الظاهرة ، وزكريا ويحي وعيسى والياس كانوا من أصحاب الزهد ، وإسماعيل كان صاحب الصدق ، ويونس صاحب التضرع، فثبت أنه تعالى إنما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء « في السياق السابق» لأن الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف . ثم أنه تعالى لما ذكر الكل أمر محمداً عليه والسلام بأن يقتدى بهم بأسرهم . فكان التقدير كأنه تعالى أمر محمداً ﷺ أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التي كانت مُفرقة فيهم بأجمعهم . ولما أمره تعالى بذلك امتنع أن يقـــال : إنه قصّر في تحصيلها ، فثبت أنه حصلها . ومتى كان كذلك ثبت أنه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقاً فيهم بأسرهم ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال : **إنه أفضـــل منهم بكليتهم**) [١] .

---

(١) التفسير الكبير جـ ١٣ ص ٧٠ ـ ٧١ .

أورد الامام الخازن نحو هذا واستدرك عليه التنويه برسل ذكرهم سياق سورة الانعام السابق للآية المذكورة (فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه ، وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل ، وكان اسحق ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن . .) (١)

لقد جاء الوحي محمداً ﷺ وشعوب الأرض منغمسة في مفاسد وانحرافات أخلاقية كثيرة . أجل ! لقد أقام العرب جوانب من الأخلاق ـ يبدو لنا أنهم ـ ورثوها عن اسماعيل عليه السلام . ولكنهم امتهنوا قيماً كثيرة . زد على ذلك أنه ما رسالة من الرسالات السابقة استوفت الدعوة إلى جميـــع الفضائل الخُلقية أو أتت على علاج كل سفساف الأخلاق . فابتعث الله آخر رسله يكمل به من الخصال الحميدة والفضائل السامية ما كان ناقصاً ؛ ويجمع له ما كان متفرقاً بينهم . فحاز الفضل على كل منهم . لا جرم أنك سترى معي بعد تأمل سيرته ؛ أنه ﷺ قد عرج في كل خصلة امتاز بها نبي قبله حتى فاقه فيها أيضاً ، ويشعرك بذلك كله الحديث الصحيح (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) وفي رواية (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (٢) .

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ـ ج ٢ ص ٤٣ ـ علي بن محمد الخازن .

(٢) رواه البخاري في الادب المفرد ، والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب، والامام أحمد في المسند ، وابن سعد في الطبقات . صحح الهيثمي سند الامام أحمد . وقال ابن عبد البر : حديث متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره . انظر فيض القدير ـ محمد عبد الرؤوف المناوي ج ٢ ص ٥٧٢ ـ ونظرت الحديث في الادب المفرد فوجدته بلفظ : (صالحي الاخلاق) ولعله خطأ مطبعي ، فليحقق . انظر الادب المفرد ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص ٧٨ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٥ هـ . وانظر فضل الله الصمد في توضيح الادب المفرد . . تأليف فضل الله الجيلاني ج ١ ص ٣٧١ ـ المطبعة السلفية ١٣٧٨ هـ .

نص هذا الحديث على غرض عظيم من أغراض بعثته عليه الصلاة والسلام فقد جمع شتات الأخلاق وأقام لها صرحاً شامخاً سما على كل بنيان أقامه الرسل السابقون، فصار - بهذا الجمع - أفضل من كل منهم. وصار أيضاً أفضل من جميعهم إذْ آتاه الله ما لم يؤت مجموعهم إذ ارتقى ﷺ بالكمالات حتى بلغ رتبة لم يبلغها أحدهم ولا مجموعهم فيما جاءوا به وساروا عليه. فهذا نوح عليه الصلاة والسلام أكثرهم احتمالاً لأذى قومه، قد صبر عليهم غير أنه ضاق بهم ذرعاً فدعا عليهم (وقال نوحٌ ربِّ لا تذرْ على الأرضِ من الكافرين دَيَّاراً. إنك إنْ تذرْهم يُضلوا عبادَك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)(١).

وأرى أن دعاءه عليهم ما كان إلا طلباً للعدل الالهي فيهم. فقد أوضح لهم الدلائل وأقام عليهم الحجج، حتى ظهر الحق وبطل ما كانوا به يتعللون. ولكنهم استمروا على المحادة والتكذيب والايذاء فجاء هلاكهم جزاء وفاقاً لجناياتهم. أما رسولنا عليه الصلاة والسلام فقد أذاقه قومه أقسى أنواع الأذى وأشنع ضروب الاضطهاد. فصبر عليهم حيث لا يطاق الصبر.. ولكن هل نقم عليهم أو انقطع رجاؤه من ايمانهم..؟؟ لقد عاملهم بالفضل لا بالعدل. لما مات أبو طالب شتد أذى قريش، فخرج الرسول ﷺ من مكة الى الطائف يلتمس من بني ثقيف النصرة لدينه فردوه رداً قبيحاً وأذاقوه أشد من أذى قومه. أغروا به سفهاءهم وصبيانهم فقعدوا له صفين على طريقه، فلما مر رسول الله ﷺ بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة حتى أدموا رجليه. وكان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فاذا مشى رجموه وهم يضحكون.. وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد

---

(١) سورة نوح: ٢٦ - ٢٧.

شُج في رأسه شجاجاً . ولم يخلص منهم رسول الله إلا ورجلاه تسيلان دماً . فلجأ إلى حائط «بستان» من حوائطهم بعداً عنهم ورغبة في الظل . مع هذه السفاهة المفرطة والولوع بالايذاء . . لم يلعنهم ولم يدع عليهم ، وكان غاية دعائه ان شكا إلى الله ضعف قوته وأعرب عن صموده واستعداده لتحمل الأذى والهوان في سبيل الله . قال عليه السلام (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي . الى مَن تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني (١) ؟ أم الى بعيد ملكته أمري ؟ إن لم يكن **بك عليّ غضب فلا أُبالي !** ؟ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطُك . لك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك) (٢) .

روى الشيخان أنه ﷺ لما كذبه قومه .. ناداه ملَك الجبال «بأمر من الله» وقال : مرني بما شئت ، إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأخشبين . قال النبي ﷺ : **بل أرجو أن يُخرج اللهُ من أصلابهم من يعبدُ الله وحده ولا يشركُ به شيئاً** (٣)

---

(١) يتجهمني : يلقاني بغلظة ووجه كريه .

(٢) لك العتبى ... أي استرضيك حتى ترضى . والحديث رواه الطبراني ورمز السيوطي لحسنه . انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ١١٩ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٥ وانظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩ ـ ٣٠ واللفظ له . وعيون الاثر لابن سيد الناس ج ١ ص ١٣٤ والروض الأنف ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) الأخشب : كل جبل خشن غليظ الحجارة . والمراد جبلان حول مكة . انظر تمام الحديث في شرح الشفاء ـ ملا علي القاري ج ١ ص ٢٧٩ .

بهذا البيان الموجز أقمنا الدلالة على أفضليته ﷺ على كل رسول قبله وعلى أفضليته على جميع اخوانه النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. وهذا مدلول قول الامام الرازي (انه أفضل منهمَ بكليتهم) وعمد العلامة الألوسي إلى سرد رأي الرازي ـ من حواشيه على الكشاف ـ بأسلوب أجلى ، فقال في تفسير آية الانعام (فلا بد ان يقال إنه عليه الصلاة والسلام قد امتثل وأتى بجميع ذلك وحصّل تلك الأخلاق الفاضلة التي في جميعهم ، فاجتمع فيه من خصال الكمال ما كان متفرقاً فيهم. وحينئذ يكون **أفضل من جميعهم قطعاً. كما أنه أفضل من كل واحد منهم. وهو استنباط حسن.** . وفي أمره عليه الصلاة والسلام بالاقتداء بهداهم دون الاقتداء بهم ما لا يخفى من الاشارة الى علو مقامه ﷺ عند أرباب الذوق)[١].

وزبدة البحث أن هذه السيرة الفذة للرسول الاعظم ﷺ والنماذج الأخلاقية الرفيعة الباهرة قـــد انتشر أريجها في أرجاء الانسانية ، وتنعم بشذاها الصحابة ومن بعدهم من أصحاب الذوق المرهف والفكر القويم. وقد أفصحت عن ُبعدِ أقطار خلقه العظيم واتساعه لكل الكمالات. وأثبتت ما وصفه الله به في كتابه المبين وفصلته. إذ يتجلى لمن يطالعهـا أنه عليه الصلاة والسلام **قد تحلى بكافة الكمالات في أتم صورها حتى بلغ في كل واحدة منها ما وسع به العالم كله ، فجاوز حد الاعجاز. وهذا شاهد بليغ على نبوته وأنه من صنع عين العناية الالهية.**

---

(١) روح المعاني جـ ٩ ص ١٨٨ .

نموذج باهر

من استدلال العقل السوي على نبوته

ان قضية نبوة محمد ﷺ ودلالة أوصافه وأخلاقه عليها حقيقة يقررها الفكر النير ، حين يناقش القضية بتجرد واخلاص للحقيقة . ولقد استفسر هرقل عظيم الروم من أبي سفيان ، حين كان زعيم الشرك ؛ عن أوصاف محمد ﷺ وأخلاقه . فاستخلص تلقائياً بفكره الثاقب مجموعة من الدلائل العقلية على نبوة محمد ﷺ ، واليك ما جرى في ذلك :

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره أن هِرقلَ (١) أرسل اليه في ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام ، في المدة (٢) التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بايلياء (٣) فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا تَرْجمانه ، فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا أقربهم نسباً . فقال : أدنوهُ مني ؛ وقرِّبوا أصحابه ؛ فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : اني سائل عن هذا الرجل (٤)

---

(١) هرقل : بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف هو ملك الروم حينئذ .

(٢) في المدة : مدة صلح الحديبة ، وحصلت معاهدة صلح الحديبة في سنة ست من الهجرة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين من طرف وبين أبي سفيان وكفار قريش من طرف آخر . ومن هنا نفهم أن أبا سفيان كان مشركاً حين كان بالقدس والتقى بهرقل . ثم أسلم يوم فتح مكة ثم تحدث بما كان .

(٣) ايلياء : القدس .

(٤) هذا الرجل : أي الذي ظهر في أرض العرب يدعي أنه نبي .

فان كذّبني فكذبوه. قال: فوالله لو لا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً[١] لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلتُ: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتدّ أحد منهم سَخْطة[٢] لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ قلتُ: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها؟. قال: ولم تُمْكني كلمةٌ أُدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة[٣]. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان قل له: سألتُكَ عن نسبه وذكرتَ أنه فيكم ذو نسب (أي شريف)، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرتَ أنْ لا. فقلتُ لو كان أحد قال هذا

---

(١) يأثروا علي كذباً: ينقلوا عني اقتراف الكذب. وكان من شيم زعماء العرب قديماً الترفع عن الكذب. (٢) سخطة لدينه: كراهة له.

(٣) أدخل فيها شيئاً..: أنتقص فيها من مكانة الرسول سوى التشكيك في بقائه على الوفاء بالعهد، على الرغم من اعترافه بأن الرسول لم يغدر قط.

(٤) سجالا: نوباً، نوبة تكون الغلبة لنا، ونوبة تكون الغلبة له.

القول قبله ، لقلتُ رجل يتأسي بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه مليك . فذكرتَ أنْ لا . فقلتُ : لو كانَ من آبائه ملك قلتُ رجل يطلبُ مُلكَ أبيه . وسألتُك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرتَ أنْ لا . فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرتَ أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتبـــاع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرتَ أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك أيرتدُّ أحد سَخْطة لدينه بعد أن يدخلَ فيه فذكرت أنْ لا . وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوبُ . وسألتك هل يغدر ؟ فذكرتَ أنْ لا ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بما يأمركم فذكرتَ أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف . **فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين** (١) **وقد كنت اعلم انه خارج لم اكن اظن انه منكم . فلو اني أعلم أني اخلص إليه لتَجَشَّمْتُ** (٢) **لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .** ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دِحْيةَ إلى عظيم بصرى ، فدفعه إلى هرقل فقرأه فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمدٍ عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلمْ تسلم، يُؤْتك الله أجرك مرتين، فانْ توليت فانَّ عليك إثمَ الأرِيسيِّين(٣).

(١) كان هرقل عالماً بالكتب الدينية السابقة ، فعرف منها صفات خاتم النبيين ، فوجدها منطبقة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) لتجشمت لقاءه : لبذلت ما في الوسع كي ألقاه .

(٣) الاريسيين : الفلاحين : والمراد أنه مسئول أمام الله عن ضلال نفسه وشعبه .

(يا أهلَ الكتاب تعالوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبدَ إلا الله ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فانْ تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون)(١) .

قال أبو سفيان : فلمـــا قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كَثُرَ عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأُخرجنا . فقلت لأصحابي حين أُخرجنا : لقد أَمِرَ أمْرُ ابنُ أبي كبشة (٢). إنه يخافه ملك بني الأصفر (٣) . فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الاسلام . « متفق عليه » .

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس عن أبي سفيان أنه قال : ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حمص ، فلم يَرِمْ (٤) حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي . فأذِنَ هرقلُ لعظماء الروم في دسكرة (٥) له بحمص ثم أمر بأبوابها فغُلِّقتْ . ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ؛ هل لـكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هـذا النبي ؟ فحاصوا حَيْصةَ حُمر الوحش إلى الابواب فوجدوها قد غُلقت ، فلما رأى هرقل نَفْرَتَهم وأيِسَ من الايمان قال : ردوهم علي وقال : اني قلتُ مقالتي آنفاً أختبر شدتكم على دينكم فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه .(٦) فكان ذلك آخر شأن هرقل .

(١) الآية : ٦٤ من آل عمران : وقد تضمنها كتاب الرسول إلى هرقل ، كما ترى .

(٢) أمر أمر ابن أبي كبشة : أي عظم شأن محمد صلى الله عليه وسلم . ولقبه المشركون بذلك استهزاء . (٣) بني الاصفر : لقب الروم .

(٤) فلم يرم : فلم يفارق . (٥) دسكرة : حصن .

(٦) حمله على موافقتهم على ضلالهم تعلقه الشديد بالملك والرئاسة .

الباب الثاني

إثبات القرآن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الاول : ظاهرة الوحي

الفصل الثاني : كشف تخرصات المشركين والمستشرقين حول الوحي .

الفصل الأول

ظاهرة الوحي

- المراد بالوحي في اللغة وفي الشرع
- منهج القرآن في اثبات الوحي :

أولاً – مع أهل الكتاب .

ثانياً – مع المشركين والملاحدة وأضرابهم .

- امكان الوحي عقلاً .
- اثبات القرآن امكان الوحي .
- بيان القرآن أصناف الوحي .
- حادثة الوحي كما وقعت لسيدنا محمد ﷺ .
- مشهد رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه .
- معاناة الرسول شدة أثناء تنزل الوحي .

ليست حادثة الوحي خاصة بسيدنا محمد ﷺ ، وليست ظاهرة بكراً تنحصر دراستها في رسالة خاتم الرسل ؛ بل الوحي ظاهرة عمت جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام فاثبات صحتها لاحدهم اثبات لنبوة جميعهم دونما استثناء لاشتراكهم في تلك الظاهرة ، ولتبشير بعضهم ببعض . ولا بدّ من معرفة معنى الوحي في اللغة والشرع :

الوحي في اللغة : قال ابن منظور : **اعلام في خفاء** ولذلك صار الالهام يسمى وحياً (١) .

وقال الراغب الأصفهاني : **اصل الوحي الاشارة السريعة** . ولتضمن السرعة قيل : أمر وحي . وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض . وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب أو باشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة(٢) .

واليه ذهبَ ابنُ الأثير في النهاية .

ونلاحظ أن الراغب وابن الأثير نبّها على اعتبار السرعة في حقيقة الوحي . وقد أغفل ذلك صاحب اللسان وصاحب تاج العروس ، لكنهما أفاضا في ذكر استعمال الوحي في السرعة خاصة . ومما قاله ابن منظـــور في ذلك :

---

(١) لسان العرب ـ محمد بن منظور الافريقي ـ مادة (وحي) ـ وفيه أن الوحي بمعنى الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك . يقال : وحيت الكلام اليه وأوحيت ، ووحى وحياً . وأوحى أيضاً أي كتب والوحي المكتوب والكتاب أيضاً .

وقال الالوسي : قال الامام عبد الله التيمي : الوحي أصله التفهيم ، وكل ما فهم به شيء من الالهام والاشارة والكتب فهو وحي (روح المعاني ج ٢٧ ص ٥٢ الطبعة المنيرية)

وقال الزجاج : الايحاء : الاعلام على سبيل الخفاء (التفسير الكبير ـ للرازي ج ١١ ص ١٠٨) .

(٢) المفردات في غريب القرآن . للراغب الاصفهاني . ط مصطفى البابي الحلبي .

(والوحى : العجلة ، يقولون : الوحىَ الوحىَ : والوَحاءَ والوحاءَ : يعني البدارَ البدارَ والوحاء والوحاء يعني الاسراع . فيمدونها ويقصرونها اذا جمعوا بينها ، فاذا أفردوه مدوه ولم يقصروه . التهذيب : الوحاء ؛ ممدود ؛ السرعة .

وتوحَّ يا هذا في شأنك أي أسرع . ووحاه توحية اي عجله ، والوحيُّ ، على فعيل : السريع . وقد وحَى وتوحَّى بالشيء : أسرع . وشيء وحيٌّ : عجيل مسرع) .

ان هذه الأمثلة وغيرها ـ وقد أغفلنا ذكره ـ تدل على تضمن الوحي معنى السرعة فعلاً . لذا نقول : ان الراغب وابن الأثير كانا على حق فيما ذهبا اليه .

الوحي في الشرع : قال ابن الأنباري : انما سُمي وحيا لان الملَك أسره على الخلق وخص به النبيَ الذي بعثه الله اليه [١] .

أقول : ومنه تعلم أن الوحي إنما يكون سراً .

وقال الراغب : ويقال للكلمة الالهية التي تلقى الى أنبيائه : وحي . وذلك أضرب حسبما دل عليه قوله (وما كان لِبشرٍ أن يكلمَه اللهُ الا وحياً أومنْ وراءِ حجابٍ أو يرسلَ رسولاً فيوحيَ باذنه ما يشاء) . [٢]

---

(١) لسان العرب : وفيه : قال الازهري : وكذلك الاشارة والايماء يسمى وحياً ، والكتابة تسمى وحياً . وقال الله عز وجل : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) معناه : إلا أن يوحى اليه وحياً (بواسطة ملك) فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه ، أما الهاماً أو رؤيا ، واما أن ينزل عليه كتاباً كما أنزل على موسى أو قرآناً يتلى عليه كما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وكل هذا اعلام « خفي » وان اختلفت أسباب الاعلام فيه .

(٢) سورة الشورى : ٥١ .

وذلك اما برسول مشاهَد تُرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي في صورة معينة ، واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله . وإما بالقاء في الرُّوع كما ذكر عليه الصلاة والسلام « ان روح القدس نفث في رُوعي » واما بالهام « يشعر به النبي جليــاً واضحاً متيقناً انه انما حصل في نفسه بأمر إلهي لادخل للظروف الطبيعية في حدوثه » واما بمنام « كما في حديث عائشة : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح » (١) .

وزبدة القول أن الوحي شرعاً : القاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة .

ولقد أورد القرآن الكريم في مواطن كثيرة كلمة (الوحي) أو مشتقاتها بالمعاني التي أطلقت عليها في اللغة العربية (٢) كما استعملها بالمعنى الخاص بالرسل . وهو اعلام خاص من الله تعالى لرسله .

أقول : ومن هنا نلحظ أن معنى الوحي في الشرع أخص منه في اللغة من جهة مصدره وهو الله تعالى ومن جهة الموحى اليهم وهم الرسل.

---

(١) المفردات للراغب الاصفهاني . ولاحظ أننا اقتصرنا من عبارته على ما يتعلق بالانبياء اظهاراً لمعنى الوحي الخاص بهم . وفصلنا ما أجمله بما أودعناه بين قوسين صغيرين .

(٢) كالالهام فيما لاصلة له بالشرائع والاحكام كقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) (وأوحى ربك إلى النحل ان اتخذي ..) .

منهج القرآن في اثبات الوحي

في معترك الخصومة بين الذين يؤمنون بالوحي الى محمد ﷺ والذين لا يؤمنون ، يتلمس صاحب المنطق السليم والعقل الرشيد معالم الحقيقة النبوية بصورة عامة في شخص محمد ﷺ ، في سيرته وخلقه ، وفيما بلّغ من قرآن وأُثر عنه من حديث . ووجدتُ بعد التقصي أن الذكر الحكيم قد سلك في اثبات الوحي لمحمد ﷺ مسلكين ، أقام بهما الحجة وحسم النزاع :

أولاً - منهجه مع أهل الكتاب :

اذا كان الخصم مؤمناً برسول قبل محمد ﷺ فيلزمه أن يثبت الوحي لمن آمن به من رسل . فما يقوله هناك في اثباتِ حادثة الوحي ؛ يُحتج به عليه هنا . وهذا ما نواجه به اليهود والنصارى فانهم يؤمنون بالأنبياء ، وان خالفوا في البعض . وقد أقام الله الحجة على اليهود في كتابه المبين . ذلك أنهم بالغوا في انـكار نزول القرآن على محمد ﷺ حتى أظهروه في صورة الممتنعات ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . فألزمهم الله الحجة والتسليم بالوحي الالهي بقوله :

(وما قَدَرُوا الله حق قدْرِهِ إذْ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل مَنْ أنزل الكتابَ الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ، تجعلونه قراطيسَ تُبدونها وتُخفون كثيراً ، وعُلّمتم ما لم تَعلموا أنتم ولا آباؤكم ، قل اللهُ ، ثم ذَرْهم في خوضهم يلعبون . وهـذا كتابٌ أنزلناه

مباركٌ مصدقُ الذي بين يديهِ ولتنذرَ أُمَّ القُرى وَمَنْ حولَها والذينَ يؤمنون بالآخرة يُؤمنونَ به وهم على صلاتِهم يحافظون) (١) .

وقد روى إنكارهم الشنيع عن مالك بن الصيف ، وروى أن الذي فاه به فنحاص . وروى أن القائلين جماعة منهم (٢) .

عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ . فقال له النبي ﷺ . أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحَبْرَ السمين ؟ وكان حبراً سميناً فغضب فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء .

فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ولا موسى فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فأنزل الله : (وما قدوروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) الآية . أخرجه ابن جرير والطبراني بزيادة فيها : (فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف) .

وقيل : بأن القائلين جماعة من المشركين . والجمهور على أن القائلين هم اليهود ، وقد أخرج أبو الشيخ عن سفيان والكلبي أن هذه الآية مدنية . وذهب الطبري وغيره أن الآية مكية نزلت في مشركي قريش . وأن قوله

---

(١) سورة الانعام : ٩١ ـ ٩٢ . ومعنى قوله : (ما قدروا الله حق قدره) : ما عرفوه حق معرفته . (القراطيس) : أوراق مفرقة .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ للطبري ـ ج ١١ ص ٥٢١ ـ ٥٢٣ طبع دار المعارف بمصر .

(تحملونه قراطيس ...) خطاب لليهود على سبيل الالتفات [١] .

أقول : ان الآية ـ على كلا القولين ـ تقيم الحجـة على منكري الوحي من أهل الكتاب . وأرى أن قول الجمهور بأن الآية نزلت في اليهود أولى ، فان قوله تعالى : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ...) . قد ورد لابطال زعمهم (ما أنزل الله على بشر من شيء) فيقتضي أن يكون الكلام مع اليهود خاصة . والآية ـ بالتـالي ـ مدنية لان النقاش مع اليهود إنما حصل في المدينة .

الوحي طابـع الأنبياء جميعاً :

ان الوحي ركن أساسي للنبوة ، وقد تميز به كل نبي عن غيره من الآدميين ، فهو طابع النبوة المميز وعنوانها الظاهر وجوهرها الأصيل . فالله سبحانه أوحى إلى جميع أنبيائه من آدم إلى محمد صلوات الله عليهم جميعاً . وانما عرف ورقة أن الذي ألم برسول الله في غار حراء انما هو ملك الوحي بمعرفته أوصاف ملك الوحي الذي جاء من قبله من الانبياء كموسى وعيسى . فتناقل أتباعهم أوصافه . وللجزم والتأكيد لخديجة ولرسول الله بأن النازل ملك الوحي قال ورقة : (هـذا الناموس الذي نزل الله على موسى . .) ذهب ابن حجر إلى أن ورقة أعلن بهذا أن الذي لقيه محمـد ﷺ في حراء هو ملك الوحي الذي أجمع أهل الديانتين (اليهودية والنصرانية) على الايمان بنزوله إلى موسى . ولم يقل ورقة . (أنه الذي نزل الله على عيسى) لأن اليهود ينكرون نبوة عيسى وصلته بالوحي [٢] .

---

(١) روح المعاني جـ ٧ ص ١٨٩ ـ ١٩٢ وتفسير الطبري جـ ١١ ص ٥٢١ ـ ٥٢٣ وانظر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٥٦ وعند تفسيره الآية ١٦٢ من سورة النساء .

(٢) انظر فتح الباري ١ : ٢٠ .

قلت : ورأيُ اليهود هــذا معروف في الجزيرة لاستيطانهم بعضها . فجاءت نسبة الملَك إلى موسى أبلغ في اعلان التيقن ؛ والتأكيد بأنه ملك الوحي ، وأقطع حكماً بنبوة محمد ﷺ ، وأنفى للشك وأبعد عن الاحتمال والتأويل الذي يجر اليه قذف الموضوع في لجة الخلاف .

ليس خافياً على أحد من أهل الديانات السماوية أن جميع الأنبياء قد وصلهم الله بهـذا الملك جبريل عليه السلام . روى ابن اسحاق عن ابن عباس قال : قال سكين وعدي بن زيد : يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى . فأنزل الله في ذلك من قولهما :

(إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباطِ وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصَصْناهم عليك من قبلُ ورسلاً لم نقصُصْهم عليك وكلَّمَ اللهُ موسى تكليماً) (١) .

فذكر الله لهم الأنبياء الذين لا يرتابون في نبوتهم لاعلامهم أن الوحي اليه كشأن الوحي اليهم .

وبدأ سبحانه بنوح تهديداً لهم بعقاب إلهي دنيوي عاجل . فان نوحاً أول نبي عوقب قومه أو لأنه أول نبي شرع الله تعالى للناس على لسانه الأحكام والحلال والحرام . قال أبو حيان الأندلسي :

(وقدَّم نوحاً وجرَّده منهم في الذكر لأنه الاب الثاني وأول الرسل ودعوته عامة لجميع من كان إذ ذاك في الارض ، كما أن دعوة محمد ﷺ عامة لجميع من في الارض) (٢) .

---

(١) النساء : ١٦٣ ــ ١٦٤ وانظر تفسيرهما وسبب النزول عند ابن كثير .
(٢) البحر المحيط جـ ٣ ص ٣٩٧ .

وعطفُ الوحي إلى إبراهيم على الوحي إلى نوح هو في حكم التشبيه . وقد أفاد تكرير قوله (وأوحينا) عطفاً على وحيه إلى نوح ؛ ان الوحي كله صنف واحـد . وبدأ بذكر إبراهيم لمزيد شرفه ولانه الأب الثالث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ثم ذكر طائفة من النبيين (وعيسى وأيوب..) مع ظهور انتظامهم ـ لأهــــل الكتاب ـ في سلك النبيين ، تشريفاً لهم واظهاراً لفضلهم . **أقول : ظهر بهذه الآية أنه لا غرابة في الوحي إلى محمـــد ﷺ فانه قـد وقع لكثير من الانبيـاء قبله . والخصم يؤمن بهؤلاء الأنبياء .**

وقدَّم ذكر عيسى عليهم مع تأخره عنهم تحقيقاً لنبوته وقطعاً لدابر جحود اليهود . ثم عطف (وآتينا داود زبوراً) على أوحينا لان إيتاء الزبور إنما كان وحياً مُنجماً . واليهود الذين أنكروا الوحي إلى محمد يؤمنون بداود وأنَّ الله أنزل اليه الزبور مفرقاً . ولم ينزل دفعة واحدة في ألواح كما حصل في توراة موسى . فأثبت لهم بهـــذا أن نزول القرآن مفرقاً ـ خلافاً للتوراة ـ لا يقـدح في كونه من الله . فقطع تعللهم لجحودهم وكفرانهم . فكيف تؤمنون بزبور داود النازل مفرقاً ، ولا تؤمنون بقرآن محمد لنزوله كذلك !! وهذا دليل مفحم والزام قوي مخرس . وقد استدل به الامام فخر الدين الرازي وشهاب الدين الالوسي (١) .

ومن المهم جداً أن يلاحظ الباحث أن محمد ﷺ أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، وأن القرآن ؛ إضافة إلى ذلك ؛ معجز باسلوبه . فهو يشتمل على معجزات كثيرة دالة على نبوة صاحبه ، وبذلك يمتـاز عن التوراة .

(١) انظر تفسير روح المعـــاني ٦ : ١٥ وتفسير الرازي ١٠٨ ـ ١٠٩ وانظر ص ٩٤ . منه .

وقد قضت الحكمة الالهية بانزال القرآن منجماً مراعاة للطاقة البشرية لمحمد ﷺ واستمراراً في تثبيت نبوته خلال فترة دعوته ، بآيات القرآن المعجزة ودلائله الساطعة (١) .

(وكلم الله موسى تكليماً) لا يلزم من تشريف موسى خاصة - من بين المذكورين - بالتكليم الطعن في نبوتهم ، فهي ثابتة لديكم أيها اليهود ، فكذلك لا يلزم من تخصيص موسى بانزال التوراة عليه دفعة واحدة ، الطعن في أي رسول انزل الله عليه كتابه مفرقاً .

قال الفخر الرازي (اعلم أنه تعالى لما حكى أن اليهود سألوا الرسول ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء . وذكر تعالى بعده أنهم لا يطلبون ذلك لاجل الاسترشاد ولكن لأجل العناد واللجاج . وحكى أنواعاً كثيرة من فضائحهم وقبائحهم وامتد الكلام الى هذا المقام . شرع الآن في الجواب عن تلك الشبهة فقال (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) والمعنى أنا توافقنا على نبوة نوح وابراهيم واسماعيل وجميع المذكورين في هذه الآية ؛ وعلى ان الله تعالى أوحى اليهم . ولا طريق الى العلم بكونهم أنبياء الله ورسله الا ظهور المعجزات عليهم ، ولكل واحد منهم نوع آخر « خاص » من المعجزات على التعيين . **وما أنزل الله على كل واحد من هؤلاء المذكورين كتاباً بتمامه مثل ما أنزل الى موسى . فلما لم يكن عدم انزال الكتاب على هؤلاء دفعة واحدة قادحاً في نبوتهم ، بل كفى في اثبات نبوتهم ظهور نوع واحد من أنواع المعجزات عليهم ، علمنا أن هذه الشبهة زائلة وأن اصرار اليهود على طلب هذه المعجزة باطل . .** ثم اذا حصل الدليل وتم ، فالمطالبة بدليل آخر تكون طلباً للزيادة واظهاراً

(١) وهناك حكم جليلة أخرى لنزول القرآن مفرقاً ، تجدها في كتب علوم القران .

للتعنت واللجاج ، والله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . فلا اعتراض عليه لأحد بأنه لِمَ أعطى هذا الرسول هذه المعجزة وذلك الرسول الآخر معجزاً آخر . وهذا الجواب المذكور ههنا هو الجواب المذكور في قوله تعالى (وقالوا لن نُؤمنَ لك حتى تَفجُرَ لنا من الارضِ يَنبوعاً « الى قوله » قلْ سبحانَ ربي هل كنتُ إلا بشراً رسولاً) يعني أنكَ ادعيتَ الرسالة ، والرسول لا بد له من معجزة تدل على صدقه وذلك قد حصل . وأما أنْ تأتي بكل ما يُطلب منك ، فذاك ليس من شرط الرسالة . فهذا جواب معتمد عن الشبهة التي أوردها اليهود وهو المقصود الاصلي من الآية) . (١)

ثانياً - منهجه مع المشركين والملاحدة وأضرابهم :

اذا كان الخصم غير مؤمن بأحد من الرسل . فيجب على الداعية - في تقديرنا - أن يقيم أولاً الدليل على امكان وقوع الوحي عقلاً . وينتقل بعدها الى المرحلة الثانية في اقامة الحجة القاطعة ، فيثبت حدوث الوحي لسيدنا محمد ﷺ ، بذكر الحوادث الدالة عليه والاحوال التي كانت تعرض للرسول إبان نزول الوحي على مرأى من الصحابة رضوان الله عليهم . ويزيد بالمرحلة الثالثة براهينه فضلاً وقوة في اقامة الحجة الحاسمة فيذكر المعجزات بنوعيها : الحسية والعقلية . وسنشرح ذلك كله إن شاء الله تعالى .

وهذا المنهج - برأينا - كفيل بحسم مادة النزاع ، وقطع دابر الشك عند من رُزق فكراً صحيحاً وقلباً حياً شغوفا بالحق (إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ) (٢) وقد سلك القرآن هذه المسالك ، وجلى الحقيقة فيها بالبرهان الساطع .

---

(١) مفاتيح الغيب ج ٣ ص ٣٤٣ المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ ﻫ . وانظر سورة الاسراء : ٩٠ - ٩٣ .

(٢) سورة ق : ٣٧ .

إمكان الوحي عقلاً :

ونوجه فيه الخطاب للملاحدة ولمن لا يؤمن بدين سماوي ، فنقول : ان التخلص من ربقة المادة باطلاق سراح الفكر من سجنها الضيق الحرج ، هو الخطوة الأولى للوصول الى معرفة الوحي . فان الايمان بالوحي يتوقف الى حد بعيد على الايمان بعالم الغيب . وكثير من الناس ينكرون ما لا يخضع لادراك الحواس ، ويشدون الوثاق على عقولهم وأفئدتهم بسلاسل الحسيات وأصفادها ، ثم يزعمون أنهم يعولون في ذلك على العلم ونتائجه . . ! ! ويتوهمون هذا في عصر بلغت فيه المكتشفات العلمية الحديثة التي لا تضبطها الحواس مباشرة ؛ عدداً كبيراً . **لقد قطع العلم شوطاً بعيداً في الدلالة على وجود مغيبات كثيرة غير مُحسّة** من موجودات ونواميس كونية ، عرفنا بعضها ولم نعرف معظمها . وكثيراً ما يجد علماء الكونيات أنفسهم أمام مشكلات موصدة مستعصية على الكشف فتتركهم حيارى لا يدرون من أمرها شيئاً ذا بال .

فمن الموجودات التي لا تراها الأبصار [١] تلك الأنواع الكثيرة من الأشعة غير المرئية ؛ كأشعة (اكس) التي تخترق الجسد الآدمي أثناء تصويره ، لتساعد الطبيب على تشخيص مرضه ، وتستعمل في علاج حالات مرضية أيضاً . والانسان يولدها على الرغم من عدم رؤيتها بالعين . ثم الاشعة فوق البنفسجية والاشعة تحت الحمراء . وإن التيار الكهربائي نفسه لا يُرى في السلك الناقل ، إنما نرى آثاره من برودة في الثلاجة وحرارة

---

(١) ولا يغيب عنك ان الناس قبل تطور العلم قد عرفوا وجود ما لا يرى بآثاره : كالهواء والعقل والروح .

في المكواة ونور في المصباح .. الخ . ثم الأمواج « الكهرطيسية » الموجودة في الفضاء ، تحمل الاصوات من بلد لآخر فتلقطها أجهزة المذياع (الراديو) وأجهزة اللاسلكي كما تحمـــل الاصوات والصور فتلتقطها أجهزة الرائي (التليفزيون) **ان هذه الموجودات (الأشعة غير المرئية بأنواعها ـ والأمواج الكهرطيسية) قد تعرف عليها الانسان في العصر الحديث من آثارها . فهل كانت معدومة قبل أن يعرفها الانسان ؟ وهل يكون الانسان القديم مصيباً لو انكر وجودها لأنه لم يبصرها بأم عينـــه ، على الرغم من توفرها في ارجاء الكون من غابر الأزمان ؟** وهل يسوغ للانسان المعاصر أن يجحد وجود كل ما لم ير ؟ أو أن يجحد كل ما لم يتعرف عليه بآثاره ؟ ؟ وهل وصل العلم ذروته وأحاط أهلوه بكل موجود علماً ؟ ألم يبلغك أن العلم توصل الى معرفة اليسير من شئون الكون وعجز عن ادراك الكثير .. هذا ما قرره رجاله المختصون .

ان الانسان الذي عرف تلك الحقائق في الكون وانتفع منها ينبغي أن يكون أكثر تفهماً وتقبلاً لحادثة الوحي ، وأقوى ايماناً برسالات الرسل وبالملائكة الذين يبلغونهم رسالات ربهم . وهم مخلوقات نورانية . فالعلم جعله يوقن بوجود ما لا يرى من أشعة وجدها الانسان في الطبيعة ثم جعل يصنعها ويستخدمها ، ومن أمواج « كهرطيسية » انتفع منها في تقريب البعيد بالمناجاة أو المشاهدة أو بكليها معاً . بواسطة ـ أجهزة ـ صغيرة شائعة الانتشار فيستمع بها ما يبثه اليه المذيع من آلاف الاميال من قصص وحـــوادث وأخبار .. وهذا الرائي المزود بالبطارية أعان المرء في كل بقعة على أن يرى ويسمع من يتحدث اليه من شاسع الابعاد .

فاذا بلغ الانسان ذلك ، فان الله خالق الانسان الذي منحه العقل والقوة والبيان ، وفاطر الاكوان المتصرف فيها بما يشاء وله القوة المسيطرة

جميعاً والعلم المحيط وبيده ملكوت كل شيء قادر ـ بكل يقين ـ على ان يوصل العلم والحق بوسيلة لا تُرى بالأعين الى بعض خلقه وهم الرسل . ومن رأى ان هذا مستحيلاً او عسيراً على الخالق ـ تعالى عما يصفون ـ فقد أهدر عقله واضاع رشده ، إذ لم يقدر البونَ الشاسع بين ضعف المخلوق وجهله وبين قوة الخالق وسعة علمه . ومَنْ عجز عن إدراك هذا الفرق فقد عجز عن الحفاظ على انسانيته .

اثبات القرآن امكان الوحي

ونحن نرى أن القرآن قد أورد في امكان الوحي استدلالاً بغير المنظور قال تعالى : (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) (١) .

و « لا » مزيدة للتأكيد في قول أكثر المفسرين ، مثلها في قوله تعالى (لئلا يعلمَ أهلُ الكتاب) والمعنى : أُقسم بالمشاهدات والمغيبات أو أقسم بالأشياء كلها ما ترون وما لا ترون ـ على حد تعبير القرطبي ـ واليه يرجع قول قتادة : هو عام في جميع مخلوقاته عز وجل . وهو يشمل ما قاله عطاء : ما تبصرون من آثار القدرة الالهية وما لا تبصرون من أسرارها ـ وما قاله غيره : أقسم بالأنس والجن والملائكة .

وإنّا اذْ نعول على ما قاله أساطين التفسير بأن لله تعالى أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته ، أرى أنه تعالى لم يقسم بشيء دون غيره الا لحكمة يحتاج اليها المقام . فلا بد من مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه . ولا

---

(١) سورة الحاقة : ٣٨ ـ ٤٣ وانظر روح المعاني ج ٢٩ ص ٥٢ ـ ٥٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٨ ص ٢٧٤ .

اعلم احداً نوه بذلك ، والمناسبة هنا ـ في تقديري ـ أن المقسم به يثير في النفس استدلالاً على إمكانية المقسم عليه وحقيته . فان لله تعالى مخلوقات عظيمة لا ترى بالعين المجردة وقد عرف العرب بعضها ، وعرفنا العـــلم الحديث بكثير منها . فخالق ذلك العالم الغيبي الذي عرفنا نماذج من عظمته بالعقل أو السمع ـ اضافة إلى ما نراه من آثار عظمته ومقدرته في عالم الشهادة ـ هو سبحانه مقتدر أن يدلي بأمره ونهيه إلى ملَك عزيز عليه ومقرب لديه ، ويأمره أن يُقرّه في صدر من اصطفاه لرسالته . **إن ثبوتَ وجود اشياء لا ترى يستلزم إمكان حصول الوحي بواسطة لا تُرى . وبذلك تبطل حجج المشركين والملاحدة الماديين الذي اداهم عدم الاعتراف بغير المحسوسات إلى انكار الوحي .**

أما قوله تعالى : (إنه لقول رسول كريم) . فقد ذهب أكـثر المفسرين إلى أن المراد ان القرآن **قول النبي المرسل محمد** ﷺ يبلغه عن ربه الذي أرسله فان الرسول لا يقول عن نفسه ، بل يبلغ ما أنزله عليه ربه بملك الوحي . وذهب ابن السائب ومقاتل وابن قتيبة إلى أن المراد أن القرآن قول **جبريل** عليه السلام يبلغه عن ربه .

وسواء أكان المراد القول الأول أم القول الثاني ، فان وساطة جبريل ـ على كلا المذهبين ـ واسطة العقد في البعثة المحمدية ، كما كانت كذلك في بعثة كل نبي . ووصف القرآن بأنه قول رسول كريم يقتضي أن يكون القرآن رسالة يبلغها الرسول الكريم عن ربه تبارك وتعالى ..

بيان القرآن أصناف الوحي

ذهب العلماء إلى تكثير أقسام الوحي . فعدها السيوطي وغيره خمس كيفيات وبلغ بها بعضهم ثماني مراتب ، كما ذكر القسطلاني في المواهب اللدنية [١] . ورأيت القرآن الكريم يحصرها في ثلاثة أصناف ، فما العمل ؟ وما منزلة تقسيم العلماء من تصنيف القرآن ؟

لا ريب أن الأفضل أن نعود إلى القرآن نفسه ، فانه وإن حصرها في أصناف ثلاثة ؛ فانها تشمل جميع صور الوحي التي أسماها العلماء كيفيات أو مراتب . فعزمت على سرد أصناف الوحي حسب الدلالة القرآنية وإحكام بيانها بالاحاديث النبوية :

قال تعالى : (وما كان لِبَشر أن يُكلمه اللهُ إلا وحياً أو مِنْ وراءِ حِجابٍ أو يرسلَ رسولاً فيوحيَ باذنه ما يشاءُ إنه عليٌّ حكيم) [٢] .

الصنف الأول : أن يُلقي الله المعنى في قلب النبي مباشرة . ويكون ذلك في اليقظة أو المنام . وأشار إليه قوله تعالى (إلا وحياً) .

أولاً ـ إلقاء اللهِ معنى في النبي يقظة [٣] ويتم ذلك من غير واسطة ملك ، مع خلق علم ضروري عند النبي بأن هذا المعنى قد قذفه الله قطعاً . فهو نور ينبلج في القلب فلا يندفع ولا يحتمل الشك أو التأويل.

---

(١) انظر الاتقان جـ ١ ص ٤٤ ، وشرح المواهب للزرقاني جـ ١ ص ٢٦٨ المطبعة الاميرية . (٢) سورة الشورى : ٥١ .

(٣) روح المعاني جـ ٢٧ ص ٥٠ .

ومن هذا القبيل ما أشار اليه تعالى بقوله : (إنا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِ لِتَحْكُم بينَ الناسِ بما أراكَ اللهُ) (١) .

نقل الامام الفخر الرازي عن أبي علي الفارسي أن لفظَ (أراك) مأخوذ من (رأيت) التي يراد بها الاعتقاد (٢) . ثم قال الرازي : (ان قوله « بما أراكَ اللهُ » معناه **بما أعلمك الله سمى ذلك العلم بالرؤية . لان العلم اليقيني المبرأ عن جهاتِ الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور** . وكان عمر يقول : لا يقولن أحدٌ قضيتُ بما أراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك إلا لنبيه . وأما الواحد منا فرأيه يكون ظناً ولا يكون علماً) (٣) .

---

(١) سورة النساء : ١٠٥ .

(٢) قال أبو علي الفارسي : (قوله « بما أراك الله » معناه إما أن يكون منقولاً بالهمزة من رأيت التي يراد بها رؤية البصر ، أو من رأيت التي تتعدى الى المفعولين ، أو من رأيت التي يراد بها الاعتقاد . والاول باطل لان الحكم في الحادثة لا يرى بالبصر . والثاني أيضاً باطل ، لانه يلزم أن يتعدى إلى ثلاثة لا الى المفعولين بسبب التعدية ، ومعلوم أن هذا اللفظ لم يتعد الا الى مفعولين ، أحدهما : الكاف التي هي للخطاب ، والآخر المفعول المقدر ؛ وتقديره : بما أراكه الله . ولما بطل القسمان بقي الثالث ، وهو أن يكون المراد منه رأيت بمعنى الاعتقاد) .

(٣) وعقب الرازي على ذلك بقوله : (اذا عرفت هذا فنقول : قال المحققون هذه الآية تدل على أنه عليه الصلاة والسلام ما كان يحكم الا بالوحي والنص) . ثم فرع على هذا مسألتين : أولاً — ان الاجتهاد لم يكن جائزاً له عليه الصلاة والسلام . ثانياً — أن القياس جائز له ولأمته ، لان النص قد كلف به . فالعمل بالقياس عمل بالنص .

أقول : والمعتمد لدى المحققين في علم الاصول هو قول الاحناف : اذا عرضت له عليه السلام حادثة لم يبين الوحي الظاهر حكمها من قبل فان الرسول مأمور أن ينتظر الوحي =

وقال الألوسي رحمه الله : (« بما أراك الله » أي بما عرّفك وأوحى به اليك) .

وقال صاحب المنار : (« بما أراك الله » : أعلمك علماً يقينياً كالرؤية في القوة والظهور وما ذلك إلا الوحيُ الذي يفهم منه مراد الله فهماً قطعياً) .

وسرد أبو حيان الاندلسي أقوالاً في تفسير هـذه الآية . فقال : (بما أراك الله) بما أعلمك من الوحي . وقيل بالنظر الصحيح فانه محروس في اجتهاده معصوم في الاقوال والافعال . وقيل : بما ألقاه في قلبك من أنوار المعرفة وصفاء الباطن . (واستدل له بقول عمر) وقال الماتريدي : (.. فيه دليل جواز اجتهاده ، واجتهاده كالنص لان الله تعالى أخبر أنه يريه ذلك ؛ أو لايريه غير الصواب) (١) .

وذهب بعض علماء أصول الفقه إلى الاستدلال بهـذه الآية على جواز اجتهـاد الرسول ﷺ . قال في فواتح الرحموت (والمعنى لتحكم

= قدر ما يرجو نزوله . ثم اذا خاف فوت الحادثة يعمل بالاجتهاد . علمـاً بأن الله تعـالى لا يقره على خطأ بل يصوبه في الحال . بدليل قوله تعالى : (عفا الله عنك لم أذنت لهم) « التوبة : ٤٣ » فاستمراره عليه الصلاة والسلام على اجتهاده وعدم تنبيهه الى خطأ دليل على اصابة الاجتهاد وسداده . ولذلك لا تجوز مخالفة اجتهاده . وهذا سر تسمية علمـاء أصول الفقه هـذا الاجتهاد النبوي : الوحي الباطن . وهو عندهم أحد قسمي الوحي ، والقسم الآخر : الوحي الظاهر .

(انظر مفاتيـح الغيب جـ ١١ ص ٣٣ وروح المعاني : جـ ٥ ص ١٢٧ ، وتسهيل الوصول الى علم الاصول محمد عبد الرحمن المحلاوي ص ١٤٠ طبـع مصطفى البابي الحلبي بمصر ، وأصول الفقه ـ محمـد الخضري ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ طبعة رابعة ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر) .

(١) البحر المحيط جـ ٣ ص ٣٤٣ .

بما جعله لك الله رأياً) ونسبه الى الامام ابي يوسف . [١]

ونحن نرجح ما ذهب اليه المحققون من المفسرين كالرازي وابي حيان والألوسي رحمهم الله فان دلالة اللغة تؤيد رأيهم . وقد أوضحها الامام اللغوي الحجة ابو علي الفارسي . فمعنى الآية - بناء عليها - (لتحكم بين الناس بما اعلمك او عرفك الله تعالى بوحي منه) .

ثانياً - القاء الله معنى في قلب الرسول مناما ، كما حكى القرآن على لسان ابراهيم (يا بُنيَّ إني أرى في المنامِ أني أذبحكَ . فانظرْ ماذا ترى) . [٢] وحصل لسيدنا رسول الله ﷺ أول عهده بالوحي ، ثم حصل في مناسبات سجل القرآن بعضها ، كما في قوله تعالى (لقد صدقَ اللهُ رسوله الرؤيا بالحقِّ لتدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنينَ محلّقين رؤوسَكم ومُقصرينَ لا تخافون فعَلمَ ما لمْ تعلموا فجعل منْ دون ذلك فتحاً قريباً .) [٣]

وانما كانت الرؤيا وحياً وجزءاً من النبوة باعتبار ما يقترن بها من التيقن بأنها من عند الله تعالى . وإن الوحي الى النبي بالرؤيا أول أمره تمهيد للوحي الصريح اليه يقظة . وفي الصحيح عن عبيد بن عمير (رؤيا الانبياء وحي ، وقرأ : يا بني إني أرى في المنامِ أني أذبحك) [٤] .

الصنف الثاني : وأشارَ اليه قوله تعالى (أومن وراء حجاب) وقد

---

(١) فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت - عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري ج ٢ ص ٣٦٨ .

(٢) سورة الصافات : ١٠٢ . (٣) سورة الفتح : ٢٧ .

(٤) انظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ١ ص ٢٢٥ طبع المطبعة الازهرية سنة ١٣٢٥ هـ .

حصل لسيدنا موسى عليه السلام اذ كلم الله موسى بلا واسطة فلم يره موسى . قال تعالى : وكلم الله موسى تكليما)(١) .

الصنف الثالث : أن يرسلَ اللهُ ملكَ الوحي جبريل عليه السلام الى النبي عليه السلام ، فيوحي اليه ما أمره أن يوحيه ، ويحصل له علم ضروري بأنه ملك الوحي يبلغه عن الله تعالى . وقد أشار اليه بقوله (أو يُرسلَ رسولاً فيوحيَ باذنه ما يشاء) وقد حصل هذا لسيدنا محمد ﷺ ولجميع الرسل من قبله . قال تعالى (قلْ منْ كانَ عدواً لجبريلَ فانه نزّلهُ على قلبكَ باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين)(٢).

الوحي ليلة المعراج :

ومنتهى مراتب الخطاب الالهي إلقاء الله الكلام على النبي من غير واسطة ملَك ، كما تلقى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام كلام الله ليلة المعراج وهو يراه . ولكن ألا يتنافى هذا مع قوله تعالى (وما كان لبشر أنْ يكلمه الله إلا وحياً) ؟

عُدْ الى معنى الوحي في اللغة والشرع واذكر ان من معاني الوحي « الكلام الخفي » كما ورد في اللسان أو « الكلام على سبيل الرمز والتعريض » كما ذكر ابن الأثير . فالمراد أن الله تعالى يكلمه كلاماً ليس مؤلفاً من أحرف صوتية ، إنما هو كلام خفي يليق بذاته تعالى يفهمه الرسول ﷺ . والآية لا تنفي أن يكون الرسول قد رأى ربه ليلة المعراج . فانه تعالى خصص قوله « أو من وراء حجاب » بقوله « إلا وحياً » فدلت الآية على وجود وحي من وراء حجاب دون رؤية الرسول لله تبارك وتعالى ، وعلى احتمال وجود وحي مع رؤية الرسول لله سبحانه .

---

(١) سورة النساء : ١٦٤ . (٢) سورة البقرة : ٩٦ .

وقد اختلف العلماء في رؤية الرسول ربه تعالى ليلة المعراج . والراجح عند اكثر العلمـاء أنه ﷺ رأى ربه ليلة المعراج كما قال النووي [١] وعليه يكون الوحي اليه تلك الليلة من الصنف الأول « إلا وحياً » . أما على القول المرجوح يكون الوحي اليه ليلة المعراج من الصنف الثاني « أو من وراء حجاب » .

قال العلامة البيضاوي في تفسير الآية (« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً » كلاماً خفياً يدرك بسرعة ، لأنه ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة يتوقف على متموّجات متعاقبة ، أو هو ما يعم المشافهة به ، كما في حديث المعراج . . . ولكن عطف قوله « أو من وراء حجاب » عليه يخصه بالأول . **فالآية دالة على جواز الرؤية لا على امتناعها**) [٢] .

اتصال جبريل بالرسول الكريم :

لعلك تسأل : بأي أصناف الوحي نزل القرآن على رسول الله ﷺ ؟ إن نزول القرآن ينحصر في الصنف الثالث من الوحي ، والراجح لدى العلماء أن القرآن أنزله الله بواسطة ملك الوحي على محمد ﷺ في اليقظة فحسب [٣] . قال تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) [٤] وقال : (قـــل نزله روح القدس من ربك بالحق) [٥] .

---

(١) شرح المواهب اللدنية جـ ١ ص ٢٧٠ المطبعة الاميرية .

(٢) انوار التنزيل وأسرار التأويل ــ للبيضاوي ص ٥٠٦ مكتبة الجمهورية المصرية .

(٣) شرح المواهب اللدنية جـ ١ ص ٢٧٢ الطبعة الاميرية ، وانظر رسالة العقد المنتظم في أقسام الوحي المعظم ص ١٢ ــ للعلامة العارف بالله المرحوم السيد علوي عباس المالكي المكي . طبع عيسى البابي الحلبي .

(٤) سورة الشعراء : ١٩٣ . (٥) سورة النحل : ١٦٤ .

وأطلق عليه اسم روح القدس والروح الأمين ، لأنه كان يتنزل بما يحي موات القلوب . فهو بمثابة الروح . ويرى الرازي أن إضافة (روح) إلى (القدس) في الآية لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب . وروحانيته أتم وأكمل من سائر الملائكة . فخُصَّ بهذه الاضافة دونهم . ويرى الراغب الاصفهاني : أنه خُص بذلك لاختصاصه بالنزول بالقدس من الله . أي بالنزول بما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الالهي . **وهـــذا عندنا أرجح لتعلقه بأمر ظاهر في مهمته .** فان مدار تلقيبه بـ (الروح) مستند إلى مهمته . والتأويل بالاستناد اليها أنسب منه مستنداً إلى صفة قائمة في الملَك « كالطهارة . . » فانها صفة مشتركة بين جميع الملائكة وان تفاوتتْ حظوظهم منها .

وكان اتصال جبريل برسول الله ﷺ بأساليب متعددة :

أولاً ـ ظهر له جبريل بصورته الملكية الحقيقية . وكان ذلك مرتين فحسب كما في صحيح مسلم وجامع الترمذي عن عائشة رضي الله عنها (١).

ثانياً ـ ان الوحي كان يأتيه أحياناً من الملَك صوتاً مجرداً قوياً مجلجلاً أشبه قوة بصلصلة الجرس ، يقرع سمعه فلا يبقى فيه مجال لغيره . وعبر الرسول ﷺ عن هذا ، لما سأله الحارث بن هشام كيف يأتيك الوحي ! فقال عليه السلام : (أحياناً يأتيني مثلَ صَلْصلةِ الجَرَسِ وهو أشدُّهُ عليَّ فيفصمُ عني وقد وعيتُ عنه ما قال) (٢) .

ثالثاً ـ أن يشخص الملَكُ أمامَ الرسول بهيئةِ رجلٍ عاديٍ .

---

(١) انظر فتح البـاري ج ١ ص ١٨ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ١ ص ٢٣٧ المطبعة الازهرية بمصر سنة ١٣٢٥ هـ .

(٢) سيمر بك الحديث تاماً عما قليل .

وإنما يظهر الملك بصورة بشرية تأنيساً لمن يخاطبه من الأنبياء . وقد أخبر الرسول عن هذا في جوابه للحارث :

(وأحياناً يتمثل ليَ الملَكُ رجلاً فيكلمني فأعيْ ما يقول) [١].
وقد جاءه مرة بصورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر - كما سيمر معنا - وقد روي النسائي بسند صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنها أن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ في صورةِ دُحْيَةَ الكلبي . وكان دُحيةُ يضرب به المثل في حسن الصورة [٢] .

رابعاً - وأحياناً يلقي الملك في فؤاد الرسول وعقله معنى خاصاً من غير أن يراه الرسول أو يسمعه . قال ﷺ : (إن رُوحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعي أنه لنْ تموتَ نفس حتى تستكملَ رزقَها ، فاتقوا اللهَ وأجملوا في الطلبِ . ولا يَحْمِلَنَّ أحدَكُم استبطاءُ الرزقِ أنْ يطلبَهُ بمعصيةِ الله ، فان الله تعالى لا يُنالُ ما عندهُ إلا بطاعته) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود من طرق [٣] .

---

(١) سيمر بك الحديث تاماً عما قليل .

(٢) انظر ترجمة دحية في الاصابة لابن حجر .

(٣) معنى (نفث في روعي) (بضم الراء) ألقى في قلبي أو عقلي . (اجملوا في الطلب) اطلبوا الرزق من الطرق الحلال من غير تهافت وتكالب على الحرام .

انظر فتح الباري ج ١ ص ١٥ وما بعدها . وانظر شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها وروح المعاني ج ٢٧ ص ٥٠ وما بعدها .

الوحي كما حدث لرسولنا محمد ﷺ

بعد أن تحدثنا عن منهج القرآن في اثبات الوحي وامكانه ، ثم عن أصنافه في القرآن ، نعرض لحصول الوحي لسيدنا محمد ﷺ ، فنذكر حادثة الوحي كما وقعت له . ثم نتحدث عن مشهد رسول الله وهو يُوحى اليه وعن معاناته شدة أثناء تنزل الوحي . لتكون هذه الأمور شواهد حق تشهد بتنزل وحي الله على سيدنا محمد ﷺ وتوضح معالمه .

ان الوحي الذي حصل لرسولنا محمد ﷺ ، كما أنبأ عنه أصحابه وشهدوا آثاره لدى تنزله عليه ، ليدل على أن الرسول ﷺ مخلوق ضعيف كسائر البشر يتلقى من علو ما لا وسيلة عنده لاجتلابه ولا حيلة لدفعه (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) (١) . فهو مأمور طائع لا يملك من أمر الوحي شيئاً . بل للوحي عليه سيطرة وهيمنة يرى الناظر آثارها عليه إبان تنزل الوحي .

وإليك طائفة من الأحاديث تكشف لك عن وقوع الوحي حقيقة لسيدنا محمد ﷺ وتصف مظاهره :

روى البخاري في أول صحيحه عن عائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها انها قالت : « أولُ ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مثلَ فلق الصبح (٢) .

---

(١) سورة النمل : ٦ .

(٢) (الرؤيا الصالحة في النوم) الرؤيا الصادقة . (جاءت مثل فلق الصبح) : ظهرت مطابقتها للواقع كظهور ضياء الصبح لناظره .

ثم حُبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث (١) فيه ـ وهوالتعبدُ الليالي ذوات العدد ـ قبل أن ينزع (٢) الى أهله ويتزودَ لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها. حتى جاءه الحق (٣) وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: أقرأ.

قال: ما أنا بقارىء قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد (٤) ثم أرسلني فقال: اقرأ.

قلت: ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم).

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

فقال: زملوني زملوني

فزملوه حتى ذهب عنه الرَوْع. (٥)

---

(١) (يتحنث) يتعبد. وفي الاصل يتحنث فلان: يفعل فعلا يخرج به عن الحنث وهو الاثم ـ كما في النهاية لابن الاثير ـ.

(٢) (ينزع): يرجع.

(٣) (جاءه الحق) الامر الحق وهو مجيء الملك بالوحي. وسمي حقاً لانه من الله تعالى.

(٤) (غطني) ضمني وعصرني. وأصل الغط حبس النفس. ومنه غطه في الماء. (حتى بلغ مني الجهد) حتى بلغ الغط مني غاية وسعي.

(٥) (زملوه): لفوه. (الروع): الفزع.

فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيتُ على نفسي (١) .

فقالت خديجة : كلا والله ما يُخزيكَ الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلّ وتَكسب المعدوم وتَقري الضيف وتُعين على نوائب الحق . (٢)

فانطلقت به خديجة حتى أتتْ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة .

وكان امرأ تنصَّر (٣) في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي.

فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك

فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .

فقال له ورقة : هـذا الناموس (٤) الذي نزّل الله على موسى . يا ليتني فيها جَذْعاً (٥) ، ليتني أكون حياً إذْ يخرجك قومك :

---

(١) (لقد خشيت على نفسي) أي خشيت المرض أو الموت لشدة ما أصابني من الرعب.

(٢) (الكل) : العاجز أو الذي لا يستقل بأمره (تكسب المعدوم) تعطي الفقير المعدم ما لا يجده عند غيرك .

(٣) (تنصر) صار نصرانياً . فان ورقة لما كره عبادة الاوثان خرج الى الشام يسأل عن الدين فاعتنق النصرانية ، وتعلم اللغة العبرية .

(٤) (هذا الناموس) وهو في الاصل صاحب السر . وأراد به ملك الوحي جبريل عليه السلام الذي يوصل الوحي سراً إلى الانبياء .

(٥) (ياليتني فيها جذعا) ياليتني أعود في أيام دعوتك شاباً .

فقال رسول الله ﷺ : أوَمُخرجيَّ هم ؟ ؟

قال : نعم لم يأت رجل قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عُودي . . وإنْ يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً (١) .

ثم لم يَنْشَبْ ورقةُ أنْ تُوفي وفَتَرَ الوحي (٢) .

وروى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ان الحارث ابن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ . فقال : يا رسولَ الله كيف يأتيكَ الوحي ؟ فقـال رسول الله ﷺ : (أحياناً يأتيني مثلَ صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقـــد وعيت عنه ما قال . وأحياناً يتمثلُ لي الملكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه لَيتفصَّدُ عرقاً) (٣) .

وروى البخاري أيضاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه : (بينا أنا أمشي اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فاذا الملَك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي

---

(١) (نصراً مؤزراً) نصراً قوياً .

(٢) (لم ينشب) لم يلبث أو لم يتعلق ورقة بشيء من الامور حتى مات (فتر الوحي) : تأخر مدة من الزمان . والحكمة من ذلك أن يذهب عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفزع ويحصل له التشوف والتلهف الى عوده .

(٣) رواه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ورواه مسـلم في صحيحه ومالك في الموطأ . ومعنى (صلصلة الجرس) الصلصلة في الاصل : صوت وقوع الحديد بعضه على بعضه . ثم أطلق على كل صوت له طنين . (فيفصم عني) يقلع عني وينجلي ما كان يغشاني . (يتفصد عرقاً) من الفصد وهو : قطع العرق لاسالة الدم . شبه به جبينه لاظهار كثرة العرق المتقاطر منه .

بين السماء والأرض . فرعُبتُ منه ، فرجعتُ فقلت زملوني فأنزل الله تعالى : يا أيها المُدثر قُمْ فأنذرْ إلى قـــوله والرجزَ فاهجرْ . فحميَ الوحيُ وتتابع) (١) .

مشهد رسول الله ﷺ وهو يوحى اليه

ولقد شهد أصحاب الرسول ﷺ ما يعتريه من أعراض وما تبدو عليه من مظاهر جسدية حين ينزل عليه الوحي .

روى البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (لا تُحركْ به لسانك لتعجل به) قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان ممـا يحرك شفتيه (٢) فقال ابن عباس فأنا أحركهما لـكم كما كان رسول الله يحركهما .

وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه

---

(١) صحيح البخاري : باب كيف كان بدء الوحي . والآيات النازلة هنا قوله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) ومعنى المدثر : المغطى بثيابه ويراد به النبي نفسه . (قم فأنذر) حذر من العذاب من لم يؤمن بك . (وربك فكبر) عظم ربك . (وثيـــابك فطهر) كناية عن تطهير النفس من الشوائب باجتناب النقائص . (والرجز فاهجر) الرجز : العذاب . أمره بترك كل ما يسبب العذاب من الآثام ورأسها عبادة الأوثان .

وقوله : (فحمي الوحي وتتابع) أي جاء كثيراً . وفيه مطابقة لتعبيره عن تأخره بالفتور . (في حديث عائشة الاول) .

ـ انظر في مفردات الاحاديث : فتح الباري ج ١ ص ١٥ وما بعدهـــا ـ طبعة الخشاب وانظر النهاية في غريب الحديث والاثر . لابن الاثير .

(٢) يعني أنه كان يحرك شفتيه مع لسانه . وانظر سورة القيامة : ١٦ ـ ١٩ .

فأنزل الله تعالى : (لا تُحركْ به لسانكَ لتعجلَ به إنَّ علينا جَمْعَهُ وقرآنه) قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه . فاذا قرآناه فاتبع قرآنه . قال : فاستمع له وأنصت. ثم ان علينا بيانه . ثم ان علينا أن تقرأه . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فاذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه (١) .

وهـذا رجل يستفتي رسول الله في حكم التطيب للمحرم بعُمرة ، فلا يملك النبي له جواباً حتى جاءه الوحي فاحمر وجهه وخاض في غطيط .

روى البخاري (٢) أن يعلى قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما : أرني النبي ﷺ حين يوحى اليه . قال : فبينما النبي ﷺ بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب . فسكت النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى . فجاء يعلى وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أُظل به ، فأدخل رأسه ، فاذا رسول الله ﷺ محمرُّ الوجه وهو يغطُّ ثم سُرِّيَ عنه . فقال : أين الذي سأل عن العُمرةِ . فأُتيَ برجل . فقال اغسل الطيب الذي بك ثلاثَ مرات ، وانزعْ عنك الجبة واصنعْ في عُمرتك كما تصنعُ في حجتك (٣) .

وهاهم أولاء أصحاب الرسول ﷺ يشهدون محاورته رجلاً لا يعرفونه

---

(١) باب كيف كان بدء الوحي برسول الله صلى الله عليه وسلم من صحيح البخاري .

(٢) كتاب الحج . باب غسل الخلوق من الثياب . ورواه أيضاً مسلم والنسائي ، انظر جامع الاصول : حديث ٨٨١٠ .

(٣) قوله : (يغط) والغطيط صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى وقوله : (سري عنه) زال عنه ما اعتراه تدريجاً.

فليس من أهل المدينة ، ولا يرون عليه أثراً من السفر كاغبرار الثوب أو الشعر . فلا يبدو أنه غريب ليسألوه عن قومه وموطنه .

روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، اذْ طلع علينا رجل شديدُ بياضِ الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثرُ السفر ولا يعرفه منّا أحد ، حتى جلسَ إلى النبي ﷺ فأسندَ ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .

وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلامِ ؟

فقال رسول الله ﷺ : الاسلامُ أن تشهدَ أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلاً .

قال : صدقتَ

فعجبنا له يسأله ويصدقه ! !

قال : فأخبرني عن الايمان ؟

قال : ان تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمنَ بالقدر خيره وشره .

قال : صدقتَ . قال : فأخبرني عن الاحسان ؟

قال : ان تعبد الله كأنك تراه فانْ لم تكنْ تراه فانه يراك

قال : فأخبرني عن الساعةِ ؟

قال : ما المسئولُ عنها بأعلمَ من السائل . .

قال : فأخبرني عن أماراتها ؟

قال : ان تَلِدَ الأمةُ ربتها ، وأن ترى الحفاةَ العراةَ العالةَ رِعاءَ الشاءِ يتطاولون في البنيانِ .

ثم انطلقَ . فلبثَ ملياً

ثم قال : يا عمرُ أتدري من السائل ؟

قلتُ : اللهُ ورسوله أعلم .

قال : فانه جبريل أتاكم يُعلمُكم دينَكم (١)

معاناة الرسول شدة أثناء تنزل الوحي :

قال الله تعالى (انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) (٢)

ذهب الحسن وقتادة إلى أن المراد أن العمل به ثقيل . وقيل ثقيل وقت نزوله من عظمته . واستدل ابن كثير للقول الثاني بأحاديث كثيرة ، سنورد بعضها قريباً . وذكر الرازي في المراد عشرة أقوال اختار منهـا : كونه عظيم القدر جليل الخطر .

---

(١) قوله (فأسند ركبتيه إلى ركبتيه) أي جلس أمام الرسول وركبتاه أمام ركبتيه (ووضع كفيه على فخذيه) ان الرجل جلس جلسة المتأدب المستفهم ، فوضع كفيه على فخذي نفسه كما هو مألوف في طلاب العلم .

(أخبرني عن أماراتها) عن علاماتها الدالة على قرب وقوعها .

(أن تلد الامة ربتها) : في المراد منه أقوال كثيرة ويبدو لنا انه انقلاب المفاهيم والقيم حتى تتطاول الفتاة على والدتها والخادمة ونحوها على سيدتها . . وهكذا . (وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) فالعالة : هم الفقراء . والرعاة : هم الرعاة . والمعنى : أن أهل البادية ومن على شاكلتهم من الاجلاف والهمج — ويغلب عليهم الفقر عادة — ستبسط لهم الدنيا فيتنافسون على مراتبها ويترقون في البنيان متباهين .

(٢) سورة المزمل : ٥ .

وقد أحسن ابنُ جرير الطبري بالجمع بين القولين الاولين اذْ قال: (وأولى الاقوال بالصواب في ذلك أن يقال: ان الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه) (١)

منذ الجولة الاولى للوحي قاسى الرسول ﷺ شدة وبذل في تحمله غاية ما في الوسع من جهد. بل انه في هذه الجولة عانى منه هلعاً ارتج له فؤاده حتى خشي على نفسه.

لقد ورد في حديث عائشة رضي الله عنها (.. حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال ما أنا بقارىء. قال فأخذني فغطني **حتى بلغ مني الجهد** ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثانية **حتى بلغ مني الجهد** ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده.. فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي.. (٢)

وما أكثره هولاً وأفزعه منظراً أن يسمع الانسان صوتاً من جهة السماء فينظر فيها شخصاً جالساً على كرسي معلق في الفضاء بين السماء والارض (٣).

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٩ ص ٢٩ مطبعة المنار سنة ١٣٤٧ هـ. ومفاتيح الغيب جـ ٨ ص ٢٥١-٢٥٣ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري جـ ٢٩ ص ١٢٧-١٢٨ وانظر البحر المحيط جـ ٨ ص ٣٦٢.

(٢و٣) انظر الحديثين السابقين ص ١٨٥ وما بعدها.

وبصورة عامة فان الرسول ﷺ كان يعالج من التنزيل شدة ـ كما قال ابن عباس ـ [١] وأبلغ أنواعه شدة وتأثيراً مجيئه اليه بصوت صادر عن الملك أشبه بصلصلة الجرس (أحياناً يأتيني مثلَ صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصِمُ عني وقدْ وعيتُ عنه ما قال) .

فيفهم من هذا الحديث أن الوحي كله شديد الواقع على رسول ﷺ وأن تنزله بهذه الصفة أشد من غيرها . ولكن ما سبب هـذه الشدة ؟ لا ريب ان الفهم من كلام مثل صلصلة الجرس أعسر من فهم كلام الرجل في خطابه المعهود . . والسبب المؤدي للشدة والارهاق ، أن التخاطب يتطلب تناسباً وتلاؤماً بين المتكلم والسامع . ولا يحصل هذا الا بأحد أمرين :

إما أن يتصفَ النبي بوصف ملك الوحي باستثارة الروحانية فيه وتقويتها وتغليبها على الاوصاف الجسدية ، كما في حالة الاستماع لصوت الملك مباشرة حتى يقرب عند الرسول من صلصلة الجرس .

وإما ان يتصف المتكلم (ملك الوحي) بوصف النبي فتغلب عليه الاوصاف البشرية . (وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول) .

ولا جرم أن الحال الاول كان أشق على الرسول ﷺ ، وإذا كان الوحي كله شديداً عليه فانه يستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع . وعلى كل فان النبي ﷺ ينال ـ بتحمله هذه المشقة ـ زيادة الزلفى من الله ورفع الدرجات [٢] .

---

(٢) ولا شك أن البشر أضعف من أن يشاهد الملك على حقيقته الا ان يقويه الله على ذلك بمدد خاص . وهذا ما حصل لسيدنا رسول الله . ومع ذلك فقد عانى لعـدم الالفة ومغايرة الطبيعة ما عانى . راجع أصناف الوحي .

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٦ وانظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ص٢٢٩ .

لقد لمس الصحابة بأنفسهم مظاهر هذه الشدة وآثارها على رسول الله ﷺ ، قالت عائشة (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وان جبينه ليتفصد عرقا) [١] . وأطل يعلى رضي الله عنه لما ناداه عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو يوحى اليه فرآه محمر الوجه متتابع الانفاس في غطيط أشبه بغفوة النائم [٢] .

وهذا رسول الله ﷺ تشهده عائشة ووالداها رضي الله عنهم وقد تنزل عليه الوحي في بيتها ، فأحمر جسمه ، وتحدر العرق منه كحبات اللؤلؤ . قالت عائشة رضي الله عنها : (فو الله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمان من العرق ، وهو في يوم شاتٍ ؛ من ثقل القول الذي ينزل عليه ..) [٣] .

وإذا كان صوت الوحي قـــد طرق سمع رسول الله ﷺ قوياً كصلصلة الجرس يشغل اذنيه ويملأ أقطار نفسه ، فانه قد طرق أسماع الصحابة حوله خافتاً غير مفهوم أشبه ما يكون بدويّ النحل . فاختلف تشبيه صوته بين الفريقين نظراً لاختلافه قوة وخفوتاً بينهما لتركز وجهته على الرسول دون الصحابة . فوصفه كل كما سمـع فلا تعارض بين الوصفين . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (كان رسـول الله ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي يُسمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل عليه يوماً فمكثنا

---

(١) راجع ص ١٨٨ .   (٢) راجع ص ١٩٠ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير ــ سورة النور . ومعنى (رام) : فارق ، من (رام يريم ريماً) . لكن (رام يروم روما) معناها : طلب . (البرحاء) شدة الحمى . (الجمان) : اللؤلؤ ــ فتح الباري جـ ٨ ص ٣٣٦ .

ساعة ثم سُرِّيَ عنه فقرأ : (قد أفلح المؤمنون ـ إلى عشر آيات منها من أولها) وقال : من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة : ثم استقبل القبلة ، ورفع يديهِ وقال : اللهم زِدْنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثِرنا ولا تُؤْثِرْ علينا ، اللهم أرْضنا وارْضَ عنا)(١) .

وتوجع زيد بن ثابت رضي الله عنه وبرّح الالم فخذه حتى خاف عليها من ثقل فخذ رسول الله المستندة اليها حين نزل عليه الوحي . فقد أخرج البخاري (عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت عليَّ حتى خِفْتُ أن ترُضَّ فخذي)(٢) .

ويشهد الصحابة رسول الله ﷺ ممتطياً ناقته ، فينزل عليه الوحي وهو على ظهرها فتثقل وتهوي إلى الأرض تبرك عليها ، حتى يلتصق باطن عنقها بالارض لقوة واكتمال بروكها . (قالت عائشة رضي الله عنها :

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وصححه والترمذي والنسائي واللفظ للترمذي انظر فتح الباري : ١ : ١٥ وشرح المواهب للزرقاني ١ : ٢٢٩ وجامع الاصول جـ ١٢ حديث ٨٨٠٧.

(٢) صحيح البخاري في تفسير سورة النساء . وانظر شرح المواهب للزرقاني : ١ : ٢٢٩ . وقد ذكر أيضاً رواية الطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنت اكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه أخذته برحاء [حمى] شديدة ، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ، ثم سري عنه . وكنت أكتب وهو يملي علي فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل الوحي حتى أقول : لا أمشي على رجلي أبداً . ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت أن ينكسر عضد ناقته من ثقل السورة) ورواه أحمد والبيهقي في الشعب . أقول : يبدو أن هذه الرواية ضعيفة ، فقد أشار اليها الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٧ ص ١٣ ونسبها لاحمد والطبراني ، وبين أن في سند الحديث شهر بن حوشب ، وهو ضعيف وقد وثق .

وإنْ كان ليوحى اليه وهو على ناقته فتضربَ جِرانَها من ثقل ما يوحى اليه) (١) .

إن ظواهر الوحي كما تحدث عنها النبي ﷺ وكما عاينها أصحابه لأدلة قاطعة تنفي التوهم بأن الوحي شيء متكلف مصنوع أو أنه أمر تحضيري يُستجمع له الفكر والروية . بل تثبت هذه الظواهر يقيناً أن الوحي إلى محمد ﷺ أمر سوي لا اعتلال معه الزامي لا اختيار له فيه ، وأنه تلقين من الله العزيز الحكيم بقوة وقدرة ؛ وهيمنة وسيطرة ؛ وحكمة ورحمة .

---

(١) رواه أحمد والبيهقي في الدلائل . انظر شرح المواهب ١ : ٢٢٩ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص٤٣٥ وفتح الباري ج ١ ص ١٧ . وقال الراغب في مفرداته : الجران : باطن العنق . وكذا في النهاية لابن الاثير .

خصائص الوحي

ومن حنايا القرآن الحكيم وأحاديث النبي الكريم **أستخلص** أهم خصائص الوحي المميزة :

١ً - إنه حدث مفاجيء :

انه حدث تلقائي فجائي طرأ على حياة َمن اصطفاه الله للرسالة أو النبوة دون سابق توقع أو تطلع . فهذا محمد ﷺ في عزلته عن العالم فاجأه ملَك الوحي في غار حراء وأخذ يعتصره بقوة حتى أجهده وأضناه. فعل ذلك به ثلاثاً حتى ارتجف فؤاده وخاف على نفسه . فانطلق لتوه إلى زوجه خديجة مرتاعاً ، فلما سكن ؛ أخبرها الخبر مستغرباً وجلاً . ثم انطلق معها ليستفسر عنه ويتعرف عليه ...

وبينما كان ﷺ ماشياً طرق سمعه صوت من السماء فرفع بصره إليه فشاهد جبريل جالساً على كرسي بين السماء والأرض . ففزع منه ورجع إلى بيته يتزمل ثانية . لكن ملَك الوحي لم يدَعْه يركن إلى التزمل والتدثر ، فها هو يستنهضه مرة إثر أخرى (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر ...)[1] (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ...) هذا وغيره من صور الوحي أفاد **أن الرسول لم يستشرف الوحي ولم يتأهب له ، بل لقد طرق الوحي حياة الرسول طروقاً مباغتاً لم يكن في حسبانه .** حتى كان يفاجئه ليلاً ونهاراً في سفر أو حضر راكباً أو جالساً .

---

(١) سورة المدثر أسبق نزولاً من المزمل . انظر ابن كثير جـ ٤ ص ٤٤٠ - وفتح الباري جـ ٨ ص ٥١١ وروح المعاني جـ ٢٩ ص ١١٥ .

٢ً ـ إنه حدث إلزامي :

ونستبين ذلك من ناحيتين :

أولاهما : الأعراض الجسدية : ولقـــد ينزل عليه الوحي فتعتريه أعراض إلزامية كاحمراء الوجه وتتابع الأنفاس ، مع تحول الوعي عما حوله إلى ملـَك الوحي . وينجلي عنه الوحي في اليوم القارس البرد وإن العرق ليتقاطر غزيراً من جبينه ، وإن جسم رسول الله ﷺ ليثقل من شدة الوحي ؛ حتى تكاد فخذه ترض فخذ زيد دونها ؛ وحتى تثقل ناقتـــه فتبرك على الأرض . وتزخر أذناه بأصوات حادة كصلصلة الجرس ، يجـد الصحابة لها دوياً كدوي النحل .

وواضح لـكل ذي لب أن هـذه الأعراض إلزامية مفاجئة فليس في طوق أحد من البشر افتعالها ، وأن مسببها ـ بلا مراء ـ ذات أخرى تغاير الذات المحمدية .

ويزيد القضية جلاءً أن هـــذه الأعراض غير الارادية ما كانت تعتري رسول الله قط إلا في الفترة الوجيزة التي يتلقى فيها القرآن . فاقتران هذه الأعراض العضوية بهذا الحدث الروحي برهان جلي على براءة ظاهرة الوحي من شوائب الذات الانسانية الصحيحة أو العليلة .

ثانيتها : الأحوال النفسية : لقد انتاب الخوف رسول الله ﷺ من ملـَك الوحي في جولانه الأولى حتى خشي على نفسه الهلاك . وكان الأمر مبهماً بالنسبة إليـه حتى راح يستفسر عنه . ثم عرض له فأرعبه حتى لاذَ منه بالفرار . والتجأ إلى التدثر والتزمل ليسكن فؤاده ويدفع عن نفسه مشاهدة الملك ووميض الوحي فلم يُجْدِه ذلك شيئاً . فاذا بلغ الوحي

أشده وقرع صليلُه مسامع الرسول اتجه وعيه كلية إلى ملك الوحي حتى يقضي مقالته .

فمحمد ﷺ أراد أن يتملص طواعية من ملك الوحي ، لكن دعوته استولت عليه أخيراً . ومقاومته تلك [1] تدل على التعارض بين وجهته التي اتخذها بدافع من سجيته الشخصية وبين حتمية النبوة التي طوقتْ إرادته وتسلطت على ذاته . وفي هذه القرائن دلائل قوية للنظرة الموضوعية في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ً ـ الوحي مستقل عن ذات النبي وإرادته :

يظهر لك من الخصيصتين الســـابقتين أن الوحي خارج عن ذات رسول الله ﷺ ، فهو تلقائي فجائي إلزامي . والأعراض الجسدية والأحوال النفسية تفيد استقلاله عن إرادة النبي ﷺ وعجزه عن دفعه عن نفسه . وتفيد القرائن أيضاً عجزه عن استحضاره ، فان الوحي قد انقطع بعد أن جاءه الملَك في غار حراء أول مرة . فلما عرف النبي جلية الأمر أقضّ مضجعه **فتور الوحي** فقد خاف أن يكون حُرم نعمة النبوة . فلما شاهد الملَك على كرسي بين السماء والأرض فزع إلى أهله يتدثر ويتزمل ... وفي فترة الوحي هذه حِكم إلهية جليلة ، منها : أنه ﷺ لمـا فجأه ملك الوحي هالَهُ لقاؤه ونفر منه طبعه البشري لمخالفته المألوف الانساني . ولم يتمكن بالتالي من التأمل في تلك الحال ، فجاءتْ فترة الوحي تعطي رسول الله فسحة لانعام النظر واطمئناناً إلى تلقي الوحي وإلفة للملَك عليه السلام ، فيذهب عنه الروع ويحصل له التشوف إلى عودة الوحي . فالله تبـارك

---

(١) وقد نسب الاستاذ الكبير مالك بن نبي هـــذه المقاومة إلى أنبياء آخرين أيضاً . انظر الظاهرة القرآنية ص ٩٦ ـ ٩٧ ـ طبعة ثانية ـ دار العروبة بالقاهرة .

وتعالى يُعِدُّ الرسول ويقويه ويحوطه بعنايته الخاصة ليتحمل الوحي لكنه لا يسلخه عن طباعه البشرية .

ومن الحكم الالهية أيضاً : أن هذه الفترة قد حملت الرسول على التعجب والتساؤل والبحث ، وانتشر الخبر بين طائفة يعز عندها محمد بن عبد الله ، تخلّف انقطاع الوحي يقيناً بأن هذه الظاهرة خارجة عن ذات النبي ، فصار مع من حوله متثبتين من صحة ظاهرة الوحي [١] .

وقد استبطأ رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فحثه على الاكثار من زيارته فنزل الجواب آية من القرآن تبين أنه مأمور من الله تعالى وأن الله لا ينسى رسوله .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، فنزلت الآية : (وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً) » [٢] .

وهناك آثار أخرى تفيد أن جبريل قد احتبس عن رسول الله ﷺ . ذكر بعضها ابن كثير [٣] ، وأنه – كما روى البخاري – طلب الوحي في بعض المسائل الملحة الهامة فمكث شهراً لا يأتيه فيها وحي [٤] ،

---

(١) راجع حديث البخاري عن بدء الوحي في أول صحيحه وفي كتاب التعبير منه . وأما مدة فترة الوحي فقيل كانت سنتين ونصف وقيل ثلاث سنين وقيل أياماً وقد رجحه ابن كثير . انظر فتح الباري جـ ١ ص ٢١ و جـ ١٢ ص ٢٩١ – ٢٩٢ .

(٢) سورة مريم : ٦٤ – والحديث في كتاب التفسير من صحيح البخاري .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٠ .

(٤) صحيح البخاري – كتاب التفسير – سورة النور .

وروى محمد بن اسحاق أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ليسألاهم عن محمد عليه الصلاة والسلام باعتبارهم أصحاب كتاب . فقالت لهما أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فروّا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فان أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فجاؤا رسول الله ﷺ ... فقال لهم : « أخبركم بما سألتم عنه غداً » ولم يستثن ، فانصرفوا عنه . فمكث رسول الله ﷺ – فيما يذكرون – خمس عشرة ليلة لا يُحْدِث الله اليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ؛ واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكثُ الوحي عنه . وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح (١) .

---

(١) وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكىء على عسيب « غصن نخيل » إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال: ما رابكم إليه ؟ وقال بعضهم : لا يستقبلكم بشيء تكرهونه ! فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مقامي ، فلما نزل الوحي قال : ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . « الاسراء : ٨٥ » ، ويمكن =

ولقد كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه غرزياً أثناء تلقي الوحي حرصاً على الدقة في استحفاظ القرآن ، فأتاه الأمر بالاستسلام الكامل للوحي قلباً وفكراً وجارحة « لا تُحركْ به لسانَكَ لتَعجلَ به إن علينا جمعه وقرآنه »(١) ، « ولا تعجلْ بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً » (٢) .

وهكذا يجد الباحث أن الوحي كان ينقطع عن رسول الله ﷺ على الرغم من شدة طلبه وحرارة لهفته إليه ، وانه لجائي إلزامي يأمره بالتسليم التام . ولهذا دلالة بليغة على أن حدوث الوحي مستقل عن تدخل ذات النبي وإرادته ، وأنه لا سبيل له إلى دفعه أو استحضاره. وهـذا مما يقوى اليقين بصدق صاحبه والاطمئنان إلى ربانية مصدره .

٤ً ـ حصول الوحي وفق الاصطفاء الالهي :

اشرأبت أعناق المشركين إلى مقام النبوة بعد أن سمعوا آيات الله الباهرات ؛ ورأوا ما أجراه على يد محمـد ﷺ من معجزات قاهرات . تملّك الحسد قلوبهم ، كيف تكون النبوة خاصة بمحمد وفيهم من الزعماء من تعظمهم قبائل العرب !؟

= التوفيق بين الروايتين بأنه قد تعدد النزول والنازل واحد ، وأن يحمل سكوت النبي صلى الله عليه وسلم في المرة الثانية بأنه توقع مزيداً من البيان عن الروح . وعلى كل فان فترة الوحي ههنا خمس عشرة يوماً عن الاجابة عن السؤالين الأوايلم تزل قائمة دون معارض . وبيت القصيد هنا الاستشهاد على خروج الوحي عن ذات وإرادة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو موفور فيما ذكرنا وفي آثار أخرى لم نذكرها عزوفاً عن الاطالة ـ انظر صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ سورة الاسراء ـ وسـيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وفتح الباري ج ٨ ص ٢٧٩ .

(١) سورة القيامة : ١٦ . (٢) سورة طه : ١١٤ .

اندفع أكابر مجرمي مكة يطالبون أن ينزل الله عليهم الوحي كما أنزله على المرسلين ، فكشفوا عن عنادهم واستكبارهم عن الحق المبين . قال تعالى : (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نُؤمن حتى نُؤتى مثلَ ما أُوتيَ رسل الله . اللهُ أعلمُ حيث يجعلُ رسالته . سيصيب الذين أجرموا صَغارٌ عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) (١) بل بلغ بالقوم الحمق واللجاج بالباطل أن ابتغى كل منهم حصول الوحي له . كما أخبر الله عنهم (بل يريد كلُ امريء منهم أن يُوتى صحفاً مُنشّرة) (٢) فكبح الله جماح غرورهم ولجاجهم ، إذ أشار إلى عظم أمر النبوة وأنها تكون لصاحب الأهلية واللياقة للتلقي عن الله جل جلاله . فلا قيمة للاعتبارات الاجتماعية والمالية والسياسية البشرية ... وإنما العبرة كل العبرة لنبل الخُلق وشرف النفس وصفاء السريرة وطيب الطوية ... وهذا لا يعلمه علم اليقين إلا الله رب العالمين (الله أعلمُ حيث يجعل رسالته) والنبوة رحمة إلهية للناس جميعاً. فلما قضت حكمة الله ظهورها في زمان ما ؛ شرّف سبحانه بها حسب مشيئته وحكمته مَنْ كان أهلاً لها (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٣) .

أما الذين اقترفوا بتجبرهم وتكبرهم جريمة الاعراض عن رسالة الله ، ودفعهم الغل والحسد إلى تنفير الناس من رسالة الله ، فسلكوا ذلك الاسلوب من المكر والخداع والمراوغة ، فانهم لهذه الأوصاف الخسيسة ... ليسوا أهلاً للنبوة ، ولكنهم جديرون أن يُجازَوا على تجبرهم وتطاولهم وتعاليهم بالضد ، بالذل والهوان والتحقير . ويعاقبوا على مكرهم .

---

(١) سورة الانعام : ١٢٤ .   (٢) سورة المدثر : ٥٢ .

(٣) سورة آل عمران : ٧٤ .

وكفرهم بالعذاب الأليم (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) (١).

وتقلب مجرمو مكة بين أنواع الكفر، ومن ذلك زعمهم أن أمر الوحي والنبوة إنما يليق برجل كثير المال عظيم الجاه من مكة أو الطائف. وروي أنهم قصدوا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، وروي أن الوليد بن المغيرة كان يقول: لو كان ما يقول محمد حقاً لنزل عليّ أو على أبي مسعود، يعني عروة الثقفي. فكشف الله زيف زعمهم بقوله:

(وقالوا لو لا نُزّل هذا القرآنُ على رجل من القريتين عظيم. أهم يقسمون رحمة ربك!؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذَ بعضُهم بعضاً سُخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون) (٢).

لقد ابتغوا أي زعيم كان من مكة أو الطائف كما يفيد ظاهر النص. وتعللوا بهذا العذر مراوغة منهم لدفع حجج النبوة القاطعة التي قامت عليهم. وجهلوا أن رتبة النبوة إنما يمنحها الله أزكى الخلق قلباً ونفساً وأشرفهم بيتاً وأصلاً، والعظيم عنده تعالى هو عظيم النفس بالترفع عن الرذائل الأرضية والزخارف الدنيوية وبالتحلي بكمالات الفضائل القدسية. وأثار الله النكير على جهلهم والعجب الشديد من تحكمهم بالوحي بالقرآن العظيم لمن يريدون باستفهام انكاري قوي (أهم يقسمون رحمة ربك!!؟) وقد أبطل الله شبهتهم فذكّرهم أنه تعالى قد فاوت بمشيئته وحكمته بين خلقه فيما أعطاهم

---

(١) مفاتيح الغيب جـ ١٣ ص ١٧٥ ــ ١٧٧. والكشاف جـ ٢ ص ٥٠ وتفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٧٢ ــ ١٧٣ وروح المعاني جـ ٨ ص ١٧ ــ ٢٠.

(٢) سورة الزخرف: ٣١.

من منافع الدنيا ومناصبها وأرزاقها ، وكذا في العقول والمواهب والامكانات حتى صاروا يستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم فيتعايشوا ويترافدوا ، فلم يقدر أحد من الخلائق على تبديل هذه الطريقة . ولا ريب أن النبوة وما يتعلق بها من هداية وإيمان وسعادة في الدارين أسمى من منافع الدنيا وزخرفها (ورحمة ربك خير مما يجمعون) فالدنيا هينة على الله ، وقد جعل لمعيشتها طريقاً تعجز الخلائق عن تغييرها . وأمر الوحي والنبوة والرسالة عظيم عنده تبارك وتعالى ، إذ يُجلّي به للانسانية الحقائق الالهية من يهديهم الى الشرائع الربانية . فالوحي أجدر بأن يختار الله له داعياً من خيرة الأقوام (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ، ان الله سميع بصير) [١] ، فكيف يجعل لأحد من خلقه أثراً في توجيه الوحي أو التحكم فيه ! ! ؟ ؟

ومن أكرمه الله بالجاه وسعة الرزق وغمره بألوان بره وجب عليه أن يكون أكثر انصياعاً لحكم الله واهتداءً بهدى رسل الله وأبعد عن التحكم والعناد والعصيان .

تلكم آيات بينات ، أكدت ان الوحي أمر الهي محض ، لا أثر لسعي المرء في كسبه أو دفعه . وبالتالي فان النبوة إلزامية غير كسبية ، فلا ينالها الانسان بالجهد الفكري أو الترقي الروحي والأخلاقي . ولا عبرة في حصولها للقيم الدنيوية والاعتبارات المادية ، فان الله جلت عظمته قد اختص بالنبوة من شاء وفي الوقت الذي شاء حسب مشيئته وحكمته وعلمه ورحمته (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) [٢] .

---

(١) سورة الحج : ٧٥ وانظر روح المعاني جـ ١٧ ص ١٨٧ ــ ١٨٨ .

(٢) سورة البقرة : ١٠٥ . وانظر مفاتيح الغيب للرازي جـ ٢٨ ص ٢٠٩ ــ ٢١٠ وروح المعاني جـ ٢٥ ص ٧٢ ــ وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٢٦ ــ ١٢٧ .

٥ ـ قوة يقين النبي بالوحي :

يجب أن نضيف إلى معارفنا عن الوحي رأي الذات المحمدية نفسها فيه . ولا بد لنا في سبيل ذلك من عودة الذاكرة إلى أوصاف هـــذه الذات . فانها أخلاقية رفيعة ، تنعم بقدر عظيم من الفطانة ورجاحة العقل، ذات منزهة عن الصغائر والسفاسف ، لا ترقى اليها الظنون وقد سبق الحديث عنها . ثم لننظر علامَ استقر رأي هذه الذات ..؟؟ وهل تمت قناعتها اعتباطاً أم باستخدام كامل الطاقة الفكرية ..؟؟

انطلق فكر محمد ﷺ في دراسة ظاهرة الوحي إلى غايتها تدريجياً ، فروى بذلك نزوع عقله الراجح ، ولبّى رغبته الملحة في الوصول إلى اليقين في هذه الظاهرة . لقد جاءه الملك في غار حراء فجأة يأمره بفعل ما لا يقدر عليه (اقرأ) ثم هو يغطّه ويرسله ! ! أمر فجائي إلزامي خارج عن ذاته ، بعيد كل البعد عن سوانح فكره . راح بحال مضطربة ... فناجى خديجة بالذي جرى ، وعبر عن عمق تأثره بقوله « لقد خشيت على نفسي ! » أصدر قوله هذا بداهة ، فجاء اقراراً عفوياً دالاً على حقيقـــة أمره . حدث عجيب لم يعرفه ولم تعرفه خديجة أثار في نفسه التساؤل . فانطلق معها إلى ورقة ... ثم فتر الوحي ... ويلوح له الملَك على كرسي بين السماء والأرض ... حدث لم يخطر من قبل بباله ! ! يفزع إلى التدثر والتزمل بعداً عنه فيوافيه على الرغم من إرادته ... أدّى كل ذلك على تنشئة يقينه بالوحي ونموه وتماظمه . وكانت كل حالة أحوال الملك شاهد جديد له على حقيّة الوحي واستقلاله عن ذاته ؛ وشـــاهد على صدوره عن الذات الالهيـــة العلية . لقد استقر به مطاف التعجب والاستفسار إلى هذه القناعة الذاتية القاطعة ، وتتوالى عليها الأيام وأحداث الوحي فما تزيدها إلا قوة ورسوخاً .

٦ ـ معارف الوحي فوق مطامح الذات الانسانية :

في بيئة الجهالة القاتمة بعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام . فجاء قومَه بعقائد وأحكام تنافي ما أقاموا عليه من وثنية وتقاليد عفنة نتنة . وقاوم عقائد القوم بحدة وصلابة حتى أزعجهم وأقلقهم . هذا نهج لا ينصرف إليه ذهن متزعم ، وإنما يجيء الوحي به إلى النبي ويأمره بالتزامه ، على الرغم مما يلقى من عنت القوم . عرف ورقة بن نوفل هذه الحقيقة فأعلم بها محمداً عليه الصلاة والسلام بقوله : « . . إذْ يخرجك قومك ، فقال : أو مُخرجيَّ هم ! ! قال : نعم ! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي . . » وها هم زعماء الشرك قد مشوا إلى أبي طالب عم رسول الله فقالوا : « يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلَّل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا وإما أنْ تُخلي بيننا وبينه . . . » وإذ لم يكف عن دعوته عادوا إلى أبي طالب يتذمرون ثانية حتى قالوا : « . . . وإنا والله لا نصبر على هذا من شتْم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين ... » [1] .

فالوحي يلقي إلى النبي عقيدة متميزة ليناهض بها العقيدة الشعبية السائدة ويغير القيم والمفاهيم ويقلب الأوضاع . وهذا أمر لا تستحسنه الذات الانسانية ولا تسعى إليه إن تعلقت بزعامة أو حرصت على جاه .

قال الاستاذ مالك بن نبي : (ويتميز النبي الموحى إليه عن منافسه المحترف بمقاومته العنيفة ضد الألوهية القومية التي صارت لب العقيدة الشعبية،

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

لجميع الاتجاهات الخُلقية للنبي الموحى إليه قائمة على أساس الفكرة المتسلطة الملازمة : فكرة إله واحد عام ، يريد النبي أن يثبت فرائضه الخاصة في شعائر قومه) (١).

وَحمي الوحي وتتابع نزوله بالقرآن . فتزاحمت في وعي الرسول الأمين حقائق إلهية ودينية وتاريخية وكونية واجتماعية لم يخط منها قبل شيئاً في لوحة إدراكه وذاكرته . فكانت خارجة عن إطار ذاته بل عن معلومات عصره أيضاً . اشتمل القرآن على عقيدة الوحدانية الصحيحة ودلائلها ؛ وعلى أركان العقيدة الاسلامية العظيمة ؛ ثم على أحكام الشريعة الغراء ؛ وعلى حقائق من التاريخ ممحصة ؛ تصحح ما ورد في الكتب السماوية الأخرى من زيف وتشويه ، وعلى أخبار غيبية مستقبله صدقتها وقائع الدهر ؛ وعلى وعود أنجزها الله لعباده ... وغير ذلك من أوجه اعجاز القرآن الكريم (٢) ... وكل ذلك أفكار منتظمة في أسلوب منطقي يسهل استيعابه . وإن دراسة هذه الأفكار وصلة بعضها ببعض ، ما تقدم في النزول منها وما تأخر ، لتبرهن على خروجها عن نطاق فعالية الذات المحمدية وعبقريتها . وإن هذه المعلومات والأفكار والأحكام خارجة أيضاً عن حدود الفكر الانساني عامة في العصر المحمدي ، بل يستحيل أن يُنشئها أي فكر إنساني على كر الدهور ومر العصور . ويكشف ذلك بدون أدنى ريب عن صدورها عن قدرة إلهية خلاقة منظمة (٣).

---

(١) الظاهرة القرآنية ص ٩٧ .

(٢) انظر أوجه إعجاز القرآن في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة » .

(٣) قارن بالظاهرة القرآنية ص ٢١٣ .

لقد طرأت معارف الوحي على رسول الله ﷺ ، إذ لم تشغل فكر رسول الله ﷺ من قبل في قليل أو كثير . وجاءت متجاوزة نطاق أبحاث الذات الانسانية فصار مستحيلاً اعتبارها من المعارف الشخصية في شيء . ووجب التسليم بأنها معارف تلقائية مطلقة لمواضيع لا يتوصل الفكر وحده إلى شيء حقيقي فيها . فجعلت بذلك ثقة النبي بها مطلقة ويقينه بربانيتها كاملاً . وقذفت في أفئدة العقلاء حوله يقيناً قاطعاً بصحة الدعوة وإلهية الرسالة .

الفصل الثاني

كشف تخرصات المشركين والمستشرقين حول الوحي

أولاً : زعمهم أن الرسول تلقى دعوته من بعض الناس

- من بحيرى الراهب
- من بعض رجال الدين النصارى في الشام
- من ورقة بن نوفل
- من فتى أعجمي رومي رقيق

ثانياً : توهمهم أن القرآن من انتاجه الذاتي :

- رد مزاعم جولد تسهر ودرمنغام
- رد مزاعم للمشركين .

من أين جاء محمد بهذا الدين ؟؟ بحث ونقاش .. وتساؤل على ألسن المعاصرين والأقدمين . لقد أعلن محمد ﷺ الحرب الفكرية على عقيدة قومه منذ اللحظة الأولى لدعوته ، فحضهم على نبذ الاوثان والإعراض عن الخرافات والتقليد الأعمى للآباء والكبراء . ودعاهم الى الايمان بالله وحده والاستعداد ليوم الحساب . ونادى بتغيير أوضاع الحياة الانسانية جذرياً ، وجاء بتعاليم كفيلة بتحقيق هذا الغرض في أعلى مستوى . فالشريعة الاسلامية عالجت المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية ، وأرست قواعد النظام والمثل الأخلاقية العالية . وعمدة هذه الشريعة كتاب الله تعالى القرآن الكريم ، يفصل مجمله ويبين تطبيقه حديث محمد ﷺ . والقرآن - هذا - ذو أسلوب عال رفيع تضمن ؛ بالاضافة الى احكام الشريعة التي نوهنا عنها ؛ أخباراً عن الأمم الغابرة وعن رسلها عليهم السلام ، وأنبأ بأخبار أخرى عن حوادث مستقبلة ستحصل بعد نزوله . كما اشتمل القرآن على معارف كونية علمية هامة ، كان الناس عنها في غفلة تامة ، اذ الكشف عنها خارج عن دائرة امكاناتهم وفوق مستواهم العقلي والعلمي آنئذ . فذكرها القرآن واضحة جلية . وجاء العلم الحديث يقيم على صحتها البراهين تلو البراهين .

والحديث النبوي نفسه يشتمل على أمور غيبية وتشريعية وخلقية ..

لقد اتخذ النـاس من محمد ومما جاء به مواقف شتى . وما انفك كثيرون يتساءلون : من أين جاء محمد بهذا العلم كله عقيدة وشريعة ؟

والعقل الانساني حين يتساءل عن مصدر هذا الدين ، لا بد أن يجيل الطرف في افتراضات أساسية ثلاث : إما أن يكون اقتبسه محمد من بعض بني جنسه ، واما أن يكون وليد تفكيره العميق ونبوغه الشخصي ، واما أن يتنزل عليه من العزيز الحكيم رب السموات والارضين .

وها أنت ذا تخوض معنا غمار البحث من جوانبه الثلاث :

أولاً : زعمهم أن الرسول تلقى دعوته من بعض الناس :

هل اتصل محمد بأحد منْ أهل العلم اتصالاً مديداً وثيقاً يتيحُ له فرصة الأخذ عنه ..؟

لقد زعم بعض المستشرقين وأذنابهم أن محمداً تلقى من الراهب "بحيرى"، ويزعمون أنه تعلم من رهبان الشام أو من ورقة بن نوفل . ويزعمون كما زعم الجاهليون قبل أنه أخذ من حداد رومي كان مقيما بمكة .

١ً - طبيعة لقاء بحيرى :

فاذا نقبنا بطون التاريخ الوثيقة ؛ وجدنا ابن هشام صاحب السيرة يفصل قصة بحيرى، ونسوق تبيانها فيما يلي :

تكفل أبو طالب ابن أخيه محمداً بعد وفاة جده عبدالمطلب في الثامنة من عمره - كما تعلم - وفي حداثة محمد تهيأ أبو طالب للرحيل في ركب الى الشام تاجراً . فاشتد ميل محمد الى صحبة عمه فتعلق به فاصطحبه معه . فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب ؛ يقال له بحيرى في صومعة له . وكان اليه علم أهل النصرانية . فلما نزلوا قريباً من صومعته، رأى غمامة تظل محمداً من بين الركب . فأرسل اليهم فدعاهم لتناول طعامه صغاراً وكباراً فأعلمه أحدهم دهشته لصنيعه هذا . وقد كانوا قبل يمرون به كثيراً فلا يعبأ بهم . فلما حضروا اليه نظر فيهم فلم ير بغيته ، فقال : يا معشرَ قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي . قالوا له : يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سناً فتخلف في رحالهم . فقال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هـذا الطعام

معكم . فقال أحدهم : إنْ كان للؤم بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبدالمطلب من بيننا . ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته . وبعد الطعام سأله بحيرى بحق اللات والعزى أن يجيبه عن بعض أسئلته ـ وقد رأى العرب يتساءلون بحقها ـ فأعلن الرسول بغضه لهما . فسأله بالله عن أشياء من أموره ، فأجابه محمد ﷺ ، فظهر على بحيرى علائم ان ذاك موافق لما عنده . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، فقال لعمه : ما هذا الغلام منك . فقال : ابني . فقال بحيرى : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً . قال : فانه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به . قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود . فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغنه شراً . فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرعْ به إلى بلاده. فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

وها أنت ذا ترى أن اللقاء بين محمد وبين بحيرى كان يسيراً وأن قوماً من العرب حاضرون . ومحمد حدث لم يبلغ مبلغ الرجال ، فقد استخلفه القوم على متاعهم لصغر سنه . فقد ذكر بعض رواة السيرة انه كان ابن تسع سنين وروى آخرون أنه كان في الثانية عشر من العمر . فأنى لمحمد في تلك السن أن يستوعب أمور النبوة العظام . . ؟ وأين الوقت أقل الوقت اللازم للتعلم والاستحفاظ ؟ بل ليس في القصة أي ذكر لأمور دينية . ولو تذاكرا هذه الأمور لتشبث بذلك مشركو قريش

قديماً قبل الحاقدين المتخلفين من متعصبي الصليبية الطائشة ، أمثال درمنغام ورينيه وغيرهما [١] .

٢ً ـ رحلتان إلى الشام يسيرتان :

وقد زعم هذان وغيرهما أن محمداً استفاد من رحلاته إلى الشام. وهو زعم كاذب فانه ليس لمحمد إلا الرحلة المذكورة آنفاً . ورحلته في الخامسة والعشرين من العمر إلى الشام حيث ذهب تاجراً بأموال خديجة بنت خويلد يصحبه غلامها ميسرة . وليس في هذه الرحلة لقاء برجال الدين أو غيرهم من أهل العلم . وقد زعم درمنغام أن محمداً مرَّ مع القافلة بمدين وهي بلدة في سيناء فأخذ عن رجالها العلم [٢] . بينما تعلم أن القوافل لم تكن تمر في طريقها إلى الشام بسيناء . **ولم يجاوز الرسول في كلتا رحلتيه سوق مدينة بصرى ، لانجاز المهام التجارية بصحبة من كانوا معه . ولو تلقى عن أحد حينئذ لنقل ذلك الينا نظراً لطبيعة سير القوافل وملازمة الاصحاب في الغربة . ولو تعلّم شيئاً ـ كما توهموا ـ لظهر أثره في كلامه وحياته آنياً في الخامسة والعشرين من عمره لا في الأربعين .. فان خمس عشرة سنة كفيلة باخماد جذوة حماسته ، حتى تطوي أمواج النسيان تلك المعلومات اليسيرة التي زعموا واهمين أنه تلقاها عرضاً في طريقه .**

وعلى الرغم من تفشي الوثنية والجهل والأمية في الجزيرة العربية ومعرفة المستشرقين وتسليمهم بهذه الحقيقة ، فانهم لا يمتنعون عن زعم

---

(١) نسب اليهما تبني هذا الزعم وغيره السيد محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي ص ٧١ وما بعدها طبعة خامسة سنة ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

(٢) الوحي المحمدي ص ٧٣ ـ ٧٤ .

انتشار النصرانية في عرب الجزيرة وأن محمداً أفاد من هـذا ؟ ويستدلون لذلك بتنصر بعض فصحاء العرب ويعنون بذلك قس بن ساعدة الأيادي ، وأمية بن أبي الصلت . والتاريخ يحدثنا أن قساً قد مات قبل البعثة ، ولم يكن بينه وبين الرسول مخالطة أو مباحثة ، وأما أمية فلم يلق الرسول قبل البعثة ولا بعدها أيضاً .

٣ً - ورقة يستطلع نبأ محمد ﷺ :

ومن مزاعم أميل درمنغام وبعض المستشرقين أن الرسول تلقى عن ورقة بن نوفل وهو من متقني العبرية المطلعين على النصرانية جيـــداً . وتحدثنا كتب الحديث الصحاح عن لقاء تم بين محمـد ﷺ وبين ورقة بعد أن بلغ من الكبر عتياً فعمي وذلك حين تنزل على محمد ملك الوحي في غار حراء . وقد حملت محمداً زوجه خديجة على لقيا ورقة ، ليستفسر عن حقيقة هذا الذي دخل عليه الغار بتلك الطريقة المهيبة « فقـال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجيَّ هم ، قال : نعم لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي ، وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي»[1].

لقد استقصى المحدثون والمؤرخون كل ما عرف عن ورقة مـما له سند صحيح وما ليس له سند صحيح ، فلم نعثر في رواياتهم على ما يشير أن ورقة كان داعيةً الى النصرانية . فهذا اللقاء انما تم في زمن متأخر بعد مجيء ملك الوحي المرة الأولى واستثارته عجب الرسـول واستفساره .

---

(١) أخرجه البخاري وقد ذكرناه قبل بتمامه ص ١٨٥ ــ ١٨٨ .

وقد حضرت خديجة هذا اللقاء وشهدته . ولا يغب عن بالك أنها المرأة الشهيرة بفطنتها ورزانتها ورجاحة عقلها .

وها أنت ذا تجد أن ورقة يقف مستطلعاً نبأ ما حصل لمحمد . ثم يعلن أن هذا مطابق لما عنده من صفات ملك الوحي الذي أنزله الله على موسى . وأن هذه الصفة هي صفة ملك الوحي بيقين لا اختلاف فيها بين أصحاب الديانات السماوية يهوداً ونصارى .

لقد أعرب ورقة ببيانه ذاك عن يقينه التام الوطيد بنبوة محمد ﷺ واتباعه له .

فأين هو التعليم والتلقي ..؟ وانما كان ورقة مستطلعاً مستفهماً كشأن الراهب بحيرى تماماً . زد على ذلك أنه انبأه أن قومه سيكافؤنه على الهداية بالاذى والعداء ، حاله معهم كحال الرسل قبله مع أقوامهم . ويندفع ورقة على كبر سنه بالتطوع للتضحية والمناصرة رداً للكائدين . أرأيت لو كان ورقة مصدر معارف محمد ، أكان يقف منه موقف التابع المؤيد المناصر ..!؟

وها هو ذا ورقة يموت (١) فمن أين لمحمد ـ بعده ـ تلك العلوم يتلو بعضها بعضاً أكثر من عشرين سنة ..؟

٤ً ـ الرقيق الرومي الجاهل :

واتهم المشركون رسول الله بالتلقي من فتى أعجمي رومي رقيق

---

(١) وأما الرواية التي نصت على أنه عاش حتى شاهد بلالا يعذب في الرمضاء ، فهي رواية شاذة لان مقتضاها انه عاش بعد البعثة أكثر من ثلاث سنين . وهذا مخالف لرواية عائشة في الصحيحين ، لذلك اعتبرناها شاذة .

لبعضهم . وتضاربت الروايات كثيراً في تحديد اسمه (١) . وكان يعمل بمكة حداداً يصنع السيوف ، وقيل انه كان بياعاً عند الصفا . ويظن أنه قد عرف شيئاً من التوراة والانجيل من أهل بلاده . فردعهم الله بحجة قاصمة قال تعالى : (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدىً وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون انما يُعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) (٢) .

لقد أنزل الله القرآن عربياً في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة بمعان أكمل من معاني أي كتاب سماوي آخر . والعجيب مع هذا أن اعداء الرسول يميلون إلى نسبته إلى رجل أعجمي .. فكيف يتعلم من جاء بهذا الكتاب العربي الفصيح المعجز من رجل أعجمي ألكن ..؟

وهذا ـ فيما يبدو لنا ـ تحدٍ قوي بليغ بأسلوب القرآن البياني . وقد عجز العرب عن مثله عجزاً فاضحاً لا يُستر . والقرآن إلى جانب ذلك معجز باحتوائه تلك العلوم الكثيرة الفائقة الكمال ، التي لا نظير لها في كتاب غيره ، ولا يعلمها أحد من الناس .

فمن أين للبشرية ذلك المعلم قبل بعثة محمد ﷺ ؟

وكيف يتعلم محمد جميع ذلك من غلام أعجمي سوقي جاهل ...؟

ألم يبلغك أن العلم في ظل النظامين الروماني والفارسي كان حكراً بيد طبقة خاصة لا تشم العامة رائحته . فأنى لذلك الرومي الشريد تلك

(١) وزعم بعضهم انه سلمان الفارسي . وهو خطأ لانه أسلم بالمدينة وهذه الآية نزلت بمكة قبل أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) سورة النحل : ١٠٢ ـ ١٠٣ انظر روح المعاني ج ١٤ ص ٢١٣ وابن كثير ج ٢ ص ٥٨٦ .

العلوم التي تبذّ علوم الأولين والآخرين ؟ كان غلاماً حداداً أو بائعاً منهمكاً في مهنته غارقاً في توافه الحياة ، لم يعرف مناهل العلم في قليل أو كثير ، عاميّ القلب والفكر ، أعجمي اللسان ، لا يعـــلم الكتاب إلا أماني ، فنسبوا اليه ما نسبوا زاعمين أن العلم يقتبس من الجهل . وكفاهم بهـذا عاراً وافتضاحاً .. ! ! ويمكنك أن ترد كافة التقولات السابقة بأدلة النقض الخاصة بكل زعم كما ذكرنا ، وأن تدعم كل رد بذكر الادلة العامة التي تثبت أن القرآن وحي من الله تعالى ؛ كالاستدلال بأسلوب القرآن البيـاني المعجز وبتلك العلوم القرآنية الجليلة ... من معالم العقيدة والشريعة والاخبار عن الغيب الماضي والمستقبل ، وما إلى ذلك من وجوه اعجاز القرآن الأخرى التي سنبينها بعد ان شاء الله تعالى .

ولعلك تدرك من اتهـام العرب الرسول بالتلقي عن رومي ؛ أنهم يعرفون تماماً انه ليس فيهم أحد يمكن أن ينسب اليه هذا العلم ، لا ورقة ابن نوفل ولا غيره . لقد فقدوا أساس هـذا العلم في أنفسهم حتى كانت الجاهلية طابعهم وسمتهم . فكيف يتصدرون فيه مجلس التعليم لغيرهم ، بل التعليم لمن وصمهم كتابه بالجهل مراراً ؟

فانْ دفع الوهم أحداً إلى القول : يُحتمل أن يأخذ محمد من الرومي العلم ثم يصوغه بلسانه العربي الفصيح !

قلنا : أولاً ـ إن الذي جاء به القرآن ؛ من اعجاز بياني وعلوم وغيبيات وتنبؤات صدقها الواقع ؛ فوق عـــلم الخلائق ويتجاوز حدود معارفهم وأفكارهم .

ثانياً ـ ان الرومي جاهل ، كما أثبتنا ، ولو كان هذا الغلام ـ وهو عبد مملوك لهم ـ يصلح أن يكون مرجعاً علمياً ـ كما زعموا ـ فما الذي

منهم - وهم أصحاب الغنى والنفوذ - أن يأخذوا عنه ، أو عن نظرائه في بقعة أخرى ، ليصوغ أرباب البيان منهم ما تلقوه بأسلوب يعارض القرآن ، فيداوون صاحبهم من جنس دائه ويرتاحون من عنائه .. ؟

ثالثاً - وما منع ذلك الغلام نفسه أن يستعين بفصحائهم ويقوم بتلك الدعوة ويمسك بزمام القيادة بذاته ؟(١) .

ولو كان لمحمد اقتباس من الرومي أو غيره لروي لنا التاريخ نبأ صلته الوثيقة به أكثر من صلته بأبي بكر وعمر . لان طبيعة التلقي والمباحثة تتطلب ذلك ، ولأن الولاء واظهار المودة الدائمة في تلك الحال أساس لابد منه لتفادي غيظ الملقن وحسده وحقده ، لئلا يؤدي ذلك إلى كشف الأمر وافتضاحه . ولما كان مسلك رسول الله ﷺ منزهاً عن ذلك فقد ظهر صدقه وثبتت نبوته .

وعماد هذه المناقشة - عندي - مسألتان :

أولاهما - أن الرسول ﷺ لم يتلق عن أحد من العلماء قبل النبوة ولا بعدها . وأن الذين لقيهم لم يتصل بهم صلة تمكنه من التلقي الوفير المجدي . بل انه لم يسمع ممن لقيهم قبل النبوة شيئاً من هذه الأحاديث البتة . وأما الذين التقى بهم بعد النبوة وسمع منهم وسمعوا منه كوفد نصارى نجران وبعض اليهود كعبد الله بن سلام . فقد التقوا به في المدينة - بعد ثلاث عشرة سنة من حمله أعباء الدعوة - ولم يكن منهم إلا أن سألوه وأخذوا عنه وآمنوا به ، فكان عليه السلام معلماً لهم

(١) قارن بالنبأ العظيم ص ٥٥ - ٥٦ دكتور محمد عبد الله دراز . م السعادة بمصر ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م .

وواعظاً ومنذراً ومبشراً . أضف إلى ذلك أن كل لقاء لم يكن سراً مكتوماً بل كان علناً مشهوداً .

ثانيتها ـ أن نقرر هل الذي جاء به محمد ﷺ نظير ما كان عندهم أم لا ؟ **لاشك أن البون بين مافي الكتاب المقدس وبين القرآن شاسع** . وأن الفرق بيّن ظاهر ، وسنبين ذلك فيما بعد باذن الله [١] .

لقد رأيتَ مما سبق أن المستشرقين الذين يخادعون الناس بدعوى الموضوعية والحياد في البحث لم يجاوزوا كلام المشركين قديماً قيد أنملة . بل لاكوه بألسنتهم بسماجة فاحشة وأعادوه مكرراً ينافسون الببغاوات في بلاهتها .

فان محاولتهم طعن القرآن بتلك الخرافات الركيكة دليل على احساسهم بقصورهم وعجزهم عن النيل منه . لذلك زعموا أن مصدر العلم هو الجهل . فقد راموا اجتماع اليوم والامس واستواء السها والشمس .

فدعهم يزعمون الصبح ليلاً ★ أيعمى الناظرون عن الضياء ؟

ثانياً : توهمهم أن القرآن من النتاج الذاتي

ذهب المستشرقون وملاحدة العصر إلى رأي جديد ـ في نظرهم ـ فهم يرون أن محمداً صادق عاش حياة مستقيمة شريفة عفيفة . زهد في الدنيا واستعلى على مطامعها وشهواتها . ورأى الناس في فساد، ورأى نفسه قد علم ما لم يعلموا ، وأدرك ما قصرت نفوسهم عن ادراكه، فخُيل اليه أنه مرسل اليهم من الله تعالى لاصلاحهم قال المستشرق اليهودي المجري (جولد تسيهر) :

---

(١) في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة ».

(ففي مكة كان « أي محمد » **يشعر** أنه نبي يتمم برسالته سلسلة رسل التوراة، وأن لهذا عليه مثل؛ أولئك الرسل ؛ أن يقوم بانذار أمثاله في الانسانية وانقاذهم من الضلال) .

ثم قال : (ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد الصور التي أوحتها اليــــه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي ... بل يُظهر لجموع معارضيه ومناقضيه العقيدة السائدة في نفسه ؛ عن قوة الله خالق العالم وربه وسلطانه غير المحدود ؛ وعن اقتراب يوم الحساب الذي يتمثله ويراه في الرؤى الوحيية فينتزعه من راحته انتزاعاً) .

ثم يعمم حكمه على الرسل جميعاً فيزعم أن (الرسالة التي يأتون بها بدافع **ادراكهم المباشر**؛ وكذلك المعارف الدينية التي يوقظونها) (١) .

وإلى مثل هذه المزاعم ذهب درمنغام ، فرأى ان محمداً كان مستاء من أوضاع قومه وأصنامهم وخرافاتهم ، وأنه اطلع على النصرانية واليهودية، وعرف أن الله يبعث للاقوام كلما ضلوا رسولاً ينقذهم ، ثم قال : (ووجد في وحدة غار حراء مسرة تزداد كل يوم **عمقاً** ، وجعل يقضي الاسابيع ومعه قليل من الزاد ، وروحه تزداد بالصوم والسهر والادمان على تقليب فكرته صقالاً وحدة ، ونسي الليل والنهار والحلم واليقظة . . وجعل يقضي الساعات الطوال جاثياً في الغار أو مستلقياً في الشمس أو سائراً بخطوات واسعة في طرق الصحراء الحجرية . وكأنه يسمع الأصوات تخرج من خـــلال احجارها تناديه مؤمنة برسالته ، وقضى ستة أشهر في هـــذه الحال حتى خشي على نفسه عاقبة أمره . . وفيما هو يوماً نائم في الغـار جاءه ملك

---

(١) انظر العقيدة والشريعة لجولد تسهر معرب ص ١٩ و ٢١ و ٧٧ طبعة ثانية دار الكتب الحديثة ــ مصر .

فقال اقرأ ..) [١] .

نبدأ المناقشة بتمحيص الاقوال الواردة ، لنعرف هل هي صحيحة نقلاً وعقلاً ؟ أم هي باطلة نقلاً مرفوضة عقلا ؟

تعال معي ننقب بطون كتب الحديث ؛ بل السيرة والتاريخ أيضاً ؛ لترى هل ورد فيها شيء من تلك الحوادث التي زعمها هذا الرجل .

صحة نفسية وعصبية وافرة مدى العمر :

ستجد أن الرسول قد خلا بنفسه في غار حراء يتعبد كما ورد في الأحاديث الثابتة في الصحيحين ، لكنك بعد أن تجوب بنظرك آفاق المراجع لترى هل نسي محمد الليل والنهار والحلم واليقظة وقضى الساعات الطوال جاثياً في الغار أو مستلقياً في الشمس وأنه بقي ستة أشهر كذلك. لو فتشت عن مثل هذا لارتد اليك طرفك خائباً يائساً ، ولقذفتْ أمواجُ فؤادك ذلك الغثاء الذي قاءته عقلية الرجل الفرنسي (درمنغام) أو غيره دون أن يأبه ما إذا كان لادعائه بعض الصلة بالحقيقة أم لا ..! لقد استفرغ جهده ليحبك للناس أسطورة توهمهم ان محمداً قد خارت - في الغار - قواه العقلية والعصبية والنفسية ، وسيطرت عليه الهواجس والخيالات والاوهام نحواً من ستة أشهر - حسب زعمه - فأدخل ذلك في روعه أنه غدا رسولاً من الله . **ولكن الذي يقع فريسة تلك الحال المرضية المزعومة ، لا يعقل أن يصدر عنه الحديث عن الالهيات والنبوات في أسمى صورها ولا التشريعات الناجعة لأعتى مشاكل الحياة . ولا ذلك الذكر الحكيم بأسلوبه الأخاذ البليغ المعجز .. فأين يذهبون ..؟**

---

(١) الوحي المحمدي رشيد رضا ص ٨١ طبعة خامسة ــ مطبعة صبيح وأولاده .

لذلك فما عليك إلا أن تضرب عن مزاعمهم صفحاً . فهي زائفة باطلة نقلاً . وارنُ بفؤادك وعقلك إلى أصح ما ورد بهذا الصدد وهو ما رواه البخاري ومسلم وقد ذكرنا لفظ البخاري في مطلع هـذا الباب .

وعليك أن تنتبه دائماً إلى أن المستشرقين يشوهون الأقوال والحوادث أو يختلقونها ، ثم يقدمون مزاعمهم تلك على أنها وثائق علمية لا جدال فيها ؛ مع أنها مفتراة لاصحة لها ، فلا يتقبلها أحد إلا الجهلة والسفهاء[١] .

الجنون والعبقرية لا يجتمعان :

ومضى المستشرقون يُقلّبون الرأي ، فزعموا أن محمداً رجل عبقري ازدادت أفـكاره حدة وصقالا بعزلته .

فاذا كان الحديث عن العقيدة والتشريع صادراً عن نبوغه ، فلماذا لم يحدث الناس عن شيء من ذلك طيلة الأربعين سنة السالفة من عمره..؟ ولماذا لم ينقل لنا التاريخ عنه أنه قـــد أبدى بعض أفكاره الاصلاحية لقومه قبل .. ؟

والحقيقة أن محمداً لم يستشرف النبوة ، ولم يتطلع اليها ، ولم يطمح ذات يوم فيها . فهل حديثه بهذا الأمر الجلل الخطير مرة واحدة دون تمهيد دليل على صدوره عن فكره اللامع ، أم هو دليل على أن شيئاً لم يكن له عهد به ، قد جاءه وأُمر بتبليغه ، وأنه ليس إلا وحياً أوحاه الله اليه !!؟

لقد حار المستشرقون في نبوة محمد ﷺ حـــيرة الجاهلين ، أينسبون القرآن والوحي إلى غـــيره فيزعمون بأنه تلقفه من هنا وهناك

---

(١) وقد كشفت ذلك في فصول من رسالة الماجستير (الاحرف السبعة في القرآن ..) .

– كما رأيت مزعمهم قبل – أم يردوه الى ذات محمد وشخصه فيزعمون أن ما جاء به نتاج الفكر العميق والمشاعر المرهفة . فهو شاعر أو كاهن (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم وما هـــو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكَّرون . تنزيل من رب العالمين) [١] .

وكما زعم (درمنغام) ان محمداً قد قلّب افكاره حتى زادها حدة وصقالاً ، زعم (تسهر) أن رسالات الرسل انمـــا هي حصيلة ادراكهم المباشر ومعارفهم الدينية التي حفظوها حين أهملها الناس وغفلوا عنها .

ما الرسول – في نظرهم – إلا متعلم مفكر . **فأي فرق بينهم وبين الجاهليين في هذه المسألة ؟** ويصورون الرسول الى جانب كونه متعلماً مفكراً إنه رجل الرؤى والأوهام والخيالات التي ملكت عليه نفسه فصورت له يوم الحساب وانتزعته من راحته انتزاعاً وصورت له قدرة الله وحكمته حتى توهم بأنه يتلقى خطاب ملك الوحي فيبلغه بأنه رسول الله . . فهذا هـو الوحي النفسي . .

لو أعملتَ ذهنك بتجرد أتحكم على رجل تتراءى له الأخيلة وتدخل نفسه الأوهام أنه انسان عاقل . ؟ أم تحكم بأن في عقله لوثة ان لم تقل إنه مجنون . . ؟

كذلك قال المستشرقون كقول المشركين قبلهم . . تشابهت قلوبهم المريضة ونفوسهم المتجبرة . فزعموا ؛ تخلصاً من الحقيقة ؛ اجتماع عمق الفكر وقوة الذهن مع الجنون والخبال في امرىء واحـد (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون . . ؟ ؟) [٢]

---

(١) سورة الحاقة : ٣٨ – ٤٢ .   (٢) سورة الدخان : ١٤ .

ولو نظرت في الشريعة الاسلامية وما فيها من حكم ومواعظ وأحكام تشريعية سامية وأخلاق رفيعة لأثار فيك ذلك تساؤلاً : هل يصدر كل ذلك التعقل والحكمة عن الجنون واختلال المشاعر . . ؟ ومتى كان الجنون منبع الحكمة ؛ والفساد مصدر الخير ؟

ثم انظر في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ . هل تراه كان مبتلى بالغفلة والبلاهة فيتراءى له ما يتراءى . . . ؟ أم تراه بنى مجتمعاً قوياً على دعائم وطيدة ، وقاد معارك النصر والظفر ، وأسس دولة على أسس منيعة منحتها قوة للاتساع بعده من جبال الصين شرقاً الى حدود فرنسا غرباً ؟ ان محمداً وكافة الرسل قبله ، قد اشتهروا بالتعقل والنباهة والفطنة قبل النبوة وبعدها . يعترف لهم بهذا أتباعهم وأعداؤهم على السواء .

وهنا تتيقن أن مثله في نباهته ويقظته وذكائه لا تختلط عليه الامور ولا تغلبه الأوهام والهواجس .

مشاكلة دعوى المستشرقين في الوحي النفسي دعوى المشركين :

ولعلك يلج بك العقل فيأبى التسليم بأن دعوى المستشرقين في الوحي النفسي مشاكلة اتهام المشركين الرسول بالجنون .

فاليك ما زعمته قريش على لسان عتبة بن ربيعة مرة وعلى لسان جماعة منهم مرة أخرى . ها هو سيد من قريش : عتبة بن ربيعة . يتوسط بين رسول الله وبينهم لاصلاح ذات البين . فيعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فيقول : يا ابن أخي إن كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وان كنت انما تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه ولا تستطيع رده عن

نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .. فقال رسول الله : (أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟) قال : نعم ، قال (فاستمع مني) قال : أفعل . فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من أول سورة فصلت . . (١)

وهكذا ترى أن المشركين يزعمون أن بعض الجن يتراءى له فيوهمه أنه رسول . وأن المستشرقين لم يبعدوا النجعة عن قولهم . **والظاهر أنهم قد ولدوا رأيهم من رأيهم** ولم يختلفوا عنهم بشيء ، فهؤلاء عـبروا حسب مفاهيمهم (الوحي النفسي والرؤى والخيالات) وأولئك عبروا وفق مفاهيمهم أيضاً (الجن والشياطين) وكانوا يسمون التابع من الجن (رَئياً) . وقد ألزمهم الله الحجة بقوله :

(وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون . . هـل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم) (٢) .

إنه ليمتنع ويستحيل على الشياطين أن تأتي بمثله . فانه لا ينبغي لهم، وانهم لا يبتغونه ولا يتطلبونه لان سجاياهم الفساد وإضلال العبـاد . وفي هذا القرآن أمر بالمعروف والخير ونهي عن المنكر والشر ، وهو هدى وايمان ونور وشفاء لما في الصدور . وانهم ممنوعون محجوبون عن الاستماع

(١) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٣ ـ ٣١٥ تحقيق محي الدين عبدالحميد طبع المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر . وانظر في ذلك ما رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) سورة الشعراء ٢١٠ ـ ٢٢٢ .

لما يوحيه الله الى عباده المرسلين . (١) ومحمد معروف خلقاً وفضيلة ، وأدباً وصدقاً واحساناً . والشياطين تغاير صفاتهم صفاته فكيف يألفونه . والجنس انما يألفه الجنس . . ؟

ولو كان هذا الذي يقوله محمد صادراً عنهم لاحتوى مديحهم والثناء عليهم واعلاء شأنهم . بينما لو أجلت الطرف في آيات القرآن لوجدت فيها غضباً عليهم ولعناً كبيراً ؛ وتجهيلاً وتكذيباً لهم وكشفاً عن ضعفهم، وأنهم ليس لهم على الذين آمنوا سلطان . (٢)

تبين لك مما ذكرنا أن المستشرقين أطلقوا مزاعمهم تكراراً مملولاً سخيفاً لترهات الجاهلية ـ أحياناً ـ واغترفوا بعضها من غير تثبت ولاروية ، وغيروه حسب أهوائهم في أحيان أخرى ، فجاءت مزاعمهم سمجة ممجوجة يأباها العقل . وقد رأيتَ ما نقضها من أساسها .

لقد دأب المستشرقون على تنميق الكلام وتزويقه ودعوى التزام قواعد البحث العلمي . . ثم تراهم أمام المسائل الاسلامية ـ والأساسية منها خاصة ـ يزعمون ويزعمون . . يفترون ويختلقون . . لعل ذاك الركام الوفير الهائل من الاضاليل والمفتريات يشوش الاذهان ، ويعرقل زحف الدعوة الظافر في الشعوب فيطمس معالم الحقيقة ويطفىء شعلة الهداية ، أو يخمد جذوة حماس المؤمنين بالله المنافحين لاحقاق الحق وازهاق الباطل، ولا تلبث بشيء من التفكر والأناة في مطالعة الحقائق من مصادرها ،

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٢) قال تعالى : (واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) سورة النحل : ٩٨ ـ ١٠٠ .

أن تستبين وجه الحقيقية الناصع فتطوح بتلك الاراء المغرضة الهدامـة ، فتصبح أثراً بعد عين .

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولـكم الويل مما تصفون)[1] .

---

(١) سورة الانبيـاء : ١٨ .

الباب الثالث

معالم نبوة محمد ﷺ في القرآن

الفصل الأول : دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن .

الفصل الثاني : معالم نبوية في شخص محمد ﷺ

الفصل الثالث : مجيء محمد ﷺ على السنن الالهية في بعثة الرسل .

الفصل الرابع : تبشير الكتب السماوية ببعثة سيدنا محمد ﷺ .

الفصل الأول

دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن

- بين دلائل النبوة ومعجزاتها .
- الدلائل الحســـية .
- الدلائل العقلـــية .

بين دلائل النبوة ومعجزاتها

المعجزة في تعريف علماء الكلام « أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة »(١) لكن بعض علامات النبوة لا تنضوي تحت لواء هذا التعريف ، فما الفرق بين المعجزة وبين دلائل النبوة عامة ؟

تطلق « دلائل النبوة وعلامات النبوة » ويراد منها : كل دليل يثبت نبوة محمد ﷺ ويبرهن على صدقه دون تقييده بشروط معينة . فيشمل حتى السمات الخاصة في جسده عليه الصلاة والسلام كخاتم النبوة، ويشمل تبشير الكتب السماوية ببعثته . لكن تعريف المعجزة يُخطرك أن من شرائطها « اقترانها بالتحدي » إذ يتحدى النبي الناس ، فيعجزون عن الاتيان بمثلها. فيُثبت ذلك في أفئدتهم اليقين بأن الله أجراها على يده تصديقاً لنبوته وتأييداً لدعوته . فكل معجزة علامة على نبوة صاحبها حتماً . ولكن ليس كل علامة أو دليل على النبوة أمراً معجزاً « خارقاً للعادة » مقروناً بالتحدي . فالمعجزة أخص من الدليل والعلامة ، (٢) ولهذا التفريق عمد مشاهير المحدثين إلى الترجمة للكتب والأبواب المتصلة بالنبوة بعنوان « علامات النبوة » كما فعل البخاري في صحيحه ؛ أو « دلائل النبوة » كما فعل البيهقي وغيره . والظاهر أنهم قد قبسوا ذلك من نور الكتاب المبين ، فانه لم يورد لفظ المعجزات إطلاقاً ، وإنما سمّى دلائل النبوة : آيات وبراهين وبيّنات .

وستجد في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة » حديثاً وافياً عن المعجزة وأهم خصائصها والفرق بينها وبين الكرامة وبينها وبين السحر

---

(١) الاربعين في أصول الدين للفخر الرازي ص ٣٨٨ .

(٢) فتح الباري لابن حجر جـ ٦ ص ٣٧٥ .

والمخترعات العلمية . غير أن الفصول التالية في هذا الباب ستطلعك على معالم نبوة محمد ﷺ كما استخلصتُها من القرآن الحكيم . بينما يقدم لك هذا الفصل صورة كلية لدلائل نبوة محمد ﷺ وأقسامها . ويبدو أن الامام فخر الدين الرازي قد سماها معجزات تجوزاً . إذ لا يخفى على مثله أن المعجزة أخص من الدليل والعلامة . وقد صنفها صنفين : حسية وعقلية ، وقسم كلاً إلى أقسام (١) . وسنسير على تقسيمه ونستضيء بالقرآن المنير .

أقسام دلائل النبوة

ان البراهين والمعجزات الدالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ كثيرة متنوعة تجل عن العد لكثرة أفرادها وأنواعها من الاقوال والافعال والاوصاف التي لم تسبق لغيره من المرسلين . فلم يحظ أحد منهم من كثرة الدلائل والمعجزات بمثل ما بلغه نبينا محمد ﷺ . وهذا دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء بشأنه والاحتفال بأمر نبوته . فانه خاتم النبيين وسيد المرسلين ودينه أكمل الاديان وخاتمها وأعمها وأشملها فناسب ذلك ترادف الآيات ووفرة المعجزات الباهرات . قال بعض العلماء : أُعطي رسول الله ﷺ ثلاث آلاف معجزة . يعني غير القرآن فان فيه ستين أو سبعين ألفاً من المعجزات تقريباً (٢) .

وتنقسم دلائل نبوته ﷺ إلى صنفين : حسية وعقلية نبحثها فيما يلي :

---

(١) الاربعين في أصول الدين ص ٣٠٩ ـ ٣١٦ .

(٢) لوائح الأنوار البهية جـ ٢ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

الدلائل الحسية

هي ما يجابه الحس ويثير في النفس برهاناً ملزماً ، وقد عدها الامام فخر الدين الرازي معجزات له ﷺ وقسمها إلى ثلاثة أقسام(١) :

١ - **أمور خارجة عن ذاته ﷺ** : كمعجزة الاسراء وانشقاق القمر وقد ذكرهما القرآن المجيد(٢) ، وتسليم الحجر عليه ، وحنين الجذع اليه ، ونبع الماء من بين أصابعه حتى ارتوى منه خلق كثير وإشباع الجمع الغفير بتكثير الطعام القليل ... معجزات كثيرة ثبتت بأحاديث صحيحة .

٢ - **أمور كائنة في ذاته ﷺ** : كخاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام . وهو غدة حمراء مثل بيضة الحمامة . وقد التمسه سلمان الفارسي قبل إسلامه فوجده كما سمع به من بعض الرهبان في جملة علامات نبوة سيدنا محمد المأثورة لدى أهل الكتاب (٣) ولا يخفى عليك أن القرآن قد بين أن أهل الكتاب يجدون رسول الله ﷺ موصوفاً في كتبهم . وأنهم يعرفونه نبياً كما يعرفون أبناءهم . وتفصيل ذلك في الفصل الرابع الآتي .

٣ - **صفاته وأخلاقه ﷺ** التي فاقت في السمو والعظمة أخلاق جميع البشر المتقدمين والمتأخرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ويكفيه شرفاً أن الله تبارك وتعالى قد أشاد بنبل خصاله عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص

---

(١) الاربعين في أصول الدين ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

(٢) في مطلع سورة الاسراء وسورة القمر .

(٣) انظر رواية ذلك في الشمائل المحمدية للترمذي .

عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (١) وقال يخاطب رسوله (وإنك لعلى خلق عظيم) (٢) وعرضت من قبل بعض خصاله ﷺ عرضاً مبيناً ظهر لك من ثناياه أن أخلاقه من دلائل تثبيت نبوته عليه الصلاة والسلام . (٣)

ومما يلفت النظر أن معجزات الرسل السابقين كانت كلها مقتصرة على النوع الحسي ، وقد ذكرها القرآن الكريم . كانقلاب العصا أفعى لسيدنا موسى عليه السلام وتفجر الينابيع من الصخر الأصم حين ضربه موسى بعصاه ، وكاحياء الميت فترة يسيرة لسيدنا عيسى عليه السلام . . . الخ وهذا يشير الى ضعف بني اسرائيل ومن قبلهم من الأقوام فكرياً ، وأن البشرية إنما بلغت رشدها زمن البعثة المحمدية .

ولعلك تلاحظ أنه ليس ثمة انفصام تام بين الحسي والعقلي من المعجزات فالحسية منها تعتمد على العقل والادراك ، وان كان اعتمادها على الحس أكثر وأظهر . والعقلية منها تعتمد على الحواس أيضاً وإن كان اعتمادها على العقل أوفى وأغلب .

الدلائل العقلية

فانها تواجه العقل بكل ما فيه من قوى الادراك والاستبصار . ويتلقاها كل انسان حسب قوة فهمه وعمق ادراكه . وقد جعل الرازي (٤) لها ستة أقسام . ونحن نسير على تقسيمه لكن في ضوء القرآن والاستدلال به :

الاول ـ أنه ﷺ انما ظهر من قبيلة ليسوا من أهل العلم ومن

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ . (٢) سورة القلم : ٥ .

(٣) راجع الفصل الثالث من الباب الاول .

(٤) الاربعين في أصول الدين ص ٣١٠ ـ ٣١٦ .

بلدة لم يكن فيها أحد من العلماء بل كانت الجهالة غالبة عليهم . ولم يتفق له الاتصال بعالم أو حكيم . فاذا نبت في هذه البيئة ثم بلغ في معرفة الله وصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه هذا المبلغ العظيم الذي عجز جميع الاذكياء من العقلاء عن القرب منه ، **فان ذلك يحمل كل ذي عقل سليم وطبع قويم على الاقرار بأن هذا العلم الفذ لا يتيسر لأحد من البشر الا بتعليم الهي خاص .** قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنتَ تعلمها انت ولا قومُك من قبل هذا ، فاصبر ان العاقبة للمتقين) . (١)

الثاني ـ احتمل رسول الله ﷺ في أداء الرسالة المتاعب الجمة والمشاق الجسيمة فلم يبد في عزمه فتور ولا في اصراره قصور . **فلما قهر أعداءه وبنى الدولة القوية المنيعة ونفذ أمره في الأنفس والأموال ، لم يتغير عن منهجه الاول من زهد في الدنيا وعدل في الناس ،** وظل حتى لقي ربه مترفعاً عن الأهواء والاغراض الشخصية . وقدمنا تفصيل ذلك في الفصل الثالث من الباب الاول . (٢)

الثالث ـ أصاب الجدب الناس فتعطلت الزراعة وهلكت المواشي فجأروا اليه بالشكوى ليسأل الله لهم . فدعا الله وليس في السماء شيء من السحاب . فهطلت الامطار بعد حين مدراراً . وظلت متواصلة أياماً حتى خافوا منها الضُر والأذى . فجاؤه فدعا الله تعالى (اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الجبال وبطون الأودية) فأمسكت السماء واندفع البلاء . ومزق كسرى كتاب رسول الله فدعا عليه بتمزيق ملكه فمزق الله ملكه . ودعا على عتبة ابن أبي لهب (اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك) فافترسه الاسد ، ودعا لابن عمه عبد الله بن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فغدا حَبر المفسرين الخ ...

---

(١) سورة هود : ٤٩ . (٢) راجع ص ٩١ .

أقول : ولأن يجيب الله لبشر دعاءه على ذلك النمط وبتلك الوفرة لدليل على أنه نال أكرم حظوة ينالها بشر من الله تعالى ، وهذا يدل على صدقه في نبوته . والعلم بهذا مستقر لدى أهل الكتاب من قبل . لذلك لما أنكر وفد نصارى نجران عليه القول ببشرية عيسى ، دعاهم إلى المباهلة كما وردت في القرآن الكريم (فَمَنْ حاجَّك فيه مِن بعدِ ما جاءك من العلم فقلْ تعالَوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسَنا وأنفسَكم ثم نبتهلْ فنجعلْ لعنةَ اللهِ على الكاذبين)(١) .

فكان موقفهم فيما رواه ابن اسحاق في القصة بطولها : أنهم خلوا بأميرهم وصاحب مشورتهم : العاقب ، واسمه عبد المسيح ، فقالوا : يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشرَ النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل .. ولقد علمتم أنه ما لاعَنَ قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم . وإنه للاستئصال منكم إنْ فعلتم ، فان كنتم أبيتم إلا إلفَ دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم . فأتوا النبي ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا . ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فانكم عندنا رضى . ثم ذكر أنه عليه الصلاة والسلام اختار للحكم بينهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ، قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنَّاه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا .

---

(١) سورة آل عمران : ٦١ .

قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا الا أميناً . فقال : (لابعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين) فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال : (قمْ أبا عبيدة بن الجراح) فلما قام قال رسول الله ﷺ : (هذا أمين هذه الامة) . (١)

وبعد ، فما كان يمنعهم عن مباهلته لولا معرفتهم بصدقه . ففي موقفهم أوضح دليل على نبوته ﷺ .

الرابع ـ بشر الله ببعثته في التوراة والانجيل (٢) وقد نص القرآن على هذه البشارة في قوله تعالى (الذين يتّبعون الرسول النبي الأُميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراةِ والانجيلِ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . .) (٣)

وسنعرض ذلك مفصلاً في الفصل الرابع ان شاء الله تعالى .

الخامس ـ إخباره عن الغيوبِ الماضيةِ والمستقبلة ، مع أنه أميّ لا يقرأ ولا يكتب ولم يتلق من أحد من الناس علماً . وأستمهلك في عرض المغيبات المذكورة في القرآن الكريم إلى موطنها من بحث اعجاز القرآن (٤) وأكتفي هنا بسرد مغيبات أخبر بها الرسول ﷺ في حديثه الى أصحابه ؛ ووقوعها على وجه الدقة كما أخبر عليه السلام . فلا يشك العاقل في أن امرأً يدعي النبوة لا يقدم على اخبار أتباعه بما سيقع في قابل الايام ما لم يكن متثبتاً فان لم يكن على يقين من تحقق نبئه لم يجرؤ

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ . (٢) لا ريب أنه دليل نقلي وان كان يفهم بالعقل .

(٣) سورة الاعراف : ١٥٧ .

(٤) في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة » .

على التفوه به لئلا يظهر التفاوت بين خبره وبين الواقع ، مما ينفر قلوب الناس ويصرفهم عنه وعن دعوته . ولا يقدر أحد من الناس على التنبؤ بما هو كائن ـ فذلكَ مختص بعلم الله عز وجل ـ فظهور شيء منه على لسان النبي يؤكد صلته بربه ويثبت نبوته وقد بلغت أخباره ﷺ عن المستقبل من الكثرة مبلغاً عظيماً . .

فمن اخباره ﷺ . ما روى ثوبان رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (إن الله زوى لي الأرض . فرأيتُ مشارقها ومغاربها . وان أمتي سيبلغ مُلكها ما زُوي لي منها . .) الحديث [١] . وقد بلغت الفتوحات الاسلامية مشارق الارض ومغاربها . وقال ﷺ لعمار بن ياسر (تقتلك الفئة الباغية) فقتل مع عليّ رضي الله عنه يوم صفين . وأخبر بفتح فارس ومصر وانفاق كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله تعالى وحصل كما أخبر [٢]

وأخبر عن انتهاء اعمال السلب وقطع السبيلِ وغزوِ القبائل بعضها بعضاً وحلول الاسلامِ والأمن في ربوع الجزيرة العربية .

روى البخاري عن عديّ بن حاتم قال : (بينا أنا عند النبي ﷺ اذْ أتاه رجل ، فشكى اليه الفاقة . ثم أتاه آخر فشكى اليه قطع السبيل ، فقال : يا عديُّ هلْ رأيتَ الحيرةَ ؟ قلتُ : لم أرها وقد أنبئت عنها . قال : فانْ طالت بك حياة لَترينّ الظعينةَ ترحل من الحيرة [٣] حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحداً إلا الله . قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي ـ جامع الاصول حديث ٨٨٣٩ .

(٢) انظر الاحاديث من رواية البخاري ومسلم والترمذي في جامع الاصول ٨٨٣٤ ـ ٨٨٣٩ .

(٣) « الظعينة » : المرأة في الهودج « الحيرة » : في العراق ، وكانت بلد ملوك العرب الخاضعين لحكم الفرس .

دُعّارُ طيء الذين قد سعّروا في البلاد (١) !؟ ولئن طالت بك حياة لتُفتحن كنوزُ كسرى . قلت : كسرى بن هُرْمز !؟ قال : كسرى بن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجلَ يُخرجُ ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب مَنْ يقبلُه منه فلا يجدُ أحداً يقبله منه . وليلقين الله أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه تَرْجُمانٌ يُترجم له ، فيقولَنَّ : ألم أبعثْ اليك رسولاً فيبلّغَك ؟ فيقول : بـلى فيقول : ألم أعطك مالاً وأُفضلْ عليك !؟ فيقول : بلى . فينظرُ عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم . قال عديّ : سمعت النبي ﷺ يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمةٍ طيبة . قال عدي : فرأيت الظعينةَ ترتحلُ من الحيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخاف إلا الله !! وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرمز !! ولئنْ طالتْ بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ . يخرج « الرجل » ملءَ كفه « ذهباً أو فضةً فلا يجد من يقبله منه ») (٢) .

وقد جزم الامام البيهقي المحدث بتحقق خبر الرسول ﷺ عن غنى الناس وزوال الفقر من المجتمع الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز . فقد أخرج البيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه قال:

---

(١) « الدعار » جمع داعر ، وهو الشاطر الخبيث المفسد . والمراد : قطاع الطرق . « طيء » : قبيلة عربية مشهورة ، ومنها : عدي بن حاتم المذكور في الحديث . وبلادها ما بين العراق والحجاز وكان رجالها يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جوار . لذلك تعجب عدي كيف ستمر المرأة بيقاعهم غير خائفة .

« سعروا في البلاد » : أوقدوا نار الفتنة أو ملأوا الأرض شراً وفساداً . (انظر فتح الباري جـ ٦ ص ٣٩٨ – ٣٩٩) .

(٢) رواه البخاري – باب علامات النبوة . وانظر جامع الاصول : ٨٨٣٧ .

« إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهراً ألا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : اجعلوا هـذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بمـاله يتذكر من يضعه فيه فلا يجده . قد أغنى عمر الناسَ » .

قال البيهقي : « فيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم»[١].

ويؤكد سداد مذهب البيهقي أيضاً ما وردَ في سـيرة عمر بن عبد العزيز [٢] أن يحيى بن سعيد قال : « بعثني عمر عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها . وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً ولم نجد َمنْ يأخذها مني . فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناسَ ، فاشتريتُ بها رقاباً فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين » .

ومن أراد معرفـة المزيد من معجزات سيدنا رسول الله ﷺ فليقرأ في جامع الأصول من أحاديث الرسول الكتاب الاول في النبوة . فقد ذكر قدراً عظيماً رائعاً من المعجزات لا يتسع المقام لعرضها .

السادس ـ انه ﷺ لم يَشرع قبل اظهار دعوى الرسالة والنبوة في البحث عن العلوم الالهية ومسائل النبوة . ولو عُني بها يسيراً لجسَّمه العدو وتذرع بأنه أفنى عمره في التدبر والامعان لاستخلاص تلك العلوم . ولكنهم لم يتفوهوا بمثل هـذا مما يبرهن على تيقنهم من انصرافه عنها ، فهم واثقون أنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب .

---

(١) فتح الباري جـ ٦ ص ٣٩٩ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه ـ تأليف أبي محمـد عبد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة ٢١٤ هـ ـ الطبعة الثانية ـ نشر مكتبة وهبة بالقاهرة .

وبدهي لديك ولدى كل ذي لب أن من انقضى من عمره أربعون سنة وهو أمي ولم يخض في شيء من تلك المطالب العلمية ، ثم خاض فيها دفعة واحدة وأتى بكلام عجز الأولون والآخرون عن معارضته ، حتى انقضى أربعة عشر قرناً على تنزله دون أن يتمكن أحد من معارضته ؛ لهو أبلغ دليل على أن كتابه فوق مستوى القدرة البشرية ، ولا سبيل إلى تبرير عجز البشرية إلا الاقرار بهذه الحقيقة الناصعة . (قلْ لوشاءَ اللّهُ ما تلوتُه عليكم ولا أدراكم به . فقد لبثتُ فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ؟!) [١] .

فصريح العقل يشهد بأن هذا القرآن كلام الله العلي العليم أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ اثباتاً لنبوته وبياناً لدين الاسلام [٢] .

ثبوت معجزاته ﷺ نقلاً :

واذا كان القرآن قد نقل الينا متواتراً فان بعض معجزات محمد ﷺ ـ غير القرآن ـ قد وصلتنا عن طريق التواتر ممـا يورث اليقين بوقوعها منه عليه السلام .

وصنف آخر من معجزاته ﷺ وهو ما نقل بطريق أحادي . [٣] فان الروايات الأحادية اذا كثرت تفيدنا علماً يقيناً بوقوع خارق للعادة معجز

---

(١) سورة يونس : ١٦ .

(٢) وسنفصل هـــذا في الكتاب الثاني للرسالة « بينات المعجزة الخالدة » ، وسيصدر قريباً باذن الله .

(٣) اعجاز القرآن ص ٨ لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .

للبشر ؛ منه ﷺ . فان تلك الروايات ؛ وان كانت أحادية في أفرادها ؛ فان قدراً كبيراً منها يحصل به التواتر المعنوي على ظهور المعجز من محمد ﷺ . وهكذا تتضافر دلالات معجزاته على امتداد الأعصر في إقامة قاطع الأدلة على صدقه ونبوته ﷺ .

الفصل الثاني

معالم نبوية في شخص محمد ﷺ

- عصمة محمد ﷺ .
- أمية محمد ﷺ .
- الرسول متلقٍّ مأمور .
- الرسول يبرأ من علم الغيب إلا بالوحي .
- حماية إلهية خاصة للرسول الأمين .

لقد برهنا على صدق محمد ﷺ في نبوته بأخلاقه وشواهد تلقيه الوحي وبعض معجزاته. وسنعرض علائم أخرى تدل على نبوته، بعضها حف بشخصه الكريم ﷺ وبعضها كان في رسالته، وكان البعض الآخر في رسالات اخوانه المرسلين قبله عليهم الصلاة والسلام.

معالم نبوية في شخص محمد ﷺ

لقد عصم الله محمداً ﷺ، كما عصم كافة الانبياء قبله عن الخطايا والدنايا. وحفظ عليه الوحي ليبلغه كاملاً من غير نقصان أو تغيير. وقد عاش عليه السلام أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتلق عن عالم شيئاً. وأظهرت الآيات أن الرسول متلقٍّ مأمور، وقد لقي عتاباً وتوجيهاً في بعض تصرفاته. وكان عليه السلام يبرؤ من علم الغيب، وقد تكفل الله له بالحماية من الناس، وصانه مراراً من هلاك محقق.

عصمته صلى الله عليه وسلم

أولاً – عصمته عن المعاصي :

إن محمداً رسول الله ﷺ ككل نبي قبله معصوم من اقتراف الذنوب والوقوع في معصية الله تعالى. فقد طهرهم الله جميعاً وألزمهم كلمة التقوى فكانوا أحق بها وأهلها فمنعهم وحفظهم من ارتكاب الذنوب والسفاسف. وتلك حكمة بالغة من رب العالمين ليكون الرسول قدوة حسنة يتأسى به الناس. وهذه العصمة من دلائل اخلاصه لله تعالى وصحة نبوته.

« قال الحافظ زين العراقي : النبي ﷺ معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالاجماع . . وانما اختلفوا في جواز وقوع الصغيرة سهوا ، فمنعه الاستاذ أبو اسحاق الاسفراييني والقاضي عياض ، واختاره تقي الدين السبكي ، قال : وهو الذي ندين الله به . وأجازه كثير من المتكلمين . لقا عياض : أجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات. قال عياض : وذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة المكروه قصداً »[1] .

فمحمد ﷺ – ككل نبي – يتصف بالطاعة التامة لله جل شأنه وبالصدق والأمانة . ويستحيل عليه كما يستحيل على غيره ، في **زمان النبوة** ركوب المعصية كبيرة كانت أم صغيرة . وقد أورد الامام فخر الدين الرازي في الاستدلال على عصمة الرسل عامة أربع عشرة حجة قرآنية وأخرى حديثية . ومما يدل على عصمته ﷺ خاصة قوله تعالى : (لقد لكم كان في رسول الله أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخر وذكرَ الله كثيراً)[2] .

وقوله : (قل إنْ كنتمْ تحبونَ اللهَ فاتبعوني يُحببْكم اللهُ ويغفرْ لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[3] .

فلو جاز أن يصدر العصيان أو الفسق عن سيدنا محمد ﷺ ، لكنا

---

(١) لوائح الانوار البهية ج ٢ ص ٢٩٢ وانظر فيها قول السعد التفتازاني : بجواز وقوعهم عمداً في صغائر الذنوب عند الجمهور ، وسهواً بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة . . لكن شرطوا أن ينهوا عنه فينتهوا منه – وذهب الفخر الرازي إلى عصمتهم زمن النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد ، أما على سبيل السهو فيجوز (الاربعين ص ٣٣٠) .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ . (٣) سورة آل عمران : ٣١ .

في إحدى حالتين : إما أن نكون مأمورين بالاقتداء به وذلك باطل لان الأمر بالفسق والمعصية لا يجوز على الحكيم تبارك وتعالى . وإما أن لا نكون مأمورين بالاقتداء به وهو أيضاً باطل بدلالة الآيتين الكريمتين . ولما كان صدور الفسق والعصيان عنه يفضي الى أحد هذين السبيلين الباطلين كان صدور ذلك عنه محالاً . (١)

وقد عصم الله الانبياء عامة - وفيهم محمد ﷺ - من المعصية والكذب والخيانة ففي كل من الصدق والكذب ، والامانة والخيانة ضدان لا يجتمعان فالصدق والامانة كل منهما واجب عقلاً وشرعاً في حقهم عليهم الصلاة والسلام (٢) .

وقد بين الله عصمته للرسول ﷺ عن الخيانة بقوله (وما كان لنبي أن يَغُلَّ ومن يغلل يأتِ بما غلَّ يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) . (٣)

فنزّه الله ساحة نبيه محمد ﷺ عن الغلول على أبلغ وجه ، اذ كشف عن تنافيه مع النبوة . فالنبي مؤتمن في كل شأن ، فكيف يأخذ شيئاً من المغنم خفية وهو المؤتمن على أمر الوحي على عظمته وجلاله ، وهو العالم بعقاب الله تعالى المتحقق من وقوعه بمن يتجاوز أمره وشرعه ! ؟

إن محمداً ﷺ وجميع اخوانه النبيين منزهون عن كل نقيصة تؤدي إلى ازالة الحشمة واسقاط المروءة وتلحق بفاعلها الازراء والخسة ،

---

(١) الاربعين في أصول الدين ص ٣٣١ وما حولها . وانظر عن العصمة عامة كتاب الرازي : عصمة الانبياء .

(٢) لوائح الانوار البهية ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٣) سورة آل عمران : ١٦١ وانظر روح المعاني ج ٤ ص ٩٦ - ٩٧ .

كسرقة لقمة وتطفيف بحبة ، لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدي إلى الازراء والدناءة . فان الله تعالى يقول : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ويقول : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ومن المعلوم عموم ذلك . وليس فعل النبي شيئاً مزرياً يوجب حب الله لفاعله ولا تأسيَ العباد واقتداءهم به في ذلك [١] .

والرسل قاطبة بشر تعتريهم كل أعراض البشر ، فيجوز عليهم عقلاً وشرعاً النوم والاكل والشرب والنكاح والجـــوع والعطش والنعاس ، والحر والبرد ، والرضا والغضب في الحق ، والحزن والسرور ، والتشكي والمرض ، والموت والاستشهاد في سبيل الله عز وجل . ويجوز عليهم كافة المباحات وكل ما لم يثبت وجوبه أو استحالته عليهم [٢] .

أما قبل النبوة فقد اختلفوا فأوجب بعضهم العصمة عن الكبائر والصغائر . وأجاز بعضهم وقوع الصغائر منهم سوى المنفرات . والحق – كما يقول السعد – منع ما يوجب النفور منهم كعهر الأمهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة [٣] .

ومن جهة الواقع فان كتب السيرة قد حفظت لنا أنصعَ وجه عن سيرة الرسول الأعظم ﷺ قبل البعثة . فقد نشأ على كراهة الاوثان . روى ابن هشام انه لما صحبه عمه أبو طالب في السفر الى الشام وهو صبي ، لقيه بحيرى وقال له : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه . فقال ﷺ : لا تسألني باللات والعزى فو الله

(١) لوائح الانوار البهية جـ ٢ ص ٢٩١ .
(٢) لوائح الانوار البهية جـ ٢ ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .
(٣) لوائح الانوار البهية جـ ٢ ص ٢٩٢ .

ما أبغضتُ شيئاً قط بغضها . ولا شك أن سؤال بحيرى اختبار لنبوة محمد ﷺ القادمة .

وقد عُرف ﷺ بترفعه عن القبائح والمفاسد حتى قال عنه أبوطالب (لم أسمعه قط يقول كذباً ، ولا يميل الى العبث والمزاح أو يأتي رذيلة أو قبيحة) ويكفيك أنه قد تميز في البيئة الجاهلية حتى حاز لقب الصادق الأمين ، وأن امانات المشركين كانت تودع عنده حتى الهجرة .

وروى الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام ان رسول الله ﷺ قال : (ما هممت بشيء مما يهم به أهل الجاهلية الا مرتين عصمني الله فيهما : قلت ليلة لفتى من قريش : أبصرْ لي غنمي ، حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان . قال : نعم ، قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة فسمعت غناء وعزفاً وصوت دفوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة ، فجلست لذلك ، فضرب الله على أذني فنمت ، فما أيقظني إلا مَسُّ الشمس ، فرجعت الى صاحبي . ثم فعلت ليلة أخرى مثل ذلك فنمت . فوالله ما هممت بعدها بشيء حتى أكرمني الله بنبوته) (١) .

فتلك رعاية الهية عظيمة ووقاية ربانية جليلة خاصة . وهي أمارة إعداده ﷺ واصطفائه .

وقد شهدت له خديجة حين نزل عليه الوحي أول ما نزل . فقالت (كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق) رواه البخاري (٢) .

فهذه أخلاق من أعده الله لرسالته لتطمئن اليه القلوب ويتأسى به العباد .

---

(١) ورواه الطبري وابن راهويه في مسنده والبيهقي في دلائله ، انظر شرح الشفاء ج ١ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ . (٢) مر الحديث بكامله ص ١٨٥ ـ ١٨٨ .

فلا ريب أن طبيعة الانسان وما ركب فيه من غرائز تجعل وقوع المعصية منه على الرغم من احترازه أمراً طبيعياً . لا يشذ عن ذلك الا الذين عصمهم الله . **فمن وجدناه معصوماً عن المعاصي كان أكثر عصمة عن الكذب في دعوى النبوة .**

ومن عصم عن المعاصي على النحو الذي بينا كان في عصمته دليل على أنه محل عناية الهية خاصة . ولم تجر سنة الله في عصمة امرىء على ذلك النحو إلا للأنبيـاء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام . وبتلك العصمة حظى سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ .

ثانياً ـ عصمته في تبليـغ الوحي :

ومن أهم أنواع عصمة رسول الله ﷺ ، أن الله حفظه من شياطين الأنس والجن أن يمنعوه من تبليغ ما أمر الله به ، أو يحملوه على تغييره أو كتمانه أو الافتراء فيه .

قال تعالى (عالمُ الغيبِ فلا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسولٍ فانه يَسلكُ من بين يديهِ ومن خلفه رَصدا . ليعلمَ أنْ قدْ أبلغوا رسالاتِ ربهم وأحاطَ بما لديهم وأحصى كلَّ شيء عدداً) . (١)

فقد أطلعَ الله تعالى الرسول الذي ارتضاه على بعض الغيوب المتعلقة برسالته و « سلكه » أحاطه عند اطلاعه من جميع جوانبه بحرَس من الملائكة يحفظون عليه الوحي أن يذهب منه شيء أو يختلط به ما ليس منه . وبهذا الاطلاع الغيبي يعلم الرسول ويصدق تصديقاً جازماً ثابتاً أن الذي أوتيه من الوحي هو عينُ ما أمر الله الملائكة بأدائه اليه بواسطة المختص بالتبليغ منهم وهو جبريل عليه السلام .

---

(١) سورة الجن : ٢٦ ـ ٢٨ .

والحال أن الله تعالى قد أحاط علماً بجميع أحوال أولئك الملائكة المكلفين بالبلاغ والرصد ، وأن الذي حصل بلاغه الى رسوله هو عين الوحي الالهي وأن هؤلاء الرصد كانوا ايضاً أمناء على الوحي الالهي في صيانته وأدائه كاملاً (١) .

وبما أن الله قد اصطفى رسوله فأدبه وأحسن تأديبه فيستحيل أن يتكلف الرسول أقوالاً من عنده فينسبها إلى الله افتراء ، فذلك مما لا تنصاع نفسه الفاضلة اليه ، ومع هذا فان الله تعالى قد تكفل ـ قطعاً لدابر التوهم والاحتمال ـ بحفظ وحيه وشرعه أن يتورط الرسولُ إلى الافتراء فيه ، فلو بدر ذلك منه فرضاً لأخذه الله بعقابه أخذ عزيز مقتدر فأهلكه قال تعالى : (ولو تقوّل علينا بعضَ الأقاويلِ لأخذنا منه باليمين ثم لَقطعنا منه الوتينَ . فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين) (٢) .

والعقلُ لا يتصور من رجلٍ دأبَ على الصدق منذ نعومة أظفاره ونشأ عليه وشبَّ فيه حتى لُقب بالصادق الأمين ، أن يدع الكذب على الناس ثم يفترى على الله ما لم ينزل به سلطاناً . وهذا ما أدركه هرقل ببداهته ، فانه سأل أبا سفيان أيام شركه عن رسول الله ﷺ ـ كما في الصحيحين (قال هرقل : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ قلت : لا ... فقال : وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول

---

(١) روح المعاني ج ٢٩ ص ٩٦ ـ ٩٧ . وانظر النبوات ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٢) سورة الحاقة : ٤٤ ـ ٤٧ والوتين : نياط القلب ، فاذا انقطع مات صاحبه (روح المعاني ج ٢٩ ص ٤٥ وانظر لوائح الانوار البهية فيما نقل عن ابن تيميه ج ٢ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥) .

ما قال ، فذكرتَ أن لا فقد أعرف انه لم يكن ليذرَ الكذب على الناس ويكذب على الله) (١) .

(وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روَّح الله روحه : الناس متفقون على أن الانبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى . فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين) . (٢)

---

(١) مر الحديث بكامله ص ١٥٥ ـ ١٥٨ .

(٢) لوائح الأنوار البهية جـ ٢ ص ٢٩١ .

أُميّةُ محمد ﷺ

بعد أن عاش محمد ﷺ بين ظهراني قومه أربعين سنة رجلاً عادياً أمياً ؛ جاءهم بخوارق مادية معجزة ، وتلا عليهم القرآن معجزة عقلية علمية ، فبهر القوم ببلاغته العالية وبأخباره عن الغيب الماضي والمستقبل وبتشريعه السامي الشامل .. فهوى بهم في وادٍ سحيق عجزاً عن معارضته ! !

ومع ذلك فقد أقر محمد أنه عبد متلقٍ مأمور ، ولم ينسب القرآن لنفسه ، فلا يعتبر هذا من جانبه ادعاء يحتاج إلى دليل ، انما هو اقرار عفوي بريء .

وان هذه الدلالة الظاهرة الهامة ليست محور البحث ، فسبيل الهداية مُنارة مُعْلَمة بأدلة فصلنا بعضها وسنفصل بعضها الآخر ان شاء الله تعالى . ألا ترى أن في شخص محمد ﷺ شاهداً يقيم الحجة على عجزه وقصوره المادي والعلمي عن ابتكار وانتاج ما جرى له من معجزات ..؟

انه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، فأظهرُ ما يكون عجزه عن القرآن . والعرب كلهم أميون ، ومحمد على شاكلتهم لم يتصل بعلم ولم يتلق من عالم . وقد خصّ رسول الله ﷺ هذه القضية بالذكر فقال : (إنّا أمة أُمية لا نكتب ولا نحسب)[١] . فالأُميةُ طابعُ العربِ العام وقد اختار الله رسوله منهم ، فهو على وصفهم قال تعالى : (هو الذي بعثَ في الأميين رسولاً

---

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما .

منهم يتلو عليهم آياته ويُزكيهم ويعلمهمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين) (١) .

وقد ثبتَ في كتب السنة والسيرة أنه ﷺ لم يتعلم من استاذ ولم يطالع كتاباً ، فلم يكن في بلده مكة أحد من العلماء ، ولم يغب عنها رسول الله غيبة طويلة تمكنه من تلقي قدر يذكر من العلوم . وقد جلى بيان ذلك القاضي عبد الجبار رحمه الله إذ قال : (ونحن وانْ لم نكن في زمانه ﷺ ، فقد علمنا أنه ما قرأ هذه الكتب ولا اكتتبها ولا اختلف إلى أهلها ولا اختلفوا اليه .. ولا تلقى ذلكَ عن أحـد من الناس ، لانه ما من أحد يطلب فناً من الفنون إلا ولهُ في ذلك تارات وطبقات ، فأول ذلك أن يكون طالباً أو سائلاً عمن عنده هذا الادب وهذا الفن من العلم والأدب ، ثم يختلف إلى أهله ويصحبهم **فيكون تارة مبتدئاً ، ثم متوسطاً ثم ماهراً متقدماً** . وكل هذه الأحوال معروفة معلومة لأهل زمانه ، لا يجوز أن يذهب عليهم ، ولا يجوز أن يخفى ولا يكتم عن أحد كائناً من كان) (٢) .

وعلى الرغم من عدم ذلك كله في أيّ مرتبة من المراتب ، فقد تدفق العلم الالهي على لسانه غزيراً مدراراً وتفجرت له ينابيع الحكمة الربانية ، إذ اشتمل القرآن الذي أوحاه الله اليه على علوم شريفة وفيرة وحكم عالية منيفة ، وسما في الفصاحة والبلاغة رتبة ارتفعت كثيراً عن طوق البشر . فظهور هذه العلوم النفيسة عليه ، مع أنه أُميّ لم يتلق من عالم ، ولم يطالع في كتاب شيئاً مما جاء به من الامور العظيمة الجليلة

---

(١) سورة الجمعه : ٢ .   (٢) تثبيت دلائل النبوة ـ القاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ ص ٨٧ طبع دار العربية ـ بيروت .

المعجزة للبشر ؛ يثبت بدليل قطعي لا يحتمل مراء أن القرآن أمر خارجي منفصل عن ذات محمد ﷺ ، فلا يكون إلا علوياً أنزله العليم الذي قدر فهدى ، قال تعالى : (**وما كنتَ تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**)(١) .

وهذا ما حدا بالفخر الرازي أن يَعُدَّ الامية معجزةً من معجزاته العقلية ﷺ . فقال رحمه الله .

(انه عليه السلام كان قبل اظهار دعوى الرسالة والنبوة ما كان يشرع في هذه المسائل ، وما كان يبحث عنها ، وما جرى على لسانه قط حديث النبوة والرسالة . والذي يدل على صحة قولنا أنه لو اتفق له شروع في هذه المطالب والمباحث قبل اظهار ادعاء الرسالة والنبوة لقالت الكفار له : إنك أفنيت عمرك في التدبر والتأمل وتحصيل هذه الكلمات حتى قدرت الآن على اظهارها . ولما لم يذكر هذا الكلام أحد من الاعداء مع شدة حرصهم على الطعن فيه وفي نبوته ، علمنا أنه عليه السلام ما كان شارعاً قبل اظهار النبوة في شيء من هذه العلوم . ومعلوم أن من انقضى من عمره أربعون سنة ولم يخض في شيء من هذه المطالب العلمية . ثم انه خاض فيها دفعة واحدة وأتى بكلام عجز الأولون والآخرون عن معارضته ... فصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون الا على سبيلِ الوحي والتنزيل .)(٢)

لفت الله أنظارَ عبادهِ الى هذه الصفة المحمدية المعجزة التي تبرهن على نبوة محمد ﷺ وعلى سماويةِ الكتابِ الكريم ، فقال تعالى : (الذين يتبعونَ **الرسولَ النبيَّ الأميَّ** الذي يجدونهُ مكتوباً عندهم في التوراةِ

(١) سورة العنكبوت : ٤٨ .

(٢) الاربعين في أصول الدين ـ ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

والانجيلِ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكرِ ويُحلّ لهمُ الطيباتِ ويُحرّم عليهم الخبائثَ ويضعُ عنهم إصرهم والاغلالَ التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزّروهُ ونصروه واتبعوا النورَ الذي أنزل معه أولئك همُ المفلحون . قل : يا أيها النـاس إني رسول الله اليـكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض لا الهَ الا هوَ يُحيي ويميتُ فآمنوا باللهِ **ورسولهِ النبيّ الأميّ** الذي يؤمنُ باللهِ وكلماتهِ واتبعوهُ لعلكم تهتدون .) [1]

ويتبين لكَ أن أمية محمد عليه الصلاة والسلام معجزة تثبت نبوته وإلهية قرآنه مما يلي :

أولاً ـ أن القرآن الذي ورد على لسانه متفوقاً بأسلوبه وبيـانه ومشتملاً على علوم كثيرة وأخبار غيبية ؛ وعلى حقائق علمية لا يمكن لأبرز علماء ذلك الزمن أن يستجمعها فضلاً عن أمي عاش في عزلة عن العـلم والعلماء ! فالاعجاز ههنا أقوى وأبلغ ؛ والحجة أظهر وألزم . فلو كان

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ ـ ١٥٨ والمراد بقوله تعالى (الرسول) الرجل الذي أرسله الله لتبليغ شريعته (والنبي) الذي أنبأ الخلق عن الله تعالى و (الأمي) الذي لا يقرأ ولا يكتب (الذي يجدونه مكتوبا عندهم) باسمه وصفاته الشريفة بحيث لا يشكون أنه هو فقد بشر الله ببعثته في التوراة والانجيل . وسنعرض لذلك في الفصل الرابع باذن الله . (ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم) يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقـة كقطع موضع النجاسة من الثوب أو البدن . . . الخ والاصر في اللغة : الثقل . والاغلال : جمع غل ، وهو القيد الحديدي الذي يجمع يد الاسير الى عنقه (عزوره) عظموه ووقروه . (اتبعوا النور الذي أنزل معه) وهو القرآن . وعبر عنه بالنور لظهوره في نفسه باعجازه ، ولاظهاره للاحكام وصدق دعوى النبوة . فهو أشبه شيء بالنور الظاهر بنفسه والمظهر لغيره . (الذي يؤمن بالله وكلماته) يؤمن بالله وبما أنزل عليه وعلى سائر الرسل قبله من كتب ووحي (انظر روح المعاني ج ٩ ص ٦٩ ـ ٧٣ وتفسير الرازي ج ١٥ ص ٢٢ وما بعدها) .

يقرأ ويكتب لالتمس المشركون والمكابرون في ذلك وسيلة تبرر زعمهم بأنه طالع تلك العلوم من كتب الاولين . وقدم الله ههنا خصيصاً حجة بينة قاهرة فقال تعالى (وما كنتَ تتلو من قبلهِ من كتابٍ ولا تخطهُ بيمينك اذاً لارتابَ المبطلون .) (١)

ان محمداً ﷺ ظل في المرحلةِ الاولى من حياته راعياً بالأجر أو تاجراً بالأجر مشغولاً برزقه ثم بشأن نفسه وزوجه وأولاده فلم يتطلع الى مجالسة العلماء أو مدارسة العلوم . واستمر على ذلك أربعين سنة ، ثم طلع على العرب بين عشية وضحاها بما لم يأنسه في أيامه الخوالي ولم يخض في بحثه مع أحد في قليل أو كثير .

وجاء الخطاب الالهي يذكّر النبي بتلك الحقيقة ويعلنها على الملأ حجة دامغة : فلو كنتَ - يا محمد - ممن يعلم التلاوة والخط أو ممن يعتادهما ، لارتاب مشركو مكة ولتشبثوا بالوهم زاعمين انك التقطته من كتب الاوائل . غير أن الحالة التي أقمت عليها في سالف حياتك لم تدع لارتيابهم وجهاً ولم تفسح له مجالاً . فالمعجزة جلية لا ريب فيها :

كفاكَ بالعلمِ في الأمي معجزةً في الجاهليةِ والتأديبَ في اليتمِ

على أن مثل هذا الكتاب الطويل - بما احتواه من علوم جديدة وتصحيحٍ لما شوّه في بطون الكتب المنسوبة إلى المرسلين وإظهارٍ لما أخفوه وأغفلوه - يستحيل تحصيله بمجرد الكتابة والقراءة . بل لا بدّ لتعلمه وتلقيه من زمن طويل ودراسة جدية في بيئة علمية ، وهذا مسلك ظاهر بنفسه لا

(١) سورة العنكبوت : ٤٨ انظر تفسيرها في روح المعاني ج ٢١ ص ٤ وتفسير الرازي ج ٢٥ ص ٧٦ وفي القرآن آيات نوهت بأميته صلى الله عليه وسلم منها آل عمران : ٤٤ - ويوسف : ٣ - ويوسف : ١٠٢ والقصص : ٤٤ - وهود : ٤٩ .

يمكن خفاؤه ولا يجدى ستره عن الناس فتيلاً . فأنى له تلك العلوم إلا أن تكون تنزيلاً من حكيم حميد ؟ .

(قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ..!؟)[1] .

ثانياً ـ انك بعد هذه الحقيقة النيرة تسمع مزاعم ملاحدة هذا الزمن فتعجب ، وعجبٌ زعمهم « ان محمداً استوحى من عقله ولخص فيه زبدة المعارف والعلوم السائدة في عصره » وانك لتجد شياطين الانس والجن تهجس في خواطر ضعاف القلوب بزخرف ذلك القول غروراً . فهل نسي هؤلاء أن محمداً أُمي وأن العرب أمة أمية لا تعرف من أخبار الماضين إلا نتفاً يسيرة .. وأنه ليس عند أهل الكتاب إلا قراطيس يخفون بعضها ويشوهون ويحرفون بعضاً آخر ...

أيتوهم هؤلاء المرضى في عقولهم وضمائرهم أنهم طلعوا على الناس بكشف هـام أو رأي جديد . . تباً لهم ! انهم مقلدة يكررون ترهات المعاندين الأقدمين من غير بحث أو وعي ؛ تكرار عجماوات لا تعقل . .

ونضيفُ إلى الأدلةِ السابقةِ فنسأل : هل كل ما في القرآن مما يعرف بالعقل أو بالنقل مأخوذ عن الكتب السماوية السابقة وهي مشوهة !؟

هناك الحقائق الالهية التي تاهت في معرفتها العقول ، وحارت في سبرغورها الألباب . وكان أهلُ الكتابِ قد أعطوا صورةً مشوهة ممجوجة عنها .

لذلك تجد الرد الالهي على وهم الواهمين قوياً مفحماً . فقد عرض

---

(١) سورة يونس : ١٦ .

الله في سورة الانعام الحقائقَ التي تدل على ذاته العلية (إن اللهَ فالقُ الحب والنوى..فالق الاصباح وجعلَ الليلَ سكناً والشمسَ والقمرَ حُسباناً ذلكَ تقدير العزيز العليم .. وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع .. وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ..)(١).

وأعقب ذلك بعرض معارف إلهية فريدة ليست عند أحد من أهل الحجاز والشام . وفيها رد على أهـل الكتاب بابطال التثليث الذي زعموه قال تعالى : (بديعُ السموات ِ والأرض ِ أنى يكون له ولدٌ ولم تكن له صاحبةٌ وخَلَقَ كلَّ شيء وهو بكل شيء عليم . ذلكمُ اللهُ ربكم لا إلهَ إلا هو خالقُ كل شيءٍ فاعبدوه وهو على شيء وكيـــل . لا تُدركه الأبصارُ وهو يدركُ الابصارَ وهو اللطيفُ الخبير)(١).

فدل على أن هذه الحقائق والمعارف لا تتأتى على لسان رجل أمي الا من الله جل شأنه فأشار الى ذلك بقوله (قد جاءَكم بصائرُ من ربكم فمنْ أبصرَ فلنفسه ومن عميَ فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) . وبعدَ مثول ِ الحقيقة ِ أمام العقل والبصيرة وظهورها شامخة شماءَ عالية ؛ ذكر وهمهم ليظهر ضآلته وحقارة شأنه بجانب ما أورد من أدلة قاهرة أولاً . فقال (وكذلك نُصرّف ُ الآيات ِ وليقولوا َدرستَ ولنبينَهُ لقوم يعلمون . اتبعْ ما ُأوحي اليكَ من ربك لا الهَ إلا هو وأعرضْ عن المشركين) . (١)

ان هذه الحقائقَ وتلكَ العلوم لا تؤخذ عـن بشر قط . خاصة اذا أضفتَ اليها أخبارَ الغيب الماضي وما فصَّل منه من تاريـــخ الامم ومواقفهم من الرسل على جهة التصحيح لما تشوه لدى أهل الكتاب . ثم **أخبار الغيب المستقبل** فيما أخبر الله عن حوادث ستقع فحصلت كما أخبر

(١) الآيات المذكورة آنفاً من سورة الانعام : ٩٤ ـ ١٠٦ .

سبحانه بالضبط والدقة . فأنى لامرىء أن يتقول ما لا يملك وقوعه وتحققه ..

(تلكَ من أنباءِ الغيب نوحيها إليكَ ما كنتَ تعلمُها أنتَ ولا قومُك من قبلِ هذا فاصبرْ إنَّ العاقبةَ للمتقين) . [1]

أضفْ الى ذلك أن القرآن حوى حقائق كونية علمية يستحيل على علماء ذلك الزمن ان يعرفوها بعقولهم ووسائلهم العلميـــة البدائية . **فأنى لرجل أُمي في جزيرة الامية ان يتوصل اليها ؟**

(قل أنزله الذي يعلم السرَّ في السمواتِ والارضِ إنه كان غفوراً رحـــيما) . [2]

لذلك عدَّ الامام فخرالدين الرازي ذلك كله معجزةً عقليةً أخرى لسيدنا رسول الله ﷺ . فذكر انقطاعه عن العلم والعلماء ووصف أحوال قبيلته وبلده ثم قال (فاذا خرجَ من مثل هذه البلدة ومن مثل هـــذه القبيلة انسان من غير ان يكون مارسَ شيئاً من العلوم ولا تَتلمذَ لأحدٍ من العلماء البتة ، ثم بلغ في معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأسمائـــه وأحكامه هذا المبلغ العظيم الذي عجز جميع الاذكياء من العقلاء عن القرب منه بل أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزداد في تقرير الدلائل على ما ورد في القرآن .. ثم ذكر قصص الاولين وتواريخ المتقدمين بحيث لم يتمكن أحد من الاعداء أن يقول : إنه أخطأ في شيء منها ـ بل بلغ كلامه في البعد عن الريب والشك إلى أن قال عند مجادلتهم إياه : « قل تعالوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم » إلى قوله : « فنجعلْ لعنةَ الله على الكاذبين » وقال : « تلك من أنباءِ الغيبِ نوحيها إليكَ ما كنتَ تعلمُها أنتَ ولا قومُك » .

---

(١) سورة هود : ٤٩ . (٢) سورة الفرقان : ٦ وقد تعرضنا لهـذه الامور تفصيلا في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة » .

ولم يقدرْ أحدٌ أن يقولَ إنه طالع كتاباً أو تتلمذ لأُستاذٍ ..
وكانتْ هذه الأحوالُ الظاهرة معلومة للاصدقاءِ والأعداء على ما قال تعالى : « أمْ لم يعرفوا رسولَهم فهم له منكرون » وقال : « وما كنتَ تتلو من قبلهِ من كتابٍ ولا تخطُّهُ بيمينك إذاً لارتابَ المبطلون » وقال : « فقد لبثتُ فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » .

وكل من له عقل سليم وطبع مستقيم يعلم أن هذه الأحوال لا تتيسر إلا بالتعليم الالهي والهداية الربانية) (١) .

---

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٣١٠ ـ ٣١١ . وأما الآية (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) فهي من معجزاته العقلية أيضاً الدالة على أنه مجاب الدعوة .

الرسول متلو مأمور

إذا درستَ آثار ظاهرة الوحي على محمد ﷺ ورأيتَ أنها قد أجهدت نفسه وجسمه ؛ حتى تقاطر العرق من جبينه في اليوم الشديد البرد ، واستأثرتْ بلُبِّه واهتمامه حتى أسلمته إلى غطيط شهده الحاضرون، ويثقل عبء الوحي عليه حتى تكاد فخذه ترضُّ فخذ صاحبه التي تحتها ، أو تبرك ناقته انْ كانَ يمتطيها ضاربة الأرضَ بجرانها . فاذا انجلى عنه ماغشيه تدفقتْ منه ينابيع المعارف الربانية والمواعظ والحكم والتشريعات السديدة بأسلوب فذ يعجز عنه البشر فرادى وجماعات . كل ذلك يُثْبت بمالاجدال فيه ، **أن ظاهرة الوحي أمر سوي لا اعتلال معه ، الزامي لا اختيار فيه .**

وإذا استوعبتَ في خاطرك لهجة القرآن في خطاب محمد ﷺ أدركتَ أنه متلق مأمور لايملك جلب الوحي ولا دفعه في قليل أو كثير . بل إن القرآن يتنزل عليه في السفر أو الحضر راكباً أو قاعداً دون أن يعوزه إلى تروي المتأمل وصمات المتفكر . فانه كان يُلفي نفسه فجأة أمام تلقين ملزم سريعْ فيخشى أن يفوته منه شيء يستعصي عليه تداركه وتذكاره . لذلك عمد في مطلع عهده بالوحي إلى ملاحقة جبريل أثناء القاء الوحي عليه لفظاً لفظاً . فجاء الأمر الالهي بترك ذلك وتفويض أمر الحفظ إلى الله ، فهو ضامن قراره كاملاً في الصدر وقراءته باللسان .

قال تعالى : (لا تُحركْ به لسانَكَ لتعجلَ به إن علينا جمعَهُ وقرآنَهُ . فاذا قرأناه فاتبعْ قرآنه . ثم إنَّ علينا بيانَهُ) (١) .

---

(١) سورة القيامة : ١٦ ـ ١٩ .

وقال : (فتعالى اللهُ الملكُ الحقُ ولا تعجلْ بالقرآنِ من قبل أن يُقضى إليكَ وحيُهُ وقل ربِّ زدني علماً) (١) .

وإنك لتجدُ في آياتِ القرآن الكريم ـ من خلال الفاظ النزول بالقرآن وتنزيله ـ معاني وافرة ، تدلك على أن الاحساسَ النفسي العميق لمحمد ﷺ انما كان حساً يقيناً بأنه ملقن مأمور بهذا الخطاب ، لا وسيلة عنـــده لتفاديه أو استحضاره .

قال تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) (إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلاً) (٢) (إنا نحن نزّلنا عليك القرآنَ تنزيلاً) (٣) (وانه لتنزيلُ ربِّ العالمين . نَزَلَ به الروحُ الأمينُ على قلبك لتكون من المنذرين ..)(٤).

ويعاني الرسول في ابلاغ القـــوم كتابَ ربهم آلاماً مريرة من مضايقاتهم وعنتهم ، فيجيء الخطاب الالهي يشحذ همته ويدعم صموده (المص كتابٌ أُنزلَ اليك فلا يكنْ في صدركَ حرجٌ منه ، لتنذرَ به وذكرى للمؤمنين) (٥) .

لقد منح الله عبدَه محمداً نعمةَ الرسالةِ من غيرِ سابق تطلع اليها أو طموح فيها ، فألقى اليه كتابه وشرعه رحمة منه وفضلا (وما كنتَ ترجو أن يُلْقي اليك الكتابُ إلا رحمةً من ربك ...) (٦) (قل أنزله الذي يعلمُ السرَّ في السمواتِ والأرضِ إنه كان غفوراً رحيما) (٧) .

---

(١) سورة طه : ١١٤ وارجع الى الحديث في الفصل الاول من الباب الثاني ص ١٨٩ ــ ١٩٠.

(٢) سورة المزمل : ٥ . (٣) سورة الدهر : ٢٣ .

(٤) سورة الشعراء : ١٩٢ ــ ١٩٤ .

(٥) سورة الاعراف : ١ ــ ٢ . (٦) سورة القصص : ٨٦ .

(٧) سورة الفرقان : ٦ .

وقد منح الله تعالى كتابه للرسول ﷺ ، وهو القادرُ على استلاله منه دون أن يُبقي له في صدره أثراً ان شاء تبارك وتعالى . فالرسول خاضع طائع لا يملك لنفسه في شأن الوحي شيئاً (ولئن شئْنا لنَذهبَنَّ بالذي أوحينا اليكَ ثم لا تجدُ لك به علينا وكيلاً إلا رحمةً من ربكَ إن فضله كان عليك كبيراً) (١) .

أنزل الله هذا الكتاب بحكمته البالغة وتكفل بحفظه من التحريف والتشويه مدى الدهر . فأنى لواحد من البشر أن يزعم أن أفكاره وأقواله ستبقى بمنأى عن التشويه والتحريف ، فمثل هذا التكفل لا يتحقق إلا أن يصدر من جانب الله العزيز الحكيم .

قال تعالى (وانه لكتابٌ عزيزٌ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِه تنزيلٌ من حكيم حميدٍ) .(٢) وقال (انا نحن نزّلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون) . (٣)

فالرسولُ نفسه مبلّغ مأمور ، فكتاب الله مصون محفوظ .. بينما لا تجد لأحاديث الرسول تعهد منه خاص بحفظها وأنه لن يكون فيها دخيل . . لكن الله كرم الامة برجال أفذاذ ميزوا فيما بعد صحيحها من مغلوطها وأصيلها من الدخيل عليها ، حتى سلم للأمةِ الاسلاميةِ حديث نبيها كما سلم لها كتاب ربها تبارك وتعالى .

فلهجة الخطاب القرآني تشعرك بأنها تتنزل من علو من ذي قوة وسطوة وعظمة وحكمة من عليم احاط علمه التام الدقيق بكل ما في الوجود جليلاً كان أم ضئيلاً .

---

(١) سورة الاسراء : ٨٦ ــ ٨٧ .   (٢) سورة فصلت : ٤١ ــ ٤٢ .
(٣) سورة الحجر : ٩ .

قال تعالى (وانك لَتُلقّى القرآن من لدنْ حكيمٍ عليم) (١)

ههنا ذات عظيمة تلقي خطابها من شاهق العلياء والعظامة بوطأة شديدة وهيمنة عريضة ، تلقيه الى ذات انسانية ضعيفة تركن الى التذلل والانكسار والطاعة والعبادة لتلك الذات العظيمة الآمرةِ الناهية .

فهل بوسعِ انسان أن يتقمص تلك الذات المهيبة الجليلة فينطق باسمها في نفس الوقت الذي يضفي فيه على نفسه أوصاف التذلل والضعف والافتقار ؟

وهل يقعُ هذا مستمراً في كتاب واسع كالقرآن من غير اختلال في ذلك ولا تنافر . . ! ! ؟

لا شك أن هذه أحوال نفسية في غاية التناقض والتضاد، فيستحيل اجتماعها في نفس انسانية سوية كانت أو شاذة. وهذا مما يدرك بالملاحظة والبداهة من الاوضاع النفسية للناس . فالانسان لا يستطيع أن يقفَ من نفسه موقف تلك الذات المهيبة العظيمة من نفس محمد ﷺ باللوم والتوجيه علناً جهاراً على مسمع من الاجيال المتعاقبة .

قالت عائشة رضي الله عنها : أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الاعمى . أتى الى رسول الله ﷺ فجعل يقول : أرشدني . قالت : وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين . قالت : فجعل النبي ﷺ يُعرض عنه ويقبلُ على الآخر ويقول (أترى بما أقول بأساً ؟) فيقول : لا . في هذا أُنزلت عبس وتولى . (٢)

---

(١) سورة النمل : ٦ .

(٢) رواه الترمذي وأبو يعلى وابن جرير الطبري ـ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٠ .

لقد طمع الرسول في ايمان هذا الرجل من كبراء المشركين فأغرق في محادثته ووعظه ، وساءه أن يقطع عليه هذا الصحابي حديثه فأعرض عن إجابته ، فأنزل الله هذه الآيات الى محمد ﷺ يوجهه ان لا يخص أحداً بالاقبال عليه دون غيره ، بل يساوي بين الشريف والضعيف والغنى والفقير والرجل والمرأة والسيد والمسود والصغار والكبار ، قال تعالى: (عبس وتولى ان جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ، فأنت عنه تلهي . كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة . بأيدي سفرة كرام بررة).[1]

أقول : ان الرجل المحترم في قومه لحريص غاية الحرص على ستر خطاياه ، يخفيها لئلا تشيع وتكون مادة تحادث الناس ، فتنحط مكانته وينقص قدره في أعينهم مما يذهب بالاحترام كله . وهذا ينبئك بأن هذا الخطاب لا يتأتى الا من الله العزيز الحكيم .

وهذا العتب والتوجيه له أمثال في كتاب الله تعالى . منها : ما نزل في بِشر بن أبيرق . وقد روى قصته قتادة بن النعمان رضي الله عنه وزبدتها: أن بِشراً كان منافقاً ، وكان من بيت أهل حاجة في الجاهلية والاسلام ،

---

(١) « يزكى » : تحصل له طهارة نفسه (استغنى) كان غنياً (فأنت له تصدى) تتعرض له رغبة في هدايته (وما عليك الا يزكى) لست مؤاخذا في اهماله تطهير نفسه (انت عنه تلهي) تتشاغل عن الاعمى (كلا انها تذكرة) إن الوصية بالمساواة بين الناس في الوعظ وابلاغ العلم تذكرة يعمل بها ويهتدى بضيائها (فمن شاء ذكره) ذكر الله تعالى في أموره جميعها فضبطها على ما يرضيه سبحانه . (تفسير ابن كثير : ٤ : ٤٧٠ ـ ٤٧١) .

وأن رفاعة بن زيد عم قتادة قد نُقبتْ له مشرُبة (١) في الليلِ وسُرق منها طعام ودرعان وسيفان وما يصلحها . فلما أصبح آتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن اخي تعلَّم أنه قد عُديَ علينا في ليلتنا هذه فنُقبت مشربتنا، فذُهب بطعامنا وسلاحنا . فتحسسنا في الدار وسألناه فقيل لنا قد رأينا بني أُبيرق قد استوقدوا في هذه الليلةِ ولا نرى فيما نرى الا على بعض طعامكم ، فقال بنو أُبيرق ونحن نسأل في الدارِ : والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل ؛ رجلاً منا له صلاح واسلام . فلما سمع ذلك اخترط سيفه (٣) ثم أتى بني أُبيرق . وقال : أنا أسرق ! فو الله ليخالطنكم هذا السيف أو لتتبينن هذه السرقة . قالوا اليك عنا ايهـــا الرجل . فو الله ما أنت بصاحبها . فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها . فأتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ان أهل بيت منا أهل جفاء (٤) عمدوا الى عمى رفاعة فنقبوا مشرُبة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينـا سلاحنا . وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه . فقال رسول الله ﷺ : سأنظر في ذلك . فلما سمع بنو أُبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له : أسير بن عروة ، فكلموه في ذلك . واجتمع اليه ناس من أهل الدار ؛ فأتوا رسول الله ﷺ . فقالوا : يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا الى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثَبَتٍ (٥) . قال قتادة : فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته . فقال : عمـدت الى أهل بيت

(١) المشربة : الغرفة أو العلية .

(٢) تحسسنا في الدار : « تحسس الخبر » تطلبه وتبحثه . « الدار » المحلة التي تنزلها القبيلة أو البطن منها .

(٣) اخترط سيفه : سله من غمده . (٤) الجفاء : غلظ الطبع .

(٥) الثبت : [بفتحتين] : الحجة والبرهان والبينة .

ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت : فرجعت ، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعة ، فقال : يا ابن أخي ما صنعتَ ؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ . فقال : الله تعالى المستعان . فلم نلبث أن نزل القرآن : (إنّا أنزلنا اليك الكتابَ بالحقِ لتحكمَ بين الناسِ بما أراكَ اللهُ ولا تكنْ للخائنينَ خصيماً . واستغفرِ اللهَ إنّ الله كان غفوراً رحيماً . ولا تجادلْ عن الذين يختانون أنفسهم إن اللهَ لا يحبُ مَنْ كان خواناً أثيماً . يَستخفونَ من الناسِ ولا يستخفونَ من الله وهو معهم اذ يُبيّتُون ما لا يرضى من القولِ وكانَ اللهُ بما يعملون محيطاً ، ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياةِ الدنيا ، فمن يجادلُ اللهَ عنهم يوم القيامةِ ؟ أم مَن يكونَ عليهم وكيلا . ؟) (١) .

فلما نزل أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده الى رفاعة ، فلما أتيتُ عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية (٢) ، وكنت أرى اسلامه مدخولا ، قال : يا ابن أخي هو في سبيل الله . فعرفت أن اسلامه كان صحيحا (٣) .

---

(١) سورة النساء : ١٠٥ ـ ١١٠ وانظر بقية الآيات المتصلة بالقصة في سورة النساء : ١١١ ـ ١١٣ .

(٢) عسا في الجاهلية : كبر وأسن فيها من « عسا العود » يبس واشتد وصلب .

[٣] وتتمة الحادثة : [ثم لحق بشر بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد فأنزل الله تعالى [ومن يشاقق الرسول] الآية . ثم ان حسان بن ثابت رضي الله عنه هجا سلافة فأخذت رحله فوضعته على رأسها ، ثم خرجت فرمت به في الابطح . ثم قالت : أهديت الي شعر حسان ، ما كنت تأتيني بخير] « اهـ ملخصاً » =

أخرجه الطبري في تفسيره والترمذي في السنن عند تفسيره الآية ، وقال : هذا حديث غريب لا نعلم أحدا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني ورواه بن اسحاق مرسلا ورواه ابن المنذر وأبو الشيخ الاصبهاني في تفسيريهما . ورواه الحاكم في مستدركه وقال : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[1] .

وليس بخاف على عاقل أن المرء الذي يحب أن يطاعَ ويَحرص على كسب احترام الملأ وثقتهم ، ليضفي على نفسه هالةً من الوقار والعبقرية توحي بأن آراءه صائبة لا تخطىء ووصاياه سديدة لا تخيب . **لذا فان رجلا عاديا ـ حاز بعض ما لمحمد في أنفس قومه ـ ليجتنب بحذر بالغ عتاب نفسه أو لومها علنا جهارا ؛ مخافة أن تنحط مكانته ويفقد تأثيره في القوم . وبملاحظة هذه الحقيقة ؛ التي لا تتخلف بحال ؛ يحكم العقل السليم بأن محمداً ﷺ كان يتلقى القرآن من علو من قوي مهيمن عليم حكيم .**

= و « الأبطح » أبطح مكة أو بطحاء مكة : مسيل واديها . وأول شعر حسان فيها ـ كما في ديوانه ـ قوله :

وما سارق الدرعين إن كنت ذا كرماً — بذي كرم من الرجال أوادعه
فقد أنزلته بنت سعد فأصبحت — ينازعها جلد استها وتنازعه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري جـ ٩ ص ١٧٧ ـ ١٨٣ .. وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٥٠ ـ ٥٥١ وروح المعاني جـ ٥ ص ١٢٥ ـ ١٢٧ .

الرسول يبرأ من علم الغيب الا بالوحي

وهذا رسول الله ﷺ يبادر قومه الى تعظيمه واحاطته بهالة من العلم الفريد والعرفان النادر الذي لا يكون للبشر ، فيكشف لهم الحقيقة جلية غير عابىء بأحد أن تسول له نفسه اساءة الظن أو الاستخفافَ بمقام النبي الكريم ﷺ . فقد نشطت جويريات صبيحة عرس الرُبيِّع بنت مُعوِّذ الانصارية بالضرب بالدف وجعلن يذكرن آباءهن من شهداء بدر حتى قالت جارية منهن : وفينا نبي يعلم ما في غد . فقال ﷺ : (لا تقولي هذا . وقولي ما كنت تقولين)[1] .

وتنزل الامر الالهي مشعرا بعليـاء وعظمـة الذات الالهيـة الآمرة المتصرفة وبضعف ذات محمد وكونه متلقيا مأمورا أن يزيـح عن الاعين كل غشاوة تخيل للناظرين أن في شخصه قدرة الهية أو صفة ربانية . قال تعالى: (قل لا أملكُ لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله . ولو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخيرِ وما مسّنيَ السوء . إنْ أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقومٍ يؤمنون) .[2]

ههنا تحديد لشخصية محمـــد الانسانية وتحديـد لمهمته النبوية فهو متلقٍ مأمور بالتبليغ وبالصبر على ما ينتابه في سبيل دعوته ، لا يطلع على شيء من الغيبِ إلا أنْ يُعلمه الله جل شأنه ، ولا يملك لنفسه جلب النفع ولا النجاة من الضر الا أن يشاء الله رب العالمين . وما ذاك الا لأنه بشر عادي اختاره الله لرسالته ، فما عليه الا اتبـاع الوحي الالهي والتقيد به بدقة تامة . (قلْ لا أقولُ لكم عندي خزائنُ اللهِ ولا أعلمُ

---

(١) رواه البخاري . (٢) سورة الاعراف : ١٨٨ .

الغيبَ ولا أقولُ لكم إني ملكٌ إنْ أتبعُ الا ما يوحى اليَّ . قلْ هلْ يستوي الأعمى والبصيرُ ؟ أفلا تتفكرون !؟) (١)

ويقرر الرسول ﷺ أنه بشر وأنه ـ فيما لا علاقة له بالتشريع ولم يوحَ اليه بشأنه خاصة ـ يأخذ بظواهر الأمور فيحكم بوفقها ، ولا يعوّل في ذلك على علم غيبي . فقد روى الشيخان رضي الله عنهما عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حجرته فخرج اليهم فقال : (انما انا بشر وانه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضيَ له بذلك . فمن قضيتُ له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها) . (٢)

وفي رواية أبي داود عن طريق الثوري : (فأقضي له على نحو مما أسمع) .

ورواه الامام أحمد قريباً من لفظهما من طريق أسامة بن زيد وفي أوله : (جاء رجلان من الأنصار يختصمان الى رسول الله ﷺ في مواريث بينهما قد َدرستْ ليس عندهما بينة) وزاد في آخره : (فبكى الرجلان وقال كل منهما : حقي لأخي ، فقال رسول الله ﷺ . (أما إذْ قلتما فاذهبا فاقتسما ، ثم توخيا الحق بينكما ثم استهما ، ثم ليُحللْ كل منكما صاحبه) .

ورواه أبو داود من طريق أسامة بن زيد وزاد فيه (إني إنما أقضي بينكما برأيي فيما لم ينزل عليّ فيه) (٣)

---

(١) سورة الانعام : ٥٠ .

(٢) هذا لفظ البخاري في صحيحه : كتاب الاحكام ـ باب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه . وهو عنده بلفظ آخر قريب في نفس الكتاب وانظر صحيح مسلم كتاب الاقضية باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة .

(٣) فتح الباري جـ ١٣ ص ١٣٩ وما بعدها . وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٥٠ .

سجية الرسول دليل على نبوته :

لم يكن الرسول ـ قبل البعثة ولا بعدها ـ يتكلف أو يتصنع أن يبهر الناس برفيع مقامه حرصاً على احترامهم ؛ انمـا كان يرسل نفسه على سجيتها ، لا يأبه لحمد الناس وثنائهم ولا لقدحهم وهجائهم . وقد أمره الله بتذكيرهم بهذا ـ فهو معلوم لهم من قبل ـ ليقيم به تعالى دليلاً يهديهم الى الحق ، وشاهداً ماثلاً يدفعهم الى التفكير والنظر والاعتبار ، فيُلزمهم بالتسليم لمحمد ﷺ بصدقه في نبوته . قال تعالى (قل ما أسألُكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين إنْ هوَ إلا ذِكرٌ للعالمين ولتعلمُنّ نبأه بعدَ حين)[١] .

فقد أمر الله محمداً ﷺ بأن يورد على الجاحدين دليل صدقـــه ونزاهته فيقول لهم : انني لا أسألكم على الدعوة الى الله وتبليغ القرآن مكافأة دنيوية مادية قليلة كانت أم جليلة . فلست من أصحاب الاغراض الشخصية والمطامع النفعية . كما أني لا أطلب مكافأة معنوية من اجلال أو تعظيم ـ فلست من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا أهله . **وما عرفتموني قط متصنعاً ما ليس فيَّ أو مدعياً ما ليس عندي . فهل يعقل أن أنتحل النبوة وأتقول القرآن وأنسب الى الله ما ليس لي به علم . . ؟**[٢]

انما كان جلّ همّ رسول الله ﷺ أن يتحقق بالعبودية ويظهر على واقعه عبداً خالص الطاعة والعبودية لله . فاذا انحاز الناس الى تعظيمـــه فنسبوا اليه ما ليس محققاً فيه ، اعترضهم ممانعاً مجاهراً بحقيقته البشرية . فقد أحاط بعض المؤمنين محمداً وذريته بهالة من العظمة الالهية **فنسبوا له التأثير في الكواكب** ، كان ذلك يوم توفي ولده ابراهيم عليـــه السلام

---

(١) آخر سورة ص : ٨٦ ـ ٨٨ .

(٢) انظر روح المعاني : جـ ٢٣ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

فانكسفت [illegible] في [illegible] بعضُ أنها كسفت لوفاته . انهـا فرصة نادرة سنحت لمحم[illegible] طابع التعظيم الالهي بغير حساب . لكنه حالما بلغه تقوّل [illegible] خرج [illegible] المسجد مسرعاً مهتماً به بالغ الاهتمام ولم ينتظر موعد الصلا[illegible] الرفض ذلك بإباء عزيز وتواضع جم ، فخطب معلناً عن [illegible] التلقائية [illegible] مورة ، وبيَّن أن حادثة كونية حصلتْ بمشيئة الله تعالى ال[illegible] الكون كله ، وهي من العـــلائم الدالة على عظيم قدرته [illegible] س لها صلة بوفاة ولده ابراهيم :

عن [illegible] رضي الله عنه قال : كَسفت الشمس على عهد رسول الله [illegible] ابراهيم ، فقال الناسُ : كَسفت الشمسُ لموتِ إبراهيم ، فـ[illegible] ﷺ : إنَّ الشمسَ والقمر لا ينكسفانِ لموت أحد [illegible] رأيتم فصلوا وادعوا الله .

وعن [illegible] : كنا عند النبي ﷺ فانكسفت الشمسُ فقـام رسو[illegible] ﷺ رداءَه حتى دخل المسجد ، فدخلنا فصلى بنا ركعتين [illegible] س . فقال ﷺ : إن الشمس والقمر لا ينكسفان [illegible] يتموها فصلوا وادعوا حتى يُكشف ما بكم .

وفي [illegible] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : إن الشمس وال[illegible] لموت أحد ولا لحياته ، ولكنها آيتان من آيات الله فا[illegible] ا (١) .

---

(١) انظر الأحاديث [illegible] في صحيح البخاري : في أبواب الكسوف وانظر نحوها في صحيح [illegible] الكسوف ، فقد روى مسلم مناسبة خطبة النبي : ان الناس قالوا [illegible] ابراهيم . عن جابر وعن أبي مسعود . وتشير إلى ذلك رواية ابن عمر [illegible] [انظر فتح الباري ج ٢ ص ٣٥٩] . =

فأفاد الحديث أن الشمس والقمر علامتا[illegible] الدالة على عظيم قدرة الله تعالى ووحدانيته . فهو وحده [illegible]صرف فيه حسب حكمته ومشيئته فالكون كله في قبضته و[illegible]بدل نظامه ولا يحدث فيه حادث إلا باذنه . ومن جملة ذل[illegible] ودورانها الطبيعي وما ينجمُ عنها من ليل ونهار على الأر[illegible]فها النادر الذي لا يستطيع له العباد رداً ولا تبديلاً . قال[illegible]ياتـه الليلُ والنهار والشمس والقمرُ . لا تسجدوا للشمس[illegible]سجدوا لله الذي خلقهن إن كُنتم إياه تعبدون) (١) .

أنى لمحمد رسول الله أن يدعي علم الغي[illegible]ه وولده التأثير على الكواكب وهو ـ كما أيقن من صمي[illegible]ق مأمور مؤتمن ، يرى قبضة الهيمنة الالهية آخذة بتلابي[illegible]منها افلاتاً ولا انفكاكاً إلا بأداء الرسالة بصدق وأمانة [illegible]لينا بعضَ الأقاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه ال[illegible] من أحد عنه حاجزين) (٢) .

ولو قال محمد شيئاً من عنده فنسبه الي[illegible]ن ذلك ـ لأمسكناه بيمينه . فما يقدر أحد منكم عندئذ أ[illegible] إهلاكه .

= وروى مناسبة خطبة النبي أيضاً الامام أحمـــد في م[illegible]لبيد ورجاله رجاله الصحيح . وروى المناسبة أيضاً الطبراني في الكبير وفي[illegible]بن موسى ، ذكره ابن حبان في الثقات وبقية رجاله رجال الصحيح (انظر [illegible] ص ٢٠٧ و ٢١٠ لعلي بن أبي بكر الهيثمي طبع مكتبة القدسي ـ [illegible]

ومعنى قوله : (يجر رداءه) أي لم يستكمل لبسه [illegible] ، ويستفاد ذلك من رواية النسائي ـ انظر الفتح جـ ٢ ص ٣٥٨ .

(١) سورة فصلت : ٣٧ . (٢) سو[illegible] ٤٧ .

وهذا عند [illegible] وة أخذ الله وعدم الاقتدار على الافلات منه ، فان يمين [illegible] ه قوة وفاعلية . لكنّ الله قـد عصم الرسول – وكل ر[illegible] ث والتحريف . فهو راشـــد أمين أيده الله بالمعجزات [illegible] ات القاطعة ﷺ (١) .

وم[illegible] ه ﷺ في كشف حقيقة الكسوف والخسوف إلا موقف[illegible] ق مرهف الأمانة ... موقف نبوي جليل .. يفيض على [illegible] اثباتاً لنبوة محمد ﷺ وثقة بها . ويستجيش فيها إيماناً [illegible] قاً ، يتجاوز حصون العصبية ولا يعبأ بالأحقاد الطائفية ا[illegible] الشاعر النصراني الياس قنصل يُعرّفه إنعـــام النظر في [illegible] رها أن محمداً نبي مخلص صادق ورع يترفع عن اهتبال الف[illegible] ة صرح أمجاد شخصية ، فيعلن إيمانه به نبياً وبرسالته [illegible] نشد إلياس قنصل (٢) :

إني [illegible] ملوّعاً بشدائد الآلام والأحزان
تح[illegible] روحه وشبابه ما زال في الريعان
فنف[illegible] حابة للسما وعلى جفونك مدمع الثكلان
هي [illegible] متنبيء أغنته عن عمل وعن برهان
إن[illegible] رسالة للحق كان الحق في بطلان

---

(١) [illegible] ج ٤ ص ٤١٧ وروح المعاني ج ٢٩ ص ٥٤ .

(١) [illegible] من أدباء المهجر الجنوبي وشاعر واسع الآفاق ؛ خاض في شعره خضم [illegible] وفاض بعاطفة وطنية ملتهبة . وهو كاتب وناقـــد وخطيب ومترجم . ول[illegible] ة ١٩١٤ م (تاريخ الشعر العربي الحديث ص ٣٣٨–٣٣٩ وأدبنا وأدباؤ[illegible]) .

حماية الرب خاصة للرسول [illegible]

كلأ اللهُ رسوله محمداً ﷺ بعناية [illegible] دون [illegible] المسلمين ، فحفظه في مكة من كيد الكائدين وشر الحساد [illegible] حفه بألطافه فحال دون صناديد قريش أن يبطشوا به مع ش[illegible] المبغضين . لقد هيأ اللهُ بقدرته وحكمته العالية أسباباً عظ[illegible] .

١ - حمايته في مكة وأثناء الهجرة :

لقد صان الله محمداً في ابتداء الدعوة [illegible] وكان رئيساً مطاعاً في قريش . فأنبت الله في قلبه محبة ر[illegible] حسناً ، على الرغم من إقامته على دين قومه . وقد أقام ع[illegible] يعيّره العرب بترك دين الآباء والاجداد . وكان مهيباً فيهم [illegible] ف عندهم . ولو كان أسلم لاجترأ عليه كبارهم وأشداؤهم [illegible] طالب نال المشركون من النبي ﷺ أذى يسيراً . ثم [illegible] تد كيدهم ، فعزموا أن يقتلوهُ على يد فئة من جبابرة شبا[illegible] من بطون قريش جميعها ، ليضربوه ضربة رجل واحد [illegible] القبائل . وقد هيأ الله له الانصار فبايعوه على الاسلام على [illegible] دارهم يثرب ، فاذا وصلها منعوه ودافعوا عنه . فلما بلغ [illegible] أضمرت له قريش سفك الدم واستئصال الشأفة أذنَ الله [illegible] يثرب ، فأفلت من قبضة القوم وهم على أتم حذر وأ[illegible] استعداد . فلجأ إلى غار في جبل ثور بصحبة الصديق [illegible] الله عنه ، فجُن القوم وطار صوابهم ، وامتطوا صهوات [illegible] في البحث عنها في كل واد ورابية وغار ، حتى بلغوا غار [illegible] على فوهته،

فلو ألقى أحدهم نظرة أسفل قدميه لشاهد رسول الله وصاحبه الصديق . لكنّ عناية الله وحمايته حفتهما وحجبت عنهما الابصار .

(عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار : لو أنّ أحدَهم نظرَ تحت قدميه لأبصرنا . فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما) [١] .

وقد خلد الله ذكرى هذه العناية الخاصة لنبيه محمد ﷺ لحث المؤمنين على الخروج للجهاد ، وحذرهم من التثاقل الى الملذات والمتع . ثم قال تعالى : (إلاّ تنصروه فقد نصره اللهُ إذْ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذْ هما في الغار إذ يقولُ لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنودٍ لم تروها وجعلَ كلمةَ الذين كفروا السفلى وكلمةُ الله هي العليا واللهُ عزيز حكيم) [٢] .

وفي الطريق إلى يثرب حيث تكمن مخاطر مريعة ، لقي الرسول حماية إلهية ظاهرة . وهي أبرز ما تكون في الخلاص من فتك الفارس المشرك الشديد المراس سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي . ونستخلص من حديثه ما يلي :

(قال سُراقة : جاءنا رسولُ كفارِ قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما مَن قتله أو أسره [٣] . فبينما أنا

---

(١) رواه البخاري ومسلم . انظر صحيح البخاري . باب مناقب المهاجرين وفضلهم وباب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة .

(٢) سورة التوبة : ٤٠ .

(٣) يعني أن من يجيء بأحدهما حياً أو ميتاً تمنحه قريش مائة من الابل جائزة له .

جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبلَ رجلٌ منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : انهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليَّ ، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت . . حتى أتيتُ فرسي فرفعتها تُقرِّب بي (١) حتى دنوت منهم ، فعثرت بي فرسي فخررت عنها ، فقمت فركبت فرسي . . حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساختْ يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين . فخررت عنها . . فناديتهم بالأمان . فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أنه سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم . وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني (٢) ولم يسألاني إلا أن قال : أخفِ عنـــا . فسألتُهُ أن يكتب لي كتابَ أمن ، فأمر عامر بنَ فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله ﷺ) (٣) .

٢) حمايته من الشدائد المهلكة في الغزوات :

لنرقبْ محمـــداً ﷺ يجتاز مع المؤمنين مسافات شاسعة ليلتقوا عدوهم (عن جابر رضي الله عنه قال : كنا إذا أتينا في سفر على شجرة

---

(١) قرب الفرس : عدا عدواً دون الاسراع . (٢) يرزآني : ينقصاني .

(٣) رواه البخاري في صحيحه : باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة . وللحديث عنده روايات أخر منها عن البراء بن عازب وانس بن مالك رضي الله عنهما .

ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ . فلما كنا بذات **الرقاع** ، نزل نبي الله تحتَ شجرةٍ وعلَّق سيفَهُ فيها . فجاء رجلٌ من المشركين فأخذ السيف **فاخترطه** وقال للنبي ﷺ : أتخافني ؟ قال : لا قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ، ضع السيفَ ، فوضعه) (١) .

فالرجل غَوْرث بن الحارث قد تفرد برسول الله ﷺ وهو أعزل من السلاح وأصحابه في غفلة عنه . وهو يعلم ما في قتله من حسن الوقع في أنفس قومه المشركين ، فأمسكَ على الرغم من ذلك . فقد شاهد عظيم ثباته وعرف أنه حيل بينه وبينه . فتحقق له صدقه ، وعلم أنه لا يصل اليه فألقى السلاح وأمكن من نفسه . فعفا عنه رسول الله ﷺ . ووقع في رواية ابن اسحاق أنه أسلم بعد . وفي رواية الواقدي أنه أسلم ورجع إلى قومه ، فاهتدى به خلق كثير (٢) .

وللحديث رواية أخرى جاء فيها (فقال رسول الله ﷺ : الله يمنعني منك ؛ ضع السيف ، فوضعه ، فأنزل الله عز وجل (والله يعصمك من الناس) (٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) . قالت : فأخرج النبي

---

(١) اخترط السيف : استله . يمنعك مني : يحميك ويحفظك مني . وهذا الحديث قد رواه البخاري ومسلم وابن حبان . وقد روى البخاري ان الرجل هو غورث بن الحارث . انظر : كتاب المغازي من صحيح البخاري باب غزوة ذات الرقاع .

(٢) فتح الباري جـ ٧ ص ٣٠٢ .

(٣) رواه ابن مردويه وابن حبان في صحيحه . انظر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٧٩ .

ﷺ رأسه من القبـــة وقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله عز وجل) [١] .

حصلت تلك الحادثة في غزوة ذات الرقاع سنة أربع من الهجرة . وأصح الأقوال في سبب تسميتها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري . قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه . فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا [٢] . وهي الغزوة التي شرع الله فيهـــا لعباده صلاة الخوف [٣] ويبعث هذا فيك يقيناً راسخاً ان الرسول ﷺ كان محاطاً بحماية الهية خاصة . وهذا ما يفيده نص الآية النازلة في تلك المناسبة (يا أيها الرسول بلّغْ ما أنزلَ اليك من ربك وإنْ لم تفعلْ فمـــا بلغتَ رسالته والله يعصمكَ من الناس . إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين) [٤] .

هذه كفالة لا يملكها بشر وحماية خاصة يعجز عن تحصيلها أصحاب الشوكة والغلبة والسلطان . ذلك أنها حماية إلهية مضمونة التحقق (والله يعصمك من الناس) . ولا تنسَ أن كثيراً من رؤساء ووزراء الدول

---

(١) رواه ابن أبي حاتم والترمذي وقال : هذا حديث غريب . وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه من طريق مسلم بن ابراهيم . ثم قال الحاكم: صحيح الاسناد ولم يخرجاه . انظر ابن كثير جـ ٢ ص ٧٨ .

(٢) انظر الروض الانف للسهيلي جـ ٢ ص ١٨١ ــ ١٨٢ وسيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢١٤ ــ ٢١٥ .

(٣) انظر فتح الباري جـ ٧ ص ٢٩٥ واقرأ الاية ١٠٢ النساء .

(٤) سورة المائدة : ٦٧ .

الكبرى والصغرى ممن احتموا بالشوكة والسلاح ، وأتقن خطط تنقلاتهم رجال الأمن والمباحث والمخابرات ، واتخذوا كل أسباب الحيطة والحذر ، وضربوا حولهم أطواقاً وحصوناً من أمنع أشكال الحماية الممكنة ، تخطف أرواحَهم يدُ الاغتيالِ على حين تنبه ويقظة من الجمع كله ، ومن حيث احتسبوا وأخذوا بالحيطة والحذر والتأهب !! (١) .

فمن يجرؤ أن يزعم لنفسه مثل تلك الحماية التي لا تتخلف .. !؟؟

ولا يغيبُ عن بالكَ ما حَظِيَ به الرسولُ ﷺ من حماية الله في أُحد وحُنين وغيرهما من الهلاكِ ، على الرغم مما أحاطَ به من شدائد فقد داهم رجال هوازن المشركون جيشَ المسلمين في غلس الصبح عند وادي حنين ، وفزع المسلمون وارتدوا على أعقابهم مدبرين ؛ على الرغم من تفوقهم على العدو كثرة وعتاداً . وثبت رسول الله ﷺ في قلة قليلة دون المائة من أصحابه وجعل رسول الله يُركض بغلته نحو العدو وقد أمسكَ العباسُ بركابها خشية أن تسرع . ولما بدأ المسلمون يعودون تلبية لنداء العباس وجدوا رسول الله يقول : (إليَّ عبادَ اللهِ إليَّ أنا رسول الله) وكان يصولُ ويجول ويقارع الفرسان وهو ينادي فيهم (أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب) وقد خلد الله ثبات رسوله ونجاته في كتابه العزيز (٢) .

---

(١) شواهد هذا كثيرة في الحاضر والغابر .

(٢) انظر سورة التوبة : ٢٥ ـ ٢٦ ، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٣ وراجع سيرة ابن هشام . وانظر ما كتبناه عن شجاعته في الفصل الثالث من الباب الاول ص ١٢٤ ـ ١٢٨ .

فأنت ترى أن الأدلة تترى متظاهرة لهداية من لم تخالط بشاشة الايمان قلوبهم بعد ، ومتعاضدة لتمكين المؤمنين وزيادتهم إيماناً على إيمانهم باظهار حمـــاية الله لرسوله من الشدائد المهلكة في الغزوات وحفظه من أسنة غادر المؤامرات .

٣ ـ حمايته من مؤامرات الغدر :

ومن الأدلة القوية على حماية الله رسوله خاصة ، ماثبت في البخاري وغيره ، أن امرأة قدَّمت له بخيبر شاةً مسمومة ، فتناول منها لقمة فمضغها فلم يسغها ، ونهى أصحابَه عنها وأعلمهم أنها مسمومة . لكن بشر بن البراء كان قد مضغ لقمة فأساغها فأودت بحياته [1] .

هذه الحماية الالهية الدائمة الظاهرة لهي أبلغ علامة على أن الله رعاه وحماه لمكانته العظيمة عنده ، وليؤديَ المهمة الجليلة التي أوكلها الله اليه ـ مما يثبت صدقه في نبوته . لقد عصم الله رسوله من العدوان والقتل فأمتع به الأمة ، ونسأ في عمره حتى بلّغ الرسالةَ وأدى الامانة وجاهد في الله حق جهاده . **فقد أنجز الله له وعده الذي وعـد (والله يعصمك من الناس) فأقام لذوي البصائر دليلاً آخر على نبوته بتحقق إخبـاره عن ضمان سلامته . ومن أصدقُ من الله حديثاً .. !!**

---

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٣٤٨ . وانظر في صحيح البخاري : أواخر كتاب الجزية وكتاب المغازي ـ باب الشاة التي سمت للنبي صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثالث

مجيء محمد ﷺ على السنن الإلهية في بعثة الرسل

- أصول رسالته ﷺ كرسالاتٍ سابقيه .
- نبوة محمد ﷺ مصدقة للأنبياء السابقين .

بعث الله محمداً ﷺ على السنن الالهية التي بعث عليها أسلافه من الرسل . وقـــد بشر الله به على لسان سابقيه من المرسلين . وسيأتيك تفصيل ذلك . وأنزل عليه رسالة هي في أصولها كرسالات سابقيه من الرسل عليهم الصلاة والسلام . وأيده بالمعجزات وبعثه مصدقاً لهم داعياً للايمان بجميعهم . وكل من هاتيك الاوصاف يقيم الدليل العقلي الملزم على نبوة محمد ﷺ .

أصول رسالته ﷺ كرسالات سابقيه

لم تكن دعوة الرسول ﷺ فذة في جنسها فريدة في نوعها وجملة محتواها . فهي دعوة للايمان بالله وحده وعبادته وطاعته ونبذ تأليه غيره أو عبادة سواه . وعلى هـــذه الدعوة تتابع الرسل قبله يبلغون رسالة الله التي أوحى اليهم ، ويستدلون عليها بالمعجزات الباهرات ، التي حباهم الله بها تصديقاً لدعوتهم . وإنما كان ارسال محمد ﷺ إلى العرب وغيرهم كارسالِ سائرِ مَنْ قبلَهُ من الرسل إلى أقوامهم لدى ضلالهم واحتياجهم إلى رحمة الله وهدايته . ومن أقرب ما عرف العرب وسمعوا من مجاوريهم اليهود بعثة موسى إلى فرعون وملائه وإلى قومه بني إسرائيل . قال تعالى : (إنا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعونَ رسولاً . فعصى فرعونُ الرسولَ فأخذناه أخذاً وبيلاً) [١] .

فليستْ بعثةُ محمد ﷺ حادثةً فريدة أو شاذة . فقد آمن قبل العرب أقوام برسلهم واتبعوهم ، فأبدَلَهم الله بالذل عزاً وبالظلام نوراً ، فما على العرب وسائر الأمم إلا أن يتأسوا بشأن هذا الرسول بمن قبلهم

(١) سورة المزمل : ١٥ ــ ١٦ .

من أقوام الايمان . قال تعالى : (قلْ ما كنتُ بِدْعاً من الرسلِ وما أدري ما يُفْعَلُ بي ولا بكم إنْ اتبعُ إلا ما يوحى إليَّ وما أنا إلا نذيرٌ مبين . قلْ أرأيتم إنْ كانَ من عند اللهِ وكفرتم به وشهدَ شاهدٌ من بني إسرائيلَ على مثلِهِ فآمنَ واستكبرتم إنَّ اللهَ لا يهدي القومَ الظالمين) (١) .

والابداع : انشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ، ويطلق البديع على المبدع بمعنى الفاعل والمفعول . وكذلك البدْع يقال لهما جميعاً . ومعنى قوله (ما كنت بدْعاً من الرسل) لست مبدَعاً - على المفعولية ، ينفي تفرده بتلقي رسالة الله فهو يثبت تتابع الرسل قبله ، والأظهر أن المراد : لست مُبدِعاً فيما أقوله - أي على الفاعلية - بمعنى لم آتِ بشيءٍ ابتدعتُهُ من عندي لمخالفتهم فيه . وانما جئتُ بما جاءوا به من الدعوة إلى توحيد الله والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . **وقد بين بذلك أن جنس الرسل معروف ، وقد تقدم له نظراء وأمثال . فهو معتاد في الآدميين وان كان قليلاً فيهم . وقد جاء محمد بجنس ما جاءوا به ، واستدل على صدقه فيه بأعظم مما استدلوا به من دلائل ومعجزات فهو أحق بالتسليم له بالنبوة من غيره .** وإذا لم يكنْ للعربِ سابق عهد بالنبوة من زمن إسماعيل عليه السلام ، فهاهم أولاء بنو إسرائيل وهم الواقفون على شئون هداية الله تعالى وأسرار الوحي ، قد شهد منهم شاهد عظيم الشأن بالصدق على مثل القرآن الكريم . والمرادُ بالمثلِ تلك المعاني المنطوية في التوراة من التوحيد والوعد والوعيد ، وأن الله بعثَ بشراً وأنزل كتباً وما إلى ذلك . وهي - في الحقيقة - عين ما في القرآن ، لكنْ أُطلقت

---

(١) سورة الاحقاف : ٩ - ١٠ .

المماثلةُ عليها باعتبار تأديتها بعبارات أخرى لا أعجازَ فيهـا ، كما يُعربُ عنه قوله تعالى : (وإنه لَفي زُبُرِ الأولين)(١) وليسَ المقصودُ بالشاهدِ واحداً معيناً ـ كقول من قال : انه عبد الله بن سلام ، فانه ليس بشيء لأن الآية مكية وعبد الله بن سلام من أحبار اليهود أسلم بالمدينة المنورة ـ لكن المقصودَ جنسُ الشاهدِ الذي يجب تصديقه ، سواء أكان واحداً اقترن خبره بمـا يدل قطعاً على صدقه أم كان عدداً يحصل بخبرهم العلم اليقيني (٢) .

وزبدةُ القولِ : إن بني إسرائيل قد آمنوا جميعاً بنبوة موسى وبما أنزل الله عليه . فكان في إيمانهم شهادة عظيمة على صحة جنس الدعوة التي بعث بها محمد ﷺ ، وبالتالي على صحة دعواه خاصة ؛ فانها أحد أفراد الجنس الذي شهدوا بصدقه ، ﷺ .

نبوة محمد ﷺ مصدقة للانبياء السابقين

إن جميـعَ رسالات الله ذات أصولٍ واحدة في العقائد والمواعظ والأخلاق . فلستَ ـ بحمد الله ـ واجداً فيها شيئاً من التناقض أو التنافي ، فهي قاطبة تدعو إلى الايمان بالله وحده والايمان بملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وتحض على فعل الخــير وتنهى عن الشر ، وترغب في محامد الأخــلاق وتنفر عن المذموم منها ، وتأمر بالاستسلام لأمر الله وشرعه في جميع الحركات والسكنات (ان الدين عند الله الاسلامُ)(٣) فالدين بهذا المعنى واحد ، لم يتبدل ولم يتغير من عهد آم إلى بعثة محمد ﷺ .

---

(١) سورة الشعراء : ١٩٦ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨ ـ ٣٩ وروح المعاني ج ٢٦ ص ٨ ـ ١١ والنبوات ص ١٥ ـ ١٩ .

(٣) سورة آل عمران : ١٩ .

فالقرآنُ المجيدُ قد احتوى على تلكَ الأسس جميعها ، فجاء مصدقاً للانبياء قبله ولِما نزل عليهم من كتب الله تعالى . كما تضمن إضافة إلى ذلك من التفاصيلِ التشريعية وجزئياتِ الأحكام والسعة في المواعظ ما يناسبُ زمنَ بعثةِ محمد ﷺ وكون رسالته خاتمة رسالات الله تعالى وأنها عامة للناس جميعاً في كل زمان ومكان . **واشتمال القرآن على ذلك دليل يُلزم أهل الكتاب بالايمان به والتسليم بنبوة صاحبه عليه الصلاة والسلام . فان التوراة قد بشرتهم بخاتم الرسل الذى يأتيهم من الله بشرع (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ويضعُ عنهم إصْرهم والأغلال التي كانت عليهم)** [١] . **والقول بأن التوراة قد سردت أوصاف القرآن الكريم على هذا النحو المميز لا يتأتى من رأي محمد ﷺ ؛ إنما هو بوحي من الله العزيز العليم الذي أنزل التوراة من قبل . وتلك أوصاف مميزة للكتاب الكريم إضافة إلى اتصافه بالهداية للحق في أصول الدين .**

ووجّه تعالى إلى اليهود خطاباً يُلزمهم بالايمان برسالة محمد ﷺ وبالتصديق بالقرآن العظيم ، فقال : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتيَ التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أُوفِ بعهدكم وإيايَ فارهبون . وآمنوا بما أنزلتُ مصدِّقاً لما معكم ولا تكونوا أولَ كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإيايَ فاتقون) [٢] .

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ . وتبشير الكتب السماوية ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم في الفصل الآتي .

(٢) سورة البقرة : ٤٠-٤١ .وانظر تفسيرها في الكشاف للزمخشري -وأنوار التنزيل للبيضاوي .

فذكّر سبحانه وتعالى اليهود بكافة نعمه التي أسبغ عليهم العامة منها والخاصة ، ليحملهم على طاعته وشكره والايمان برسالة رسوله محمد ﷺ والعمل بشريعته ؛ وفاء للعهد الذي أخذه الله عليهم . وقد وعدهم الله على ذلك حسن الثواب ثم خوفهم ذاته العليـــة ، أن ارهبون في جميع ما تأتون وتذرون . يعني فاحفظوا هـذا العهد ، وارهبون أيضاً في نقضه ، فآمنوا بالقرآن العظيم الذي أنزلته مصدقاً للتوراة التي بين أيديكم. فأنتم تكررون مراجعتها والوقوف على ما في تضاعيفها ، ممـا أفادكم علماً محققاً بتصديق القرآن لها . ويتمثل هذا التصديق في أن الله تعالى أنزله حسبما نعته فيها من قبل ؛ ومطابقاً لهـا في أصل الدين وقواعد التوحيد وأخبار الامم والمواعظ والحكم ـ كما أسلفنا ـ **فصدق نبوءة التوراة انما يتحقق في القرآن . وهذا دليل أنه تنزيل الحكيم الحميد .**

ومن لطائف التعبير أن الله جعل القرآن مصدِّقاً للتوراة وليس مصدَّقاً بها . وعندي ان في هذا إشعاراً بليغاً بأنه كتاب الله حتماً ، وأنه اشتمل على الاخبار عنها . فهي بحاجة لتصديقه إياها ،وهو بالتالي مستغن عن تصديق الغير له ، فدليل صدقه ذاتيٌ قائم فيه ، وهذا تذكير باعجازه .

وكان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبلَ مبعثه . يعني أنهم يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين. فلما بُعث اليهم ـ على ما عرفوا من أصافـــه عندهم ـ وخاطبهم بالكتاب المصدق لتوراتهم اقترفوا أشنعَ الجرائم فكفروا به عن عـــلم بصدقه . قال تعالى : (ولمـا جاءهم كتابٌ من عندِ اللهِ مصدقٌ لِما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحونَ على الذين كفروا فلمـا جاءهم ما عرفوا كفروا به

فلعنةُ الله على الكافرين) (١) .

وما دام القرآن موافقاً للتوراة ونبيه موصوفاً فيها فقد وجب عليهم الايمان به وبكتابه . فان كفروا بعد هذا بالقرآن فقد كفروا بالحق الصراح الذي جاءت التوراة به وهم بالتالي كفرة بالتوراة نفسها . وليس ذلك بعجيب من أخلافِ قتلَ أسلافهم أنبياء الله تعالى ضاربين بالتوراة بل بجميع شرائع الله عرض الحائط . قال تعالى : (وإذا قيلَ لهم آمنوا بما أنزلَ اللهُ قالوا نؤمنُ بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه ، وهو الحقُّ مصدقاً لِما معهم ، قلْ فلِمَ تقتلون أنبياءَ اللهِ من قبلُ إنْ كنتمْ مؤمنينَ ولقدْ جاءَكم موسى بالبيناتِ ثم اتخذتُمُ العجلَ من بعدِهِ وأنتم ظالمون) (٢) .

فالقرآنُ الموافق للتوراة مصدقٌ لها . ومحمدٌ الذي جاء على الوصف المبَشَّر به (٣) ودعا بهذا القرآن هو رسول الله المصدق للتوراة أيضاً . فجحود نبوته كفر بالتوراة نفسها ومروق عن ديانة موسى وعيسى . **فتصديق الرسول للتوراة والانجيل ، وانطباق أوصافه على ما فيها من بشارات ، هو دليل مفحم يلزم أهل الكتابين بالايمان به احترازاً من انزلاقهم إلى الكفر بديانتيهم ومن نبذ التوراة نفسها .** قال تعالى : (ولما جاءهم رسولٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم ، نبذَ فريقٌ من الذين أُوتوا الكتاب كتابَ الله وراءَ ظهورهم كأنهم لا يعلمون) (٤) .

---

(١) سورة البقرة : ٨٩ ، وانظر سورة الاحقاف : ١٢ ، وسورة المائدة: ١٥ و يونس : ٩٤ وهود : ١٧ .

(٢) سورة البقرة : ٩١ ـ ٩٢ .

(٣) سنتحدث عن البشارة به في الفصل التالي .

(٤) سورة البقرة : ١٠١ وانظر روح المعاني ج ١ ص ٢٢٣ و٢٨٩ و٢٩٢ و٣٠٣ .

وفهم بعضهم أنّ قوله تعالى : (مصدقاً لما معكم) و (مصدقاً لما معهم) شاملٌ لكل من التوراة والانجيل . إذ الانجيل مما كُلف به بنو إسرائيل ، وعليه فان القرآن مصدقٌ لهما . على أن آيات أخرى جاءت ظاهرةَ العموم بتصديق القرآن كتب الله جميعاً . قال تعالى : (مَنْ كانَ عدواً لجبريل فانه نزّله على قلبك باذنِ الله مصدقاً لما بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين) (١) .

وقال : (وأنزلنا اليك الكتابَ بالحق مصدقاً لما بين يديه منَ الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله) (٢) .

وقال : (وما كانَ هذا القرآنُ أن يُفترى من دون اللهِ ولكنْ تصديقَ الذي بينَ يديه وتفصيلَ الكتاب لا ريبَ فيه من رب العالمين) (٣) .

وقال : (والذي أوحينا اليكَ من الكتابِ هو الحقُ مصدقاً لما بين يديه إن اللهَ بعبادِه لخبير بصير) (٤) .

وقال : (انّ هذا لَفي الصحفِ الأُولى صحفِ إبراهيمَ وموسى) (٥) .

---

(١) سورة البقرة : ٩٧ .

(٢) سورة المائدة : ٤٧ وانظر الأحقاف : ٣٠ .

(٣) سورة يونس : ٣٧ .

(٤) سورة فاطر : ٣١ .

(٥) سورة الأعلى : ١٩ .

فمحمدٌ ﷺ قد جاءَ الناسَ بالحق الواضح المستقر في جميع كتبِ الله المنزلة ، ودعا الناس إلى رسالة الله المصدقة لدعوات إخوانه المرسلين ؛ لا تحيدُ عن مسارها الرباني قيد أُنملةٍ . فكان ذلكَ من عظيم الدلائل على نبوته وإلهية رسالته . قال تعالى : (بل جاء بالحق وصدّق المرسلين) [1] .

---

(١) سورة الصافات : ٣٧ .

الفصل الرابع

تبشير الكتب السماوية ببعثة محمد ﷺ

أولاً - بشارة الكتب السماوية في القرآن .

ثانياً - بشارة الكتب المعتمدة لدى أهل الكتاب :

(١) شواهد حق تعين على فهم بشارات الكتاب المقدس .

(٢) بشائر الكتاب المقدس ببعثة محمد ﷺ .

ثالثاً - بشارات كتابية لا يعتبرها النصارى :

- نسخة انجيل برنابا .
- شخصية كاتب الانجيل .
- بشارات هذا الانجيل .

بعث رسول الله ﷺ في ظرف عالمي حالك ، حين بلغت الانسانية طور الرشد وهي ممرغة بأوحال جاهلية . قد تناهت حاجتها لمنقذ يجلو عنها ما علق بها ويدفعها قوية فتية في درب النور . فلم يكن مبعثه عليه الصلاة والسلام عجباً إلا للجهلة الذين ران على عقولهم من الوثنية صدأ كثيف ، والذين أحاطت بقلوبهم آفات دنيئة منعت تسرب النور اليها فصارت قلوبهم غلفاً لا تقبل ما يدعوهم الرسول إليه .

أما الذين عندهم أثارة من علم الكتب الاولى ، فكانوا ينتظرون بعثته استناداً إلى تبشير كتبهم المقدسة به . ونسوق اليك فيما يلي ما وقفنا عليه في التبشير بسيدنا محمد ﷺ :

أولاً - بشارة الكتب السماوية في القرآن :

بعد أن أنجى الله بني إسرائيل من بطش فرعون دعا رسوله موسى لمناجاته ... لكن السامري ابتدع في غيبة موسى عجلاً من الذهب ... ففتن به بنو إسرائيل وعبدوه إلهاً من دون الله عز وجل ! ! ولما رجع موسى اليهم شعروا بانزلاقهم إلى هوة الوثنية وعرفوا فداحة زلتهم إلى سحيق الضلال ، فندموا واستغفروا (١) . واختار موسى من أعلام قومه سبعين رجلاً ، وانطلق بهم إلى الطور تنفيذاً لأمر الله ، ليقوموا هناك تائبين معتذرين إلى ربهم تبارك وتعالى من عبادتهم العجل . فزلزل الله بهم الأرض ، ولما رأى موسى تلك الرجفة توسل إلى ربه أن يحفظهم ، فانه لو شاء إهلاكهم لأهلكهم من قبل بذنوبهم السالفات . حكى الله موقفهم

---

(١) انظر سورة الاعرف : ١٤٢ ــ ١٤٥ وتفسيرها في فتح القدير ــ للشوكاني ج ٢ ص ٢٤٢ ــ ٢٥٠ .

في القرآن الحكيم فقال :

(واختار موسى قومَه سبعين رجلاً لميقاتِنا فلما أخذتْهمُ الرجفةُ قال ربِّ لو شئتَ أهلكتَهم من قبلُ وإيايَ . أتُهلِكُنا بما فعلَ السفهاءُ منا ! ؟ إنْ هي إلا فتنتك تُضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ، أنتَ وليُّنا فاغفرْ لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الغافرين . واكتبْ لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ إنا هُدْنا إليكَ ..)[1] .

فلما غمرت موسى عليه السلام موجاتُ الاضطراب وداخَلَه القلق الشديد على قومه ؛ أشفق عليهم من سطوة غضب الله ، وتوجه إليه بذاك الدعاء راجياً لهم غفراناً سابغاً ورحمة مدراراً وتوفيقاً للخيرات والمبرات والحياة الطيبة السعيدة . فسكَّن الله جل شأنه رَوْعَ رسوله موسى ، وأجابه بأسلوب عجيب وطريق بديع :

(قال : عذابي أُصيبُ به مَنْ أشاءُ ورحمتي وسعت كل شيء)[2]

اطمئن يا موسى ! فان عذابي ليس خاصاً بقومك ولا متعيناً عليهم أوْ ملازماً لهم إنما يصيب به ربك من شاء من المذنبين . أما رحمتي فانها عامة شاملة اتسعت لكل مؤمن وكافر ؛ وبارّ وفاجر ؛ وإنسان وحيوان ونبات ، وإن قومك قد ندموا على ما فرطوا وتابوا ، فصاروا جديرين برحمتي التي وسعت كل شيء . طِبْ يا موسى نفساً وقرَّ عيناً ، فقد استجاب الله لك ولقومك فشملهم برحمته ، وسيشمل بهذه الرحمة العريضة الضافية أناساً بعدهم يهتدون بنور الله ويتصفون بما يرضى الله من صفات الطاعة والكمال .

(١و٢) سورة الاعراف: ١٥٥ ــ ١٥٦ . و«هدنا إليك» : رجعنا إليك وتبنا من تلك المعاصي التي جئنا للاعتذار منها .

(فسأكتبُها للذين يتقونَ ويُؤتون الزكاةَ والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيلِ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلُّ لهم الطيباتِ ويُحرمُ عليهم الخبائثَ ويضعُ عنهم إصْرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزَّروهُ ونصروه واتبعوا النورَ الذي أُنزلَ معه أولئك هم المفلحون . قلْ يا أيها الناس اني رسولُ الله اليكم جميعاً الذي له ملكُ السمواتِ والأرضِ لا إله إلا هو يحيي ويميتُ ، فآمنوا باللهِ ورسولهِ النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبِّعوه لعلكم تهتدون) [1] .

لفت الله اهتمام بني إسرائيل إلى الذين سيؤمنون برسوله الأمي ، وأشاد بصفاتهم استنهاضاً لهمم بني إسرائيل إلى التحلي بها ؛ وتعريفاً لهم بقوم الرسول ﷺ . وبشَّرهم ببعثة هذا الرسول الأمي الذي نصَّ تعالى في التوراة والانجيل على جملة هامة من صفاته المميزة ، فانه يرسله الله هادياً إلى الخير ناهياً عن الشر ، يزيل بشرع الله الشدة والحرج عن بني إسرائيل فيُحل لهم طيبات كانت محرمة في شرعهم كأكل الشحم . . ويُحرم عليهم خبائث كانت مباحة لهم كالدم .. ويخفف عنهم ما أُمروا به من تكاليف شاقة مضنية ؛ كقطع موضع النجاسة من الثوب وتحريم السبت . . . وحضَّهم تبارك وتعالى على الايمان بخاتم المرسلين وتعظيمه ومناصرته والتمسك بالنور القرآني المنزل عليه ليكونوا من المفلحين المهتدين [2] .

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٦ ـ ١٥٨ .

(٢) راجع ص ٦٥ ـ ٦٦ و ص ٢٥٩ - ٢٦٠ وانظر روح المعاني : ٦٧ ـ ٧٢ .

وتحدث بعض اليهود عن ظهور رسـول الله ﷺ قبل بعثته ، واستنصروا به ، وتوعدوا الأوس والخزرج بمصير عاد وارم ، حين يأتي الرسول وينضم اليه اليهود لمعرفتهم بصفته من كتبهم . فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفر معظمهم به حسداً وحقداً . فأنزل الله عز وجل فيهم : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسَهم أن يكفروا بما أنزل اللهُ بغياً أن يُنزل الله من فضله على مَنْ يشاء من عباده فباؤا بغضبٍ على غضبٍ وللكافرين عذابٌ مهين) (١) .

روى محمد بن إسحاق عن قتادة الأنصاري عن أشياخ من الانصار أنهم قالوا : كنا قد علوناهم (٢) قهراً دهراً في الجاهلية ، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ، **وهم يقولون : إن نبياً سيبعث الآن نتبعه ، قد أطل زمانه فنقتلكم قتل عاد وإرم** ، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به . يقول الله تعالى : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين) .

وروى ابن اسحاق أيضاً عن ابن عباس : أن يهودَ كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه . فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل

(١) سورة البقرة : ٨٩ ـ ٩٠ « يستفتحون » يطلبون من الله النصر على المشركين بالنبي الذي سيبعثه في جزيرة العرب . « بغياً » حسداً ، وأصل البغي الظلم ، وأطلق على الحسد ، لان الحاسد يظلم المحسود إذ يتمنى زوال النعمة عنه وتحولها اليه .

(٢) أي انتصرنا على اليهود .

وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة : يا معشرَ يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته . فقال : سلام بن مِشكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي نذكر لكم . فأنزل الله في ذلك من قولهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم . .) الآية .

وقال أبو العالية : كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب ، يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم . **فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ . فقال الله تعالى : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .**

ولما كان سببُ كفرهم البغيَ وتطلب النبوة لأنفسهم لتكبرهم وحسدهم العرب قوبلوا بالاهانة والصغار في الدنيا والآخرة (فباءوا بغضبٍ على غضب وللكافرين عذاب مهين) (١) .

وقد نافق بعض اليهود وأظهروا الاسلامَ وجهروا بما في كتبهم من أوصاف سيدنا رسول الله ﷺ . فلامهم اخوانهم على هـذا التصريـح . قال تعالى يُظهر ما كتموه ويفضح ما اجترحوه : (أفتطمعونَ أنْ يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعونَ كَلامَ اللهِ ثم يُحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتحَ اللهُ عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفـلا تعقلون ؟ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يُسرون وما يعلنون) (٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة : ٧٥ ـ ٧٧ .

قال قتادة : هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه . وهذا التحريف والكتمان حصل من علمائهم كما صرح مجاهد . وقال أبو العالية : عمدوا الى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرفوه عن مواضعه قال السدى (وهم يعلمون) : أنهم أذنبوا .

وقال أبو العالية : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني بما أنزل عليكم في كتابكم من نعت محمد ﷺ . وهكذا حرفوا كلام الله وكتموا صفات نبيه عندهم . وقد تناسوا أن الله مطلع على سرائرهم عالم بنجواهم ، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء (١) .

لقد بلغوا في معرفة نبوة محمد ﷺ شأواً بعيداً حتى صار ذلك عندهم علما قطعيا لا ريب فيه كمعرفة أحدهم بولده ، غير أنهم كتموا ذلك بغياً وحسدا . قال تعالى (الذين آتيناهم الكتابَ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) (٢) وقال (الذين آتيناهم الكتابَ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم لَيكتمون الحقَ وهم يعلمون) (٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١١٥ ــ ١١٦ .

(٢) سورة الانعام : ٢٠ .

(٣) سورة البقرة : ١٤٥ . روى البخاري في كتاب بدء الخلق ــ باب قول الله تعالى : يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ــ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم . فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال : عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم . فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال له عبدالله بن سلام : ارفع يدك . فرفع يده فاذا فيها آية الرجم . فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم . فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما ، قال عبدالله : فرأيت الرجل يجنأ « يميل » على المرأة يقيها الحجارة .

وقال (والذين آتيناهمُ الكتاب يعلمون أنه مُنْزل من ربك بالحق فلا تكونَنَّ من الممترين) (١) .

وقد عاين الذين اطلعوا على الكتب المقدسة أوصاف رسول الله ﷺ ، ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص وكان حافظا للتوراة ، أما زيد بن سعنة وعبدالله بن سلام ؛ وهما يهوديان ؛ فوجدا صفته توافق مَنْ بشرت به التوراة ، فأعلنا الايمانَ به والتسليم بدعوته .

روى البخاري رضي الله عنه عن عطاء به يسار قال : لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قلتُ : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجلْ والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الاسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينا عميا وآذاناً صماً وقلوبا غلفا) (٢) .

---

(١) سورة الانعام : ١١٤ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع – باب كراهية السخب في السوق . وكتاب التفسير – باب إنا أرسلناك . . . ومعنى « شاهداً » : شاهداً على الأمة الاسلامية وللرسل السابقين بتبليغ رسالات ربهم . و « مبشراً » للمطيعين بالجنة . و « نذيراً » . محذراً للعصاة من النار . « حرزاً للأميين » : حصناً للعرب . وأصل الحرز : الموضع الحصين . « سميتك المتوكل » : المتوكل على الله ، لقناعته صلى الله عليه وسلم باليسير وصبره على الشدائد والمكارة في سبيل الله . « ليس بفظ ولا غليظ » والفظ : شرس الاخلاق ، والغليظ : القاسي . « ولا سخاب » : فيها لغتان بالسين والصاد ؛ =

وهذا أيضاً دليل واضح على أن اليهودَ وضعوا على التوراة يد الكتمان والتحريف ، لئلا تُنقل منها دلائل نبوة محمد ﷺ كما بشر به موسى عليه السلام .

وهذا زيد بن سعنة يؤمن بمحمد ﷺ لما وجد دلائل نبوته التي وصف بها في التوراة قائمة فيه . فقد جاء زيد وهو على اليهودية يتقاضى الرسول ديناً عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له . ثم قال : إنكم يابني عبد المطلب مُطل[١] . فانتهره عمر وشدد له في القول . والنبي ﷺ يبتسم . فقال رسول الله ﷺ : « أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج ياعمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي . ثم قال : لقد بقي من أجَله[٢] ثلاث . وأمر عمر أن يقضيه ويزيده عشرين صاعاً لما روّعه ، فكان سببَ اسلامه . ذلك أنه كان يقول[٣] : ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما ، يسبق حلمهُ جهلَه ، ولا تزيده شدة الجهلِ من أحدٍ إلا حلماً » [٤] .

وهكذا تحقق زيد بنفسه من توافرِ علامات النبوة المنصوص عليها في التوراة لخاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام .

= وبالصاد أشهر ، والصخب : رفع الصوت بالخصام . « حتى يقيم به الملة العوجاء » ، والملة العوجاء : ملة الكفر ، يعني حتى يدحض الكفر ويثبت التوحيد . « يفتح بها » بكلمة التوحيد . « قلوباً غلفاً » والغلف : كل شيء في غلاف ، والمراد أنها مقفلة لا تتقبل الحق . انظر فتح الباري ج ٤ ص ٢٣٦ و ج ٨ ص ٤١٤ . وراجع في هذا الكتاب ص ١١٤ وما بعدها .

(١) المطل : الذي يؤجل موعد وفاء دين عليه مرةً بعد أخرى .

(٢) أجله : موعد استيفاء دينه من النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) روى ذلك عنه عبد الله بن سلام .

(٤) رواه البيهقي معضلاً ووصله ابن حبان والطبراني وأبو نعيم بسند صحيح . انظر شرح الشفاء ج ١ ص ٢٤٤ .

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال : « ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لاحد يمشي على وجه الارض ، أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه » قال : وفيه نزلت (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) (١) .

غير أن غالبية أحبار اليهود قد كتموا صفات الرسول الموفورة في في التوراة ، فضلوا وأضلوا أتباعهم حسداً من عند أنفسهم وطمعاً في بقاء الزعامة فيهم ، لكن من رجح عقله منهم آمن واحتمل من قومه في سبيل ايمانه ما احتمل . **فقد روى البخاري** حديث اسلام عبدالله بن سلام استناداً الى ما في كتبهم من علامات تثبت نبوته فجاء في الحديث أن عبدالله بن سلام قال : (يا رسول الله إن اليهود قوم بُهْتٌ . فان علموا باسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك . فجاءت اليهودُ ودخل عبد الله البيت . فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : أعلمُنا ، وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا . فقال رسول الله ﷺ : أفرأيتم إنْ أسلم عبدالله ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك قال فخرج عبدالله اليهم . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . فقالوا : شرنا وابن شرنا ، ووقعوا فيه) (٢) .

ودأبَ كل رسول على تصديق سلفه والتبشير بمن بعده . أما تصديق

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي . والآية بتمامها قوله تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) سورة الأحقاف : ١٠ انظر صحيح البخاري ـ مناقب الانصار ـ باب مناقب عبد الله بن سلام . وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥٤ وانظر تفسير الآية في الفصل السابق ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٢) (البهت) بضم الباء : الكذب والافتراء . وقوم بهت : جمع بهوت ؛ من بناء المبالغة في البهت . انظر النهاية لابن الاثير وجامع الاصول ج ١٢ ص ٩٧ـ٩٨.

رسولنا بمن قبله فأمر عرضناه منذ حين . وقد بشر موسى وعيسى عليهما السلام بخاتم الرسل محمد ﷺ . وقد ذكرنا الآيات والأحاديث المتصلة ببشارة التوراة . فقد وجد أهل الكتابين صفة رسولنا مكتوبة عندهم في التوراة وفي الانجيل أيضا[1] وقد حكى القرآن الكريم تبشير عيسى بمحمد ﷺ في موطن آخر ، قال تعالى :

(وإذ قال عيسى ابن مريم : يابني اسرائيل إني رسولُ الله اليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراةِ ومُبشراً برسولٍ يأتي مِنْ بعدي اسمـه أحمدُ . فلما جاءَهم بالبيِّناتِ قالوا هذا سحرٌ مبين . ومن أظلمُ ممن افترى على اللهِ الكذبَ . وهو يُدعى إلى الاسلامِ والله لا يهدي القوم الظالمين)[2].

وهذا الاسم الجليل (أحمد) علم لنبينا محمد ﷺ وعليه قول حسان:

صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمدَ

وصح من رواية مالك والبخاري ومسلم والدارمي والترمذي والنسائي عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ : (إن لي أسماء ، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا العاقب)[3] .

ويشهد التاريخ شهادة خالدة على أن أنبياء بني اسرائيل قد بشروا

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ . (٢) سورة الصف : ٦ ــ ٧ .

(٣) (العاقب) الذي ليس بعده نبي (والحاشر) : الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره . و (إن لي أسماء) : أراد أن هذه الاسماء التي عدها مذكورة في كتب الله تعالى المنزلة على الامم التي كذبت بنبوته . وهي حجة عليهم ــ انظر روح المعاني جـ ٢٨ ص ٧٦ وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٥٩ ــ ٣٦٠ ــ والنهاية لابن الاثير في كلمة (حاشر) .

ببعثة محمد ﷺ فقد أسلم عدد من علماء اليهود والنصارى في القرن الأول شاهدين بتوافر البشائر بنبوة محمد ﷺ في كتب العهدين القديم والجديد . فمن أحبار اليهود : عبدالله بن سلام ومخيريق ، وكعب الاحبار ، وغيرهم. ومن الرهبان والقسس النصارى في عهـــد الرسالة الجارود بن العلاء ، والنجاشي ملك الحبشة والقسس والرهبان الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة ، وغيرهم .

ولا يخفى أن محمداً ﷺ في رجاحة عقله يستحيل أن يدعي البشارة به في التوراة والانجيل ما لم يكن ذلك حقاً وصدقاً . فان كتب أهل الكتاب موفورة بين أيديهم . فلو كان الامر على غير ذلك لكان أبلغ منفر لهم منه ؛ وأعظم حجة يقيمونها عليه . لكن ايمان هؤلاء وشهادتهم بالتبشير به أمر جليل وبرهان ساطع على نبوة محمد ﷺ . وقـد عـدّ الفخر الرازي البشارة به ﷺ في التوراةِ والانجيلِ من الدلائل العقلية على نبوته . وبين أنه لا يعقل أن تصدرَ عنه دعوى البشارة به إلا أن تكون واقعة يقينا ، فقال : (ومعلوم أنه لو كان كاذباً في ذلك لكان هذا من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبوله ، ولا يليق بالعاقل أن يُقْدِم على فعل يمنعه عن مطلوبه ويُبطل عليه مقصوده من غـير فائدة أصلا ، ولا نزاع بين العقلاء أنه كان أعقل الناس وأحذقهم)(١) .

ثانياً - بشارة الكتب المعتمدة لدى أهل الكتاب :

لم تتوفر للكتب السماوية السالفة دواعي الحفظ والضبط . فان كلا منها كان كتابا لشريعة مؤقتة خاصة بأمة بعينها دون سائر الامم ، فلم يكن

---

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٣١٣ .

ما يستوجب حفظها ودوامها . فانقرض منها ما انقرض وتحرف منها ما تحرف . والتوراة والانجيل من أشهر الكتب السماوية ، قد عبثت بها يد التحريف حتى غدت نسخها متعددة مختلفة ومتناقضة في أحيان كثيرة . ومع أنا لا نسلم بأن هذه النسخ كلا أو بعضا هي الكتاب الذي أنزل الله على أحد من رسله ، فانا نعتقد أنها تحوي بقايا من الوحي الالهي لا نحيط بها علما على وجه التحديد . وقد أنزل الله القرآن المجيد مهيمناً على تلك المأثورات عن الرسل السابقين ، يؤكد صحيحها ويكشف زائفها . فما نفاه القرآن فهو باطل ، والذي أثبته فهو صحيح حتماً ، ومن ذلك البشائر ببعثة خاتم المرسلين محمد ﷺ (. . الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل . .) .

وبناءً عليه فنحن نعوّل على **نصوص** بشرت ببعثة محمد ﷺ من الكتاب المقدس ثقةً بمضمونها أولاً . وأما ثانياً : فلالزام الخصم من النصارى أو اليهود الجاحد لبعثة خاتم الرسل بدليل قطعي عنده ، لا يستطيع له صرفاً ولا تحويلاً ، وهذا ما يهمنا بالذاتِ .

١) شواهد حقٍ تُعينُ على فهم بشاراتِ الكتابِ المقدس :

وقبل أن نعرِض بشائر بعثته ﷺ كما وردت في الكتاب المقدس، نحب أن نذكر أموراً لا بد من فهم النصوص المبشرة في ضوئها وهي :

أولا ـ أن أنبياء بني اسرائيل مثل أشعيا وأرميا ودانيال وحزقيال وعيسى عليهم السلام قد أخبروا عن حوادث تُعدُّ بسيطة بجانب ظهور محمد ﷺ ؛ مثل حادثة بخت نصر ؛ وقورش ؛ والاسكندر وخلفائه ؛ وحوادث أرض أدوم ومصر ونينوى وبابل . ويبعد غاية البعد أنْ لا يخبرَ أحد منهم ـ بعد هذا ـ عن بعثة محمد ﷺ الذي تعاظم أمره حتى كسر

الجبابرة ومزق الاكاسرة . وعم دينه معظم بقاع العالم المعروف آنئذ ، وظهر فيها وهيمن على الأديان كلها بعزّ عزيز أو بذُلّ ذليل ، وامتد عبر الزمان حتى مضى على إقامته أربعة عشر قرناً .

ثانيا ـ جرتْ سنةُ الله في رسله أن يخبرَ على لسانِ المتقدمِ منهم عمن سيبعث بعده . ولكن خبره يجيء مجملاً لا يُعيّن سنة ولا يحدد بلداً أو قبيلةً يبعث فيها النبي المتأخر . ومع هذا فان الخواص من أتباع الرسول المتقدم ينجلي لهم أمر النبي المنتظر وشخصه بقرائن عديدة . فانْ ظلّ خفياً حتى بعث انكشف لهم صدقه بما بيديه لهم من البشائر التي عندهم وبالمعجزات التي يجريها الله على يديه وبعلامات النبوة التي تظهر فيه . فيصير صدقه جلياً لا يحتمل الريب أو الوهم . فاذا أعرضوا عن الايمان عوتبوا وحوسبوا كما عاتب المسيح عليه السلام علماء اليهود بقوله في انجيل لوقا ـ الباب الحادي عشر (فقرة : ٥٢)[١] . (ويل لكم أيها الناموسيون لانكم أخذتم مفتاح المعرفة ، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم) .

ثالثا ـ يدعي بعضهم أن أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبياً غير المسيح وايليا .

والجواب : أن هذا ادعاء باطل ينقضه ما ورد في انجيل يوحنا ـ الباب الأول (فقرة ٢١ ـ ٢٥) ونصه (وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ ـ فاعترف ولم ينكر وأقر : إني لست المسيح ـ فسألوه إذاً ماذا أنت ؟ ايليا ؟ فقال :

---

(١) دأب السيد رشيد رضا وغيره على تسمية الفقرة من الكتاب المقدس آية ، والصواب ما أثبتناه . فان الآية القرآنية دليل على ربانية مصدرها ، لمبناها المعجز أو معناها الدال على ذلك ، فتسميتها آية مصداق للمسمى . وليست كذلك فقرات الكتاب المقدس .

أنا لست ايليا . فسألوه أنت النبي ؟ فأجاب : لا ـ فقالوا له : من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ ـ قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا الى طريق الرب ـ كما قال أشعيا النبي وكان المرسلون من الفريسيين ـ فسألوه وقالوا له : فما بالك تُعمِّد إنْ كنتَ لستَ المسيح ولا إيليا ولا النبي ؟)(١) .

ومما لا يحتمل الأخذ والرد أن الألف واللام في لفظ (النبي) الأول والأخير للعهد ، فالمراد النبي المعهود الذي أخبر عنه الباب الثامن عشر من سفر التثنية ، وهو الخامس والأخير من أسفار التوراة المنسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام . وقد وجدتَ في النص أن سيدنا يحي ـ وهو المسئول ـ لما أنكر أن يكون المسيح أو إيليا . سألوه : أنت النبي ؟ فأجاب : لا . وقد دل سؤالهم هذا على علمهم من جانب سيدنا موسى ببعثة (النبي) وانه كان عندهم منتظرا كالمسيح وإيليا بل كان عندهم مشهوراً معهودَ الشأن ، حتى أغنت الاشارة اليه عن ذكر اسمه .

فمن التعسف والافتئات الفاضح زعمهم أنه لم يكن منتظراً لديهم ، وقد استبان تزييفهم فكيف يقبله العاقل !

وانما يفيدك تساؤلهم عن يحيى ثلاث مرات أن البشائر في كتبهم جملة لم يرتفع بها الاشتباه والخفاء لدى الخواص العلماء منهم من كهنة ولاويين فضلاً عن العوام . وهذا ما نبهنا اليه آنفا .

رابعا ـ أما زعمهم أن المسيح عليه السلام خاتم النبيين ولا نبي بعده ، فينقضه ـ أولا ـ النص السابق الذي دل على أنهم كانوا ينتظرون بعثة

---

(١) وقد ورد «النبي» بألف ولام العهد مميزاً عن المسيح ؛ في انجيل يوحنا أيضا ـ الباب السابع ـ فقرة : ٤٠ ـ ٤١ .

النبي المعهود سوى عيسى وإيليا عليهما السلام ، وبما أنه لم يثبت مجيئه قبل المسيح فهو بعده حتما . وينقضه ـ ثانيا ـ زعمهم نبوة الحواريين وغيرهم أيضا . ففي الباب الحادي عشر من كتاب الاعمال (فقرة ٢٧ - ٢٨) ما نصه (وفي تلك الايام انحدر الانبياء من أورشليم الى انطاكية ـ وقام واحد منهم اسمه اغابوس وأشار بالروح أن جوعا عظيما كان عتيدا ان يصير على جميع المسكونة ، الذي صار في أيام كلوديوس قيصر) .

فهؤلاء جميعا كانوا انبياء بتصريح انجيلهم المقدس . وقد أخبر واحد منهم وهو اغابوس[1] بوقوع جدب عظيم .

غير أن رجال الدين النصراني يتذرعون لتقوية زعمهم بما ورد على لسان المسيح في انجيل متى ـ الباب السابع ـ الفقرة الخامسة عشرة ما نصه (احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان . ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة) .

وأنت تستغرب معنا تعلقهم به ، فأولا ـ لا تبلغ الدلالة فيه على زعمهم قوة خيط العنكبوت ، بل ليس فيه دلالة على ذلك أصلا . وانما الذي فيه أمر بالاحتراز عن الانبياء الكذبة خاصة ، لا عن الانبياء الصادقين أيضا . لذلك قيّد من يجب الاحتراز منهم من الأنبياء بالكذبة ، فلم يك في تحذيره اتهام لكل نبي يأتي بعده . فلو أراد ذلك لقال (احترزوا من كل نبي يأتي بعدي فانه كاذب) .

وثانيا ـ انهم يعتقدون بوجود أنبياء صادقين بعد المسيح عليه السلام وعلى ذلك نصت الأناجيل المعتبرة لديهم .

---

(١) وقد صرح باسمه ونبوته كتاب الاعمال أيضا في الباب الحادي والعشرين ـ الفقرة العاشرة .

وثالثا ـ إن الانبياءَ الكذبة الذين حذروا منهم إنما ظهروا في الطبقة الاولى بعد صعود المسيح عليه السلام ـ أي في عهد الحواريين ـ وهذا هو المتوقع ، أن يطمع أناس من المرضى في مقامه ، وقد شهدوا رفيع مقامه عند الناس . وعليه نص العهد الجديد في الرسالة الثانية الى قورنيثوس « في الباب الحادي عشر الفقرة : ١٢ ـ ١٣ » هكذا (ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجَدوا كما نحن أيضا فيما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء رسل كذبة فعلة ماكرون ، مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح)[1] .

خامسا ـ لا تأبه لانكار رجال الدين النصارى انطباق البشائر الانجيلية على خاتم الرسل محمد ﷺ . فان تأويلهم تلك الاخبار مردود عليهم لظهور صدقها فيه . ثم انهم قبلوا في التبشير بعيسى نصوصاً إسرائيلية ، هي في دلالتها على بعثة المسيح عليه السلام دون وضوح دلالة البشارات الانجيلية على بعثة محمد ﷺ بكثير . وهي أقرب إلى قبول التأويل وصرفها عن المسيح عليه السلام ، ومع ذلك فقد قبلوها . فهم ملزمون بقبول ما ورد في أناجيلهم من أخبارٍ بحق سيدنا محمد ﷺ ، نظراً لما تتجلى به من ظهور صدقها فيه وقوة دلالتها عليه ، فاذا وازن الناظر المنصف بينها وبين ما اعتدوا به في التبشير بعيسى عليه السلام ظهر له غموضه وضعف دلالته عليه ، ورجحت لديه صحة التبشير بمحمد ﷺ ، وقامت لديه الحجج والدلائل الملزمة على ذلك[2] .

---

(١) ودل على ظهور الانبياء الكذابين في عهد الحواريين ما ورد في الرسالة الأولى ليوحنا في الباب الرابع وفي الباب الثامن من كتاب الاعمال (فقرة ٩ ـ ١٠) وفي غير ذلك .

(٢) وللتثبت من ضعف دلالة البشائر الاسرائيلية على بعثة عيسى عليه السلام ؛ =

سادسا ـ جرتْ عادة أهل الكتاب سلفاً وخلفاً في ترجمة الاسماء على ايراد معانيها بدلاً عنها . وهذا خبط عظيم ومصدر للفساد العريض . كما اعتادوا زيادة شيء من عندهم تفسيراً لما هو كلام الله في زعمهم دون تمييز بينها . وهذان من الأمور العادية المألوفة عندهم . وقد ضرب لهما رحمة الله الهندي في اظهار الحق أمثلة كثيرة جداً . نذكر الثالثَ عشرَ منها :

الفقرة الاولى من الباب الرابع من إنجيل يوحنا ، في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ و ١٨٣١ و ١٨٤٤ ما نصه (لما علم يسوع) وفي الترجمة العربية المطبوعة ١٨١٦ و ١٨٦٠ (لما علم الرب) فقد بدل المترجمان الأخيران لفظ (يسوع) الذي هو علم على عيسى عليه السلام (بالرب) الذي هو من الالفاظ التعظيمية لله تعالى .

فلا عجبَ إنْ بدلوا أسماءَ النبي ﷺ الواردة في أناجيلهم بالألفاظِ التحقيرية سيرا على عادتهم وطواعية لعنادهم واستكبارهم وعصبيتهم الهوجاء . وعلى الرغم من كثرة التحريفات الواقعة في كتبهم ، فإن مَنْ عرف أن أسلوب إخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر انما يكون مجملا ـ كما بينا ـ ثم نظر في الاخبار الانجيلية المبشرة بمحمد ﷺ وجدها غاية في قوة الدلالة على نبوته ووضوح الشهادة برسالته ﷺ . فاذا قارنها الناظر بالأخبار الاسرائيلية التي نقلها الانجيليون في التبشير بسيدنا عيسى عليه السلام ، وما هي عليه من ضعف في ذلك ، تجلت له قوة البشائر بخاتم الرسل محمد ﷺ وازداد برسالته يقينا على يقين (١) .

= اقرأها وتحليلها في كتاب اظهار الحق ـ رحمة الله الهندى ج ٢ ص ١١٨ ـ ١٢٦ (مصر ١٣١٧) ـ ثم وازن بينها وبين ما سنذكره من بشارات الأناجيل في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) بايجاز وتصرف من كتاب اظهار الحق ـ رحمة الله بن خليل الرحمن =

٢) بشائر الكتاب المقدس ببعثة محمد ﷺ :

ورد في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد بشائر كثيرة ببعثة سيدنا محمد ﷺ وقد ساق رحمة الله الهندي صاحب اظهار الحق[١] كثيرا منها . وقد لخصها من كتابه الاستاذ بشرى زخاري ميخائيل في كتابه الذي أعلن اسلامه فيه وهو (محمد رسول الله ـ هكذا بشرت الاناجيل)[٢] ونحن نورد أهمها :

البشارة الاولى :

جاء في الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية قوله : (قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا سوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ذلك ، أما النبي الذي يجترىء بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم آمره به بأن يقوله أم باسم آلهــة غير فليقتل) « ١٧ ـ ٢٠ » .

وهذه الاشارة ليست بشارة ب (يوشع) كما يزعم أحبار اليهود ، كما أنها ليست بشارة بالسيد المسيح كما يفسر ذلك علماء اللاهوت المسيحي ، بل هي بشارة بمحمد ﷺ وذلك لعدة أسباب :

= الهندي جـ ٢ ص ١١٣ ـ ١١٨ ـ المطبعة المحمودية بمصر سنة ١٣١٧ هـ ثم ذكر المؤلف الاخبارات التي اعتمدها الانجيليون في التبشير بعيسى ليتمكن الباحث من المقارنة التي تبدي قوة دلائل البشارات بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . انظر جـ ٢ ص ١١٨ ـ ١٢٦ .

(١) وقد أورد فيه ثماني عشرة بشارة جـ ٢ ص ١٢٧ ـ ١٥٩ وقد ذكر معظمها الاستاذ رشيد رضا في تفسير المنار جـ ٩ ص ٢٢٢ ـ ٢٧٦ .

(٢) ص ٦٥ ـ ٩٨ .

١) ان اليهود المعاصرين للمسيح كانوا ينتظرون نبياً آخر مبشرا به عندهم وهذا المبشر به عندهم غير المسيح ، وقد دللنا على ذلك آنفا في الامر الثالث .

٢) أنه جاء في هذه البشارة لفظ (مثلك) في قوله (سوف أقيم لهم نبياً مثلك) ويوشع لا يصح أن يكون مثل موسى بدليل الفقرة العاشرة من الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية التي تقول (ولم يقم بعد ذلك نبي في إسرائيل مثل موسى يعرف الرب وجها لوجهه) فان قام مثل موسى بعده من بني اسرائيل يلزم تكذيب هذه الفقرة . ومن ناحية أخرى لا توجد مماثلة بين يوشع وبين موسى ، ذلك لان موسى صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامر ونواه ويوشع لم يكن كذلك ، بل هو تابع لشريعته . وهذه المماثلة التامة لا توجد أيضا بين موسى وبين المسيح ، ذلك أن شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الطهارات والمحرمات بخلاف شريعة المسيح فانها خالية منها ، كما تشهد بذلك الاناجيل الاربعة ، وأن موسى كان رئيسا مطاعا في قومه نافذة أوامره ونواهيه ، والسيد المسيح لم يكن كذلك .

٣) انه وقع في هذه البشارة لفظ (من بين اخوتهم) ولا شك أن الاسباط الاثنى عشر كانوا موجودين في ذلك الوقت مع موسى حاضرين معه ، فلو كان المقصود كون النبي المبشر به منهم لقيل « منهم » لا « من بين اخوتهم » لأن الاستعمال الحقيقي لهذا اللفظ أن لا يكون المبشر به له علاقة الصلبية والبطنية ببني اسرائيل أي من فرع آخر غير فرعهم وهو ما لا يكون إلا من بني اسماعيل

كما جاء لفظ الأخوة بهذا الاستعمال الحقيقي في وعد الله لهاجر في حق اسماعيل في الفقرة الثانية عشر من الباب السادس عشر من سفر التكوين وعبارتها في الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ هكذا (وقبالة جميع اخوته ينصب المضارب) وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨١١ هكذا (بحضرة جميع اخوته يسكن) .

والمقصود بالاخوة هنا بنو عيسو واسحاق وغيرهم من أبناء ابراهيم . وفي الفقرة الرابعة عشر من الباب العشرين من سفر العدد هكذا : « ثم أرسل موسى رسلاً من قادس الى ملك آدوم قائلا هكذا يقول أخوك اسرائيل أنك قد علمت كل البلاء الذي أصابنا » وفي الباب الثاني من سفر التثنية قوله (قال لي الرب ، ثم أوصى الشعب أنكم ستجوزون في تخوم اخوتكم بني عيسو الذين في ساعير وسيخشونكم فلما جزنا اخوتنا بنو عيسو الذين يسكنون ساعير . . . الخ) .

والمقصود باخوة بني اسرائيل بنو عيسو ، ولا شك أن استعمال لفظ اخوة بني اسرائيل كما جاء في بعض المواضـــع من التوراة استعمال مجازي،ولا تُضار الحقيقة ولا يُصار إلى المجاز ما لم يمنع من الحمل على المعنى الحقيقي مانع قوي . ويوشع والمسيح كانا من بني اسرائيل فلا تصدق هذه البشارة عليهما ، لانه لا يجوز أن يقوم أحد من بني اسرائيل مثل موسى .

٤) انه جاء في هذه البشارة لفظ (سوف أقيم) ويوشع كان حاضراً عند موسى ؛ داخلاً في بني اسرائيل ؛ نبياً في ذلك الوقت . فكيف يصدق عليه هذا اللفظ ؟

٥) إنه وقع في هذه البشارة لفظ (أجعل كلامي في فمـــه) وهو إشارة إلى أن ذلك النبي ينزل عليه الكتاب وإلى أنه يكون أميا حافظا للكلام . وهذا لا يصدق على يوشع لانتفاء كلا الأمرين فيه . فالفقرة إذن تصدق على محمد ﷺ أكمل صدق لانه غير السيد المسيح ، ولانه يماثل موسى في أمور كثيرة أهمها :

في كونه عبدالله ورسوله ؛ وكونه من أب وأم ؛ وكون شريعته مشتملة على السياسات المدنية ؛ وكونه مأموراً بالجهاد ، وفي اشتراط الطهارة وقت العبادة في شريعته ؛ ووجوب الغسل للجنب والحائض في شريعته ؛ وحرمة غير المذبوح وقرابين الاوثان ، وكون شريعته مشتملة على العبادات الدينية والرياضيات الجسمانية ؛ وتعيين الحدود والتعزيرات والقصاص ؛ وكونه قادراً على إجرائها ؛ ويماثل موسى أيضاً في انكاره عبادة غير الله ؛ وأمره بالتوحيد الخالص ؛ وأمره لأمته بأن يقولوا له عبد الله ورسوله ؛ وكونه مدفونا كموسى . وكان من اخوة بني اسرائيل لأنه من بني اسماعيل . وقد يقال هنا بأن اخوة بني اسرائيل لا تنحصر في بني اسماعيل، لأن بني عيسو بني أبناء قطورا زوجة ابراهيم اخوتهم أيضا . قلنا : نعم هؤلاء من اخوة بني اسرائيل ، لكنهم لم يظهر أحد منهم متصفاً بالامور المذكورة ، ولم يكن وعد الله في حقهم انما الوعد كان لبني اسماعيل . وهو مقتضى دعاء اسحاق عليه السلام المصرح به في الباب السابع والعشرين من سفر التكوين .

البشارة الثانية :

في الفقرة الحادية والعشرين من الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء قوله : (هم أغاروني بما ليس الهاً وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة

وأنا أيضا أُغيرهم بما ليس شعباً وبشعب جاهل أُغضبهم) .

والمقصودُ بشعب جاهل (العرب) لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال ، ولم يكن عندهم علم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية ، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام ، وكانوا محتقرين من اليهود ، ولكونهم من أولاد هاجر الجارية .

فمعنى الفقرة أن بني إسرائيل أغاروه بعبادة المعبودات الباطلة فشاءت حكمته اصطفاءَ رجل ممن هم عندهم محتقرون جاهلون فأوفى بما وعد فبعث من العرب النبي الأمي فهداهم الى الصراط المستقيم ، كما قال الله تعالى : (هو الذي بعثَ في الأُميينَ رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهمُ الكتابَ والحكمةَ ، وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين)(١) .

ولقد حاول بعض علماء اللاهوت رد هذه الجاهلية الى الشعب اليوناني ، كما يفهم من ظاهر كلام بولس الرسول في الاصحاح العاشر من الرسالة الى أهل رومية .

وكان بولس يهودياً من ألد أعداء السيد المسيح وأتباعه ، ثم نافق وتظاهر بالتدين بالنصرانية فشوه معالمها وأفسد عقائدها ، فلا يُعتد بشيء من كلامه لافتضاح إفكه ودجله .

ومن المعلوم الواضح أن اليونان قبل ظهور المسيح بمئات السنين كانوا متفوقين في العلوم والفنون ، وكان اليونان في عهده في أعلى مستوى من الكمال في الفنون ، وكانوا واقفين على أحكام التوراة وسائر كتب العهد القديم بواسطة ترجمة (سيتواخنت) التي ظهرت باللغة اليونانية قبل

---

(١) سورة الجمعة : ٢ .

المسيح بمئتين وثمانين عاما ، ولكنهم لم يؤمنوا بالعقيدة الموسوية . إذن لا يجوز أن يكون المقصود بالشعب الجاهل اليونانيين ، وهذا يدل على أن كلام بولس في الرسالة الى أهل رومية إما مؤوّل أو مردود .

البشارة الثالثة :

في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية في الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ قوله : (جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير وتلألأ من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار في يمينة سنة من نار) فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى ، واشراقه من ساعير اعطاؤه الانجيل للمسيح ، وتلألؤه من جبل فاران انزاله القرآن على محمد ﷺ . أما كيف نستدل على أن فاران هي الارض التي سكنها اسماعيل جد الرسول فالدليل على هذا في التوراة ، إذ ورد فيها في سفر التكوين (٢٠ - ٢١) عن اسماعيل ما يلي (وكان الله معه ونما وسكن في البرية وصار شابا يرمي السهام وسكن برية فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر) ولا شك أن سكنى اسماعيل انما كانت بمكة .

البشارة الرابعة :

والى جانب هذه البشارات التي وردت في التوراة هناك بشارة أخرى في العهد الجديد ، أثارت الكثير من الجدل بين المشتغلين بالالهيات ، ففريق يرى أن المقصود بها محمد ﷺ بينما يرى البعض الآخر أنها خاصة بوعد المسيح لتلاميذه بانزال الروح القدس عليهم . وقد نزل عليهم روح القدس يوم الدار الذي جاء ذكره في الباب الثاني من كتاب الاعمال . وهذه البشارة واقعة في آخر أبواب انجيل يوحنا المطبوع أعوام ١٨٢١ ، ١٨٣١ ، ١٨٤٤

ففي الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا قوله : (ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله ، لأنه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لأنه هو مقيم عندكم وهو ثابت فيكم « ٢٦ » والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم قبل كل شيء وهو يذكركم بكل ما قلته لكم والآن قد قلتُ لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون) .

وفي الاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا قوله : (فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله انا اليكم من الاب روح الحق الذي من الاب ينبثق هو ليشهد لأجلي وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء « ٢٢ ») .

وفي الباب السادس عشر بيّن انجيل يوحنا : (لكني أقولُ لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق لاني إنْ لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فأما إن انطلقت أرسلته اليكم « ١٨ » فأما إذا جاء ذلك فهو يوبخ العالم على خطيئته وعلى بر وعلى حكم ، أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي ، وأما على البر فلأني منطلق الى الأب ولستم تروني بعد ، وأما على الحكم فان أركون « رئيس » هذا العالم قدْ دين « ١٢ » . وأن لي كلاما كثيراً أقوله لكم ، ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن . وإذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي « ١٤ » وهو يمجدني لأنه يأخذ ويخبركم « ١٥ » جميع ما هو الأب فهو لي فمن أجل هذا قلت إن ما هو لي يأخذ ويخبركم) .

وقد نبه صاحب « إظهار الحق » إلى أن السيد المسيح كان يتحدث باللغة الآرامية ، وهي مشتقة من اللغة العبرية ، وإنه مما لا شك فيه ان الانجيل الرابع « انجيل يوحنا » ترجم اسم الرسول المبشَّر به باللغة اليونانية

حسب العادة ، ثم جاء مترجمو اللغة العربية فترجموا اللفظ اليوناني ب (فارقليط) . وقد ذكر من قبل تصرفهم في الأسماء .

وقد حاول آردو صرف المسلمين عن الاستدلال بهذه البشارة فذكر أن لفظ (فارقليط) معرب من اللفظ اليوناني ، ثم قال : (فان قلنا : إن هذا اللفظ اليوناني الأصل « باراكلي طوس » فيكون بمعنى المعزي والمعين والوكيل . وإن قلنا : إن اللفظ الاصلي « بيركلوطوس » فيكون من معنى محمد أو أحمد . فمن استدل من علماء الاسلام بهذه العبارة فهمَ أن اللفظ الاصلي « بيركلوطوس » فادعى أن السيد المسيح بشر بمحمد او احمد ، ولكن الصحيح ان اللفظ « باراكلي طوس » وليس « بيركلوطوس ») « انتهى كلام آردو ملخصا » .

يرى صاحب كتاب « اظهار الحق » أنه من الواضح أن التفاوت بين اللفظين يسير جداً ، وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة ، وأن تصحيف « بيركلوطوس » الى « باراكلي طوس » من الكاتب في بعض النسخ قريب القياس ، ثم رجح أهل التثليث هذه النسخة على النسخ الأخرى .

قلت : وقد يكون الالتباس وقع بين اللفظين نتيجة تعمد بعض النساخ إجراء تحسين مقصود في الاسلوب كما حصل للمحمتي الالياذة والأوديسا اليونانيتين .

وذكر العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار أن العلامة الكبير « كارلو نلينو » المستشرق الايطالي كان يحضر دروس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الايطالية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وكان آنئذ حاصلاً على شهادة الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية . فجعل يجلس بجانب الشيخ النجار وهو طالب ، حتى انعقدت بينهما أواصر الصحبة المتينة . . فقال له الشيخ النجار : ما معنى « بيريكلتوس » ؟ فأجابني بقوله : إن القسس يقولون إن هذه الكلمة

معناها « المعزي » فقلت : إني أسأل الدكتور « كارلونالينو » الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة . ولست أسأل قسيساً ! فقال : إن معناها « الذي له حمد كثير » . فقلت : هل ذلك يوافق افعل التفضيل من حمد ؟ فقال : نعم . فقلت : إن رسول الله ﷺ من أسمائه « احمد » فقال : يا اخي انت تحفظ كثيراً . ثم افترقنا وقد ازددتُ بذلك تثبتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)(١) .

ترقب أهل الكتاب بعثة نبي دليل أن المراد بالفارقليط نبي :

وعلى اي حال فانه مما يدل على أن الفارقليط ليس هو الروح النازل على التلاميذ في يوم العنصرة ، ان البعض قد ادعى – قبل ظهور محمد – انهم مصاديق لفظ فارقليط . مثل ذلك « منفليس » المسيحي الذي كان في القرن الثاني الميلادي وكان تقياً – فيما زعموا – وقد ادعى الرسالة في آسيا الصغرى ، وقال انه هو الفارقليط الموعود به الذي وعد بمجيئه السيد المسيح . وقد تبعه في ذلك الوقت أُناس كثيرون . وقد ذكر ذلك بعض المؤرخين مثل « وليم ميور » فقد ذكره واتباعه في القسم الثاني من الباب الثالث من تاريخه بلسان « آردو » المطبوع عام ١٨٤٨ فقال : (ان البعض قالوا عن منفليس انه الفارقليط ، يعني المعزي روح القدس . وقد كان تقيا ، ولذلك قبله الناس قبولا يفوق الحد ، **مما يدل على أن انتظار فارقليط كان في القرون الأولى للمسيحية أيضا** ، ولذلك كان الناس يدّعون أنهم مصادقة ، وكان المسيحيون آنذاك يقبلون دعواهم) .

وقد قال صاحب لب التواريخ (أن اليهود والمسيحيين من معاصري

---

(١) سورة الصف ٦ وانظر قصص الانبياء – عبد الوهاب نجار ص ٣٩٧ – ٣٩٨ ت نشر مؤسسة الحلبي بالقاهرة ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م .

محمد كانوا منتظرين لنبي فحصل لمحمد من هذا الأمر نفع عظيم لأنه ادعى أنه هو ذاك المنتظر) ، فيعلم من كلامه أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي في زمان النبي محمد . وهذا صحيح لأن النجاشي ملك الحبشة لما وصل إليه كتاب النبي محمد ﷺ قال : أشهدُ بالله أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب وكتب في رسالته اليه (أشهد أنك محمد رسول الله صادقاً ومصدقاً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك - أى جعفر بن أبي طالب - وأسلمت على يديه لله رب العالمين) .

وهذا النجاشي كان قبل الاسلام مسيحياً .

والمقوقس في رده على رسالة النبي اليه قال : (لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك) .

والمقوقس هذا قد أقر في كتابه أنه قد علم أن نبياً قد بقي وكلاهما - النجاشي والمقوقس - ما كانا يخشيان محمداً في ذلك الوقت بل كانا يقولان الحقيقة دون ضغط أو تأثير .

وجاء الجارود بن العلاء مع قومه إلى النبي وقال : (لقد جئتَ بالحق ونطقتَ بالصدق والذي بعثك بالحق نبياً ، لقد وجدتُ وصفك في الانجيل وبشّر بك ابن البتول - يقصد المسيح - فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك ، لا أثر بعد عين ، مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله) ثم آمن وقومه ، وهذا الجارود كان من العلماء المسيحيين ، وقد أقر بأنه قد بشر به المسيح ، مما يدل على أن المسيحيين كانوا منتظرين لخروج نبي بشّر به المسيح ، فاذا علمنا ذلك اتضح لنا أن

اللفظ العبري الذي قال به المسيح مفقود ، واللفظ اليوناني وهو الموجود ترجمة له . وبغض النظر عن الأصل فاننا لو تمسكنا بهذا اللفظ اليوناني فاننا نرى أنه : إن كان اللفظ اليوناني هو في الاصل (بيركلوطوس) فالأمر واضح وتكون بشارة السيد المسيح في حق محمد بلفظ هو قريب من محمد وأحمد . أما ان كان اللفظ اليوناني هو في الأصل (باركلي‌طوس) فهذا لا ينافي الاستدلال أيضاً ، لان معناه المعزي والمعين والوكيل . **وهذه المعاني كلها تصدق على محمد . وهذا يعني أن المقصود بالفارقليط النبي المبشر به ، أعني محمداً** ﷺ ، لا الروح النازل على التلاميذ الذي جاء ذكره في الباب الثاني من أعمال الرسل .

تحليل البشارة يثبت أنها خاصة ببعثة محمد ﷺ :

١) إن المسيح قال : (أولاً إنْ كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي) ثم أخبر عن فارقليط ، فقصده هنا أنْ يعتقد السامعون بأن ما يلقى عليهم يعد ضروريا واجب الرعاية . فلو كان الفارقليط عبارة عن الروح النازل لما كانت هناك حاجة إلى هذا المقطع من الفقرة ، لأنه ما كان مظنونا أن يستبعد التلاميذ نزول الروح عليهم مرة أخرى لأنهم كانوا مستفيضين به من قبل أيضاً ، ولأنه إذا نزل على قلب أحد وحل فيه ظهر أثره لا محالة ظهوراً واضحاً فلا يتصور ممن تأثر به أن ينكره . لكن السيد المسيح لما علم بالتجربة وبنور النبوة أن الكثيرين من أمته سينكرون النبي المبشَّر به عند ظهوره عرَّف به في هذه الفقرة ثم أخبر عن مجيئه .

٢) إن هذا الروح ـ حسبما آلتْ اليه عقيدة النصارى ـ متحد بالأب مطلقا وبالابن ، نظراً إلى لاهوته اتحاداً حقيقياً فلا يصدق في حقه

(فارقليط آخر) بخلاف النبي المبشَّر به فان هذا القول يصدق في حقه بلا تكلف .

٣) إن الوكالةَ والشفاعة من خصائص النبوة لا من خصائص هـذا الروح المتحد بالله فلا يصدقان على الروح ، بل يصدقان على النبي المبشَّر به .

٤) ان السيد المسيحَ قال : (هو يذكركم بكل ما قلته لـكم) ولم يثبت في رسالة من رسائل العهد الجديد أن التلاميذَ كانوا قد نسوا شيئاً مما قاله المسيّح وأن هذا الروح النازل يوم الدار ذكرهم إياه .

٥) ان المسيـحَ قال : (والآن قد قلتُ قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون) ، وهذا يدل على أن المقصود ليس هـو الروح النازل لأننا قد عرفنا في أول الأمر أنه ما كان عدم الايمان مظنوناً أو متوقعاً منهم وقت نزول روح القدس ، فلا حاجة إذن إلى هذا القول .

٦) ان المسيح قال : (هو يشهد لأجلي) وهذا الروح لم يشهدْ لأجله بين أيدي أحدٍ لأن التلاميذ الذين نزلَ عليهم لم يكونوا محتاجين إلى الشهادة لأنهم كانوا يعرفون المسيـحَ حق المعرفة قبلَ نزوله أيضا فلا فائدة للشهادة بين أيديهم ، والمنكرون محتاجون للشهادة ، فهذا الروح ما شهد بين أيديهم ، بخلاف محمد عليه السلام فانه شهد للمسيح وصدقه . والأحاديث نفسها خير دليل على صدق ما نقولُ أنه يقول في حديث له (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيـكم ابن مريم حكماً مقسطاً) .

٧) إن المسيحَ قال : (إنْ لم أنطلقَ لم يأتـكم الفارقليط فأما إن انطلقت أرسلته اليكم) ، فعلق مجيء الفارقليط بذهابه ، فهو غير

الروح القدس لأن الروح قد نزل على التلاميذ في حضوره ، لما أرسلهم الى البلاد الاسرائيلية ؛ بدليل الفقرة (٢٢) من الاصحاح العشرين . (ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس) مما يدل على أن نزول الروح لم يكن مشروطا بذهابه ، فلا يكون مقصوداً بالفارقليط ، بل المقصود به شخص لم يستفض منه أحد من التلاميذ قبل صعوده ، وكان مجيئه موقوفا على ذهاب المسيح .

٨) ان المسيح قال : (يوبخ العالم) فهذا القول بمنزلة النص الجلي لمحمد ﷺ ، لانه وبخ العالم سيما اليهود على عدم ايمانهم بالمسيح توبيخا لا يشك فيه الا معاند ، وذلك على عكس الروح فان توبيخه لا يصح على أصول أحد ، وما كان التوبيخ يستهدف الحواريين بعد نزوله أيضا ، لأنهم كانوا يدعون إلى المسيحية بالترغيب والوعظ .

٩) أما قول عيسى عليه السلام : (أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي) ، فيدل على أن الفارقليط يكون ظاهراً منصوراً على منكري عيسى عليه السلام موبخاً لهم على عدم الايمان به ، والروح النازل يوم الدار ما كان ظاهراً على الناس موبخاً لهم .

١٠) ان المسيح قال : (ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع) وهذا يدل على أن الفارقليط يكون بحيث يكذبه بنو اسرائيل فاحتاج المسيحُ أنْ يقرر صدقه فقال هذا القول ولا مجالَ لمظنة التكذيبِ في حق الروح النازل يوم الدار ، فان كان هذا الروح عندهم عين الله فلا معنى لقوله (بل يتكلم بما يسمع) فهذه الفقرة إذن تصدق على محمد ، فقد كانوا مظنة التكذيب برسالته ، وليس هو عين الله ، وكان يتكلم بما يُوحى اليه ، كما قال الله تعالى :

(وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحيٌ يُوحى)(١) وقال : (قلْ ما يكون لي أنْ أُبدِّله من تلقاءِ نفسي ، إنْ أتبعُ إلا ما يُوحى إليَّ) (٢) .

وقد أثار بعض رجال الدين النصارى اعتراضات واهية متهافتة ؛ حول انطباق (الفارقليط) على سيدنا محمد ﷺ . وقد سردها رحمة الله الهندي وأسقطها بردود مفحمة ، وقد استغنينا عن ذكرها لما في التحليل المذكور من دلائل قوية كافية . وقد نقل في تفسير المنار معظم ما كتبه رحمة الله الهندي ، وأضاف عليه تحليلا لغويا جيدا في بيان تصحيف أو تحريف لفظ (فارقليط) اليوناني ؛ الذي تلفظ كتابته بالانكليزية (بارقليط) عن لفظ (بيرقليط) المشابهة الشديدة بين رسميها في لغتهم. هذا على الرغم من انطباق كليهما على سيدنا محمد ، لكن الثاني لا يمكن صرفه أبداً عن معنى (محمد أو أحمد) ﷺ (٣) .

ثالثاً ـ بشارات كتابية لا يعتبرها النصارى

ونخص بالذكر منها ما ورد في انجيل برنابا ، من بشائر صريحة ببعثة سيدنا محمد ﷺ نبياً رسولاً . وقد ترجمه في مطلع هذا القرن الدكتور خليل سعادة ، وقدم له مقدمة تاريخية علمية ، وقد عرف فيها بالانجيل وأصله . وقام بنشره الاستاذ الشيخ محمدرشيدرضا رحمه الله.وأتْبعَ مقدمةَ المترجم بمقدمة ناقش فيها أهم المسائل التي تتصل بأصل الانجيل .

---

(١) سورة النجم : ٣ ـ ٤ .　　(٢) سورة يونس : ١٥ .

(٣) نقل ذلك الشيخ رشيد رضا من كتاب (دين الله في كتب أنبيائه للدكتور محمد توفيق صدقي) انظر تفسير المنار : ٩ : ٢٦٤ وما حولها .

نسخة انجيل برنابا :

ان النسخةَ الوحيدةَ المعروفةَ الآن في العالم التي نقل عنها هذا الانجيل انما هي نسخة باللغة الايطالية في مكتبة بلاط « فيينا » . وتعد من أنفس الذخائر والآثار التاريخية . وأول من عثر على النسخة الايطالية هو « كريمر » أحد مستشاري ملك بروسيا . فقد أخذها سنة ١٧٠٩ من مكتبةِ أحد مشاهير ووجهاء مدينة « امستردام » . ثم أُهديتْ بعد أربع سنين الى « البرنس ايوجين سافوي » ثم انتقلت سنة ١٧٣٨ مع سائر مكتبة هذا الامير الى مكتبة البلاط الملكي في « فيينا » ولم تزل هناك حتى الآن . لكن الذي اكتشف هذه النسخة أصلاً راهب لاتيني يدعى « فرامرينو » ذلك انه عثر على رسائل دينييه ل « ارينايوس » يندد في أحدها بالقديس بولس الرسول مستندا في ذلك الى انجيل القديس برنابا . فشغف بالحصول على نسخة من هذا الانجيل . فلما أصبح مقربا من البابا (سكتس الخامس) صادف أنه أدخله معه يوماً مكتبة البابا . لكن البابا غلبه النوم فأحب « مرينو » أن يقتل الوقت بالمطالعة حتى يستيقظ البابا . فكان الكتاب الاول الذي وضع يده عليه هو هذا الانجيل نفسه فكاد يطير فرحا فخبأه في أحد ردنيه . ولما استفاق البابا استأذنه بالانصراف حاملا معه ذلك الكنز . فخلا بنفسه وطالعه بشوق عظيم . فاكتشف الحقيقة واعتنق الاسلام ديناً .

ووجدتْ نسخة أخرى لهذا الانجيل باللغة الاسبانية ، وقد نقلها الى الانكليزية الدكتور « منكهوس » أحد أعضاء كلية الملكة في اكسفرد ثم دفع الترجمة مع الاصل الى الدكتور « هويت » أحد مشاهير الأساتذة

سنة ١٧٨٤ . وطمس بعد ذلك خبرها ولم ير أثرها [١] . **ويبدو لي أنها أتلفت عصبية وحقداً ، أو أخفيت مع أسرار الكنيسة** . وذكر الدكتور خليل سعادة في مقدمته [٢] ان التاريخ حفظ لنا في طياته أن البابا « جلاسيوس الاول » الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ م أصدر أمراً عدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها ، ومنها انجيل برنابا . فهذا دليل على أن هذا الانجيل كان موجوداً قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ بزمن طويل . ويتعقبه الاستاذ بشرى زخاري ميخائيل بالتنبيه على أنه قد مضى قرنان من الزمان على تحريمه قبل الدعوة الاسلامية ، مما جعل التحريم ينتج أثره ، فيخفي ما كان موجودا ويدفن ما كان لدى رجال الدين معلوما .

وقد ثار في نفس الدكتور سعادة وغيره أن أصل النسخة الايطالية كان اللغة العربية وقد ترجم في القرون الوسطى . بدليل تعليقات عربية وجدت على هامش النسخة الايطالية . وقد ذكر قبل ذلك للعالمين « لونسدال – لوراراغ » ان الانجيل من ترجمة رجل معرفته بالأسفار المسيحية تفوق كثيراً اطلاعه على الكتب الدينية الاسلامية ، فيرجح اذاً أنه مرتد عن النصرانية .

كما بين أيضاً أن ماكتب فيه بالعربية يحتوي من التعابير السخيفة والأساليب الركيكة والطمطانيات التي لا يستخرج منها معنى بالمرة [٣] . وهذا دليل أن ترجمته ليست عمل رجل ضليع في الاسلام متقن للعربية . **وهذا في نظرنا يؤكد أن معظم هذه التعلقات كان من الراهب « فرامرينو »**

---

(١) انجيل برنابا – مقدمة المترجم: جـ – هـ – مطبعة محمدعلي صبيح سنة ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م .

(٢) انجيل برنابا – مقدمة المترجم صفحة : ل .

(٣) انجيل برنابا – مقدمة المترجم ص : ز .

الذي استرقه من مكتبة البابا . فانه لما أسلم تعلم شيئا من العربية فكتب تلك العبارات كمتعلم مبتدىء وهو في سن الكبر . ويؤيد هذا ما رجحه العلماء الأخصائيون أن الخطّ يرجع الى القرون الوسطى . وقد ذهب الى هذا أيضاً الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله . [1] ويحتمل أن يكون بعض القسوس ممن على شاكلة الراهب المذكور قد شاركوا في كتابة بعض التعليقات ، فان خطها مختلف يدل على أكثر من كاتب . وقد استشهد الشيخ رشيد رضا على استحالة كون كاتب التعليقات عريق الاسلام بعبارات منها لا تصدر قطعاً عن متعمق في الاسلام ، ثم قال : (ونقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة انجليزي أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الانجيل مكتوبةً بالقلم الحميري قبل بعثة النبي ﷺ . وفيها يقول المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد » فيظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن انجيل برنابا وغيره) .

وختاما نقول : لو كان انجيل برنابا معروفاً للمسلمين من قبل لاستدل به علماؤهم في محاجة النصارى . لكن كتبهم خالية من الاشارة اليه على اختلاف أعصار تأليفها . ويكفيك دليلا على ذلك ابن حزم الاندلسي وابن تيمية المشرقي ، إذْ كانا أوسع علماء المسلمين قاطبة اطلاعا على كتب النصارى، ولم يذكرا في ردودهما هذا الانجيل .

شخصية كاتب الانجيل :

هو القديس برنابا من تلاميذ ورسل السيد المسيح عليه السلام . فهو في الصف الاول من أتباعه . وقد ورد ذكره في رسالة أعمال

---

(١) مقدمة الناشر صفحة : ت .

الرسل ، ففي الاصحاح الرابع منها ما نصه (وأن يوسف الذي لقبه الرسل برنابا ـ الذي تأويله ابن العزاء ـ اللاوي القبرصي الأصل ، كان له حقل فباعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل التلاميذ) .

وان برنابا هو الذي شهد بايمان « شاول » الذي اشتهر بعد باسم بولس الرسول ـ فقد ورد في الاصحاح التاسع من رسالة أعمال الرسل قوله : (ولما جاء شاول الى أورشليم حاول أن يتصل بالتلاميذ لكنهم كانوا يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره الى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه . وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع بجرأة) .

وكانت الكنيسة ترسل برنابا للوعظ والارشاد لما كان يتسم به من صلاح وتقى . ففي الاصحاح الحادي عشر (فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتاز الى أنطاكية ، الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ أن يثبتوا في الرب بعزم القلب ، لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والايمان . فانضم الى الرب جمع غفير . .) .

كما ورد ذكره في رسالة الأعمال على أنه اختص بخطاب روح القدس هو وبولس من بين سائر رسل المسيح ، وأن الكنيسة أرسلته مع بولس الى قبرص ليبشر بالمسيحية ، وأنه اختلف أخيراً مع بولس فافترقا .

وعقب الاستاذ بشرى زخاري ميخائيل على ذلك بقوله : (هذا هو برنابا قديس من الرعيل الاول للمسيحية وركن من الاركان التي قامت عليها الدعوة للمسيحية الاولى . وقد وجد انجيل باسمه يدل على أنه كان من تلاميذ السيد المسيح . ولو أن بعض الكتاب المسيحيين أبعدوه من هؤلاء

التلاميذ . انما هو من الرسل الذين يبلغون مكانة التلاميذ في هذا الدين بعد المسيح . ومهما يكنْ من شيء في هذا الأمر - وهو كونه من التلاميذ أوْ ليس منهم - فان برنابا حجة في المسيحية ، وهو من الملهمين . فان صحت نسبة هذا الانجيل اليه كان ما يشمله حجة على المسيحيين يدعوهم الى أن يوازنوا بين ما جاء فيه وما جاء في غيره من الكتب الأخرى . ويأخذوا بما هو أقرب الى التصور والتصديق وأصح سنداً وأقرب بالمسيحية الأولى رحماً) [١] .

بشارات هذا الانجيل :

يذكر انجيل برنابا البشارة بالنبي محمد ﷺ بعبارات لا تحتمل المغالطات التي أوردها النصارى على البشارات السابقة . فينص على أن سيدنا عيسى عليه السلام قد بشر بخاتم المرسلين محمد ﷺ ويستوفي ذلك مفصلاً في فصول كاملة أحيانا أو يؤديه مختصراً في فقرات من فصول أحياناً أخرى . وقد ذكر أن الله قدَّر خلقَ محمد ﷺ أول تقديره الخلق حتى قرأ آدم كتابة اسمه مقرونة باسم الله جل جلاله (لا إله إلا الله محمد رسول الله) [٢] .

وقد بشّر به مبيناً أنه مبعوث من نسل اسماعيل عليه السلام في الفصل الرابع والأربعين ، [٣] وبشر به مبيناً مقامه في الفصل الرابع والخمسين كما تحدث في الفصل الخامس والخمسين كله عن صلته بربه ومقامه عنده .

---

(١) محمد رسول الله ، هكذا بشرت الاناجيل ص ١١٠ وانظر ما حولها .

(٢) الفصل التاسع والثلاثون : فقرة ١٤ ـ ٢٧ . وانظر الفصل الثالث والاربعين والفصل التسعين .

(٣) وانظر الفصل الثالث والاربعين .

ونبه السيد المسيح عليه الصلاة والسلام الى أنه ليس خاتم رسل الله ، وأن بعده (مسيا) أي رسولاً رحمة لكافة بني الانسان .

قال في الفصل السادس والتسعين : (٨ - لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسه إني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الارض كما وعد الله أبانا ابراهيم قائلاً : بنسلك أُبارك كل قبائل الأرض - ٩ - ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله . - ١٠ - فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا - ١١ - حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الاشياء لأجله - ١٢ - الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الاصنام وعبدة الأصنام - ١٣ - وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر ١٤ - وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به - ١٥ - وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا) .

ويؤكد السيد المسيح أن مجيءَ الرسول هو عزاؤه ، فان دينه سيعم العالم جميعه وسيظل مصوناً صحيحاً إلى ما لانهاية، فانهذا الرسول خاتم الرسل. قال : (٣ إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور . ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيَّ . وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لانه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم ، وان ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لان الله سيحفظه صحيحا .

٧ - أجاب الكاهن (أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟)

٨ - فأجاب يسوع : لا يأتي بعده انبياء صادقون مرسلون من الله ٩ ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني ١٠ - لان الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيستترون بدعوى انجيلي)[1] .

---

(١) وانظر بقية الفصل ففيه تصريح باسم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وأعلن السيد المسيح ان كل نبي انما يبلغ أمة واحدة فحسب وأن رسالته تقتصر على الشعب الذي ارسل اليه . اما الرسول ﷺ فانه رحمة للأمم جميعاً وخاتم لرسل الله اجمعين . وان الله يبعثه من نسل اسماعيل ، قال في الفصل الثالث والأربعين : (الحقَّ اقول لكم إن كل نبي متى جاء فانه انما يحمل لأمة واحدة فقط علامة الله ـ ١٤ ـ ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي ارسلوا اليه ـ ١٥ ـ ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده ـ ١٦ ـ فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الارض الذين يقبلون تعليمه ـ ١٧ ـ وسيأتي بقوة على الظالمين ـ ١٨ ـ ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان ـ ١٩ ـ لأنه هكذا وعد الله ابراهيم قائلاً : « انظر فاني بنسلك ابارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا ابراهيم الاصنام تحطيماً هكذا سيفعل نسلك ») .

ثم قال : (٣١ ـ صدقوني لأني اقول لكم الحق ، ان العهد صنع باسماعيل لا باسحاق) .

الخاتمة

- مجمل دلائل نبوة محمد ﷺ
- افتقار البشرية الى رسالة محمد ﷺ
- واجب البشرية نحو محمد ﷺ :

(١) الايمان بمحمد ﷺ وأنه خاتم النبيين

(٢) طاعتــــه ﷺ

(٣) محبتــــه ﷺ

ونعرض فيها خلاصة لدلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم ، ثم نبين حاجة البشرية الى الايمان برسالته والعمل بها ايام بعثته وفي كل زمان ، سيما زماننا هذا . ونوجه الانسانية عامة دعوة لاداء واجبها نحوه ﷺ ، لتؤمن برسالته ، وتلتزم طاعته ، وتوفي مقامه الأسنى ما يستأهله من محبة واجلال .

مجمل دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن

١) اصطفى الله لرسالته محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، الذي نشأ يتيما ، وشب أميا ، واكتملت فيه الفضائل والمحامد ، حتى بلغ في كل منها الغاية القصوى من الكمال . وكان متمكنا فيها مستجمعا لها بأسرها ، وهذا أمر تنقطع أعناق الخلائق دونه إلا النبيين ، الذين عصمهم الله وسددهم . فاجتماع خصال الكمال فيه على هذا النحو من أعظم البراهين على نبوته ﷺ .

٢) حظي محمد ﷺ بوحي الله تعالى . فقد جاءه ملك الوحي الذي يُقِرُّ به أهل الكتاب جميعا . وكانت تبدو عليه حين اتصاله به وتلقيه منه آثار غير عادية ، تنبىء عما يلقاه من شدة وما يبذله من جهد في تحمل رسالة الله عن جبريل عليه السلام . ولقد شهده أصحابه وهو يوحى اليه ، فأيقنوا أن الوحي أمر الزامي ؛ خارج عن ذات محمد ﷺ ، يتنزل عليه من حكيم حميد .

٣) لقد أيد الله محمداً بالمعجزات المادية التي تحدى بها قومه ، ومن أهمها : انشقاق القمر والاسراء الى بيت المقدس . فعجزوا عن معارضتها ، فكانت شهادة إلهية ظاهرة قاطعة الدلالة على نبوته ﷺ .

٤) وأيده الله تعالى بمعجزات ودلائل عقلية كان أعظمها القرآن الكريم . فهو المعجزة العظمى وآية الآيات التي انطوت في تضاعيفها آلاف المعجزات . وهو المعجزة الخالدة على جبين الدهر ، التي تنقطع أنفاس البشر دون الاتيان بمثلها ؛ في سورة منها أو وجه واحد من وجوه اعجازها ؛ متفرقين كانوا أو مجتمعين . لقد ثبت عجز العرب عن معارضته بشكل قطعي لا مرية فيه ، دلت على ذلك أحوالهم واعترافات بلغائهم باعجازه . وحاول الدجاجلة منهم مجاراته محاولة بلغوا بها من السخف ما أثبت عجز العرب عن مجاراة القرآن . ولم تزل معجزة القرآن ماثلة للبشر تتحداهم على مر العصور وكر الدهور منذ العصر الاول لبعثة محمد ﷺ والى الأبد ، ولم يقابَلْ ذلك التحدي إلا بظهور عجز الانسان المتأصل وقصوره الدائم عن بلوغ شأو القرآن . (١)

٥) ان اعجاز القرآن كامن فيه ومنبعث من ذاته . وتلمح أوجه اعجازه في أسلوبه البياني ؛ وإخباره عن الغيب ؛ والوفاء بكل ما وعد الله فيه ؛ وسمو وشمول تشريعه ؛ وإعجازه الخلقي والاجتماعي ؛ وفي إعجازه العلمي ؛ وفي انساق نظرياته وأحكامه ؛ وفي تأثيره وفاعليته في الافئدة .

وتندرج تحت كل من هذه الأوجه معجزات عديدة منبثة في ثنايا الكتاب العزيز ، مما يدهش العقلَ ويحير اللُب ويورث اليقين بأنه تنزيل من حكيم حميد . (١)

٦) أشار القرآن الكريم الى علامات ودلائل حفت بشخص محمد رسول الله ﷺ ودلت على صدقه فقد عصمه من المعاصي والدنايا كما عصم كافة الانبياء قبله . وعاش أُميا في جزيرة الأُمية ، لم

---

(١) تفصيل ذلك في الكتاب الثاني : بينات المعجزة الخالدة .

يتصل بعلم ولم يتلقَّ من عالم شيئا . ولم يشتغل بتحصيل شيء من المعارف الدينية . فلما بلغ الأربعين من عمره ، جاء بما لا قِبل الأولين والآخرين به من علم إلهي ومعارف ربانية وحِكَمٍ وأحكام. وأظهر الخطابُ القرآني أن الرسول متلق مأمور يلقى عتبا وتوجيها من ربه تبارك وتعالى ، مما يبرهن على انفصال مصدر الوحي عن شخصه الكريم ، وأنه لا يكون إلا من رب العالمين . وعلى الرغم مما جاء الرسول ﷺ قومَه به من أنباء الغيب ، فقد أُعلن تبرؤه من علم الغيب وأنه في كل ما جاء به مبلغ عن ربه تبارك وتعالى . وقد لقي الرسول ﷺ حماية إلهية خاصة حفظته في الشدائد المدلهمة من هلاك محقق ! وقد تكفل الله له بهذه الحماية . وقد ظهر انطباق الكفالة الالهية على واقع الرسول ﷺ . فكان ذلك دليلاً على أنه محوط بعين العناية الالهية . ولا يخصه الله – تعالت حكمته – بذلك وهو يدعي النبوة إلا أن يكون مبعوثا من الله حقا وصدقا .

٧) وأورد القرآن دلائل تثبت نبوة محمد ﷺ من خلال رسالات مَنْ قبله . فقد وردت البشارات ببعثته في التوراة والانجيل ، فنصَّ القرآن على هذه البشارات ، ورآها بعض أهل الكتاب في كتبهم منطبقة تماما على محمد ﷺ فأعلنوا اسلامهم . ولم تزل أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في نسخه المعتمدة لدى أهل الكتاب تحوي بشائر ظاهرة الدلالة على نبوة محمد ﷺ . وإن نسخة إنجيل برنابا ؛ وان لم تعترف السلطات الدينية للنصارى بها ؛ تحوي علائم تجعلها في رتبة سائر الاناجيل وثوقا . وفيها نصوص شهدت صراحة وبقوة بالغة على نبوة محمد ﷺ .

٨) لم تكن دعوة محمد ﷺ ابتداعا تفرّد به ، إنما هي في جنسها وجملة محتواها مماثلة لما جاء به الرسل قبله . فقد بعث الله أنبياء ورسلاً في بني اسرائيل كموسى وعيسى وغيرهما ، فآمنت بهم جموع كثيرة عظيمة الشأن ، وشهدتْ لهم بصحة كتبهم التي تماثل القرآن في جملتها . فكان ذلك شهادة عظيمة على صحة جنس الدعوة التي بعث بها محمد ﷺ ، وبالتالي على صحة دعواه خاصة ، فانها أحد أفراد الجنس الذي شهدوا بصدقه ﷺ .

٩) وقد بعث الله محمداً ﷺ على سنن الأنبياء قبله ، فصدق بالقرآن كتبَهم وأثبتَ نبوتهم ودعا الناس للايمان بهم ، فصار كفر أهل الكتابِ به أو بكتابه كفراً بكتبهم ورسلهم . ولما كانَ القرآن حاوياً أصولَ كتبهم ومصدقا لها ومثبتا صدق رسلها ؛ فقد دل على أنه أبعد ما يكون عن أن يفترى من دون الله . فانه جاء على سننها وتنزل عند منزلها تبارك وتعالى .

١٠) لقد وفى القرآن الكريم موضوع نبوة محمد ﷺ حقه بحثا واستدلالا ، وعالجه علاجا شافيا . والقرآن هو ذاته الوحي النازل على محمد ﷺ ؛ وهو في نفس الوقت معجزته العظمى الجامعة لآلاف المعجزات وآيته الكبرى الخالدة الشاهدة على ربانية مصدره . فدلائل صدقه قائمة فيه دافقة من عيونه . وهي دلائل نقلية عقلية سديدة تشفي العليل وتروي الغليل . وقد كشف تاريخ البحث العلمي في العقائد أن أبلغ الأدلة وأوضح الطرق وأقربها الى القلب طريقة القرآن ودلائله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبلَ السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)(١) .

(١) المائدة : ١٥ ــ ١٦ .

افتقار البشرية الى رسالة محمد ﷺ

« كلما تفاقمت الظلمات اشتدت الحاجة الى النور »

لم تكن البشرية على ما يرام في القرن السادس من الميلاد ، فقد أخذ الفساد العالمَ من جوانبه كلها ، ولم يبق من النور الا شعاع خافت لا ينير طريق الهدى وانما يدل على مصدر النور .

كانت هنالك دولتان كبيرتان ، هما الفرس والروم ، أما الفرس فأخذتهم المجوسية وشغلوا عن الله وعن الحق بعبادة إلهين متقاتلين أبداً ، هما النور والظلمة . أما الروم فانقسموا شيعاً ومذاهب على معتقد لم يأت به رسول ، أشركوا بالله جل وعلا فجعلوا له ولدا ، وجعلوا لهذا الولد أماً ، فتحولوا عن الاعتقاد بالله تعالى الاله الكامل الذات الجليل الصفات الى تصور أسرة إلهية لا ندري إذا كانوا ينتظرون من نسلها الهاً آخر ! ؟

وإذا رجعنا الى تاريخ العرب في تلك الفترة ؛ وجدنا في جزيرتهم القاحلة ديانة بدائية انتشرت في أكثرهم وشاعت وهي الوثنية ، الى جانب قلة تدين ببقية الديانات المعروفة في غير الجزيرة وهي النصرانية واليهودية . وكانت الديانة المسيطرة هي الوثنية ، فكانوا يتخذون أصنامهم آلهة لهم يتقربون بها الى الله زلفى . وقد شُحنت كتب التاريخ بأسماء هذه الأصنام والأوثان ، وتبيان عدتها وما يخص منها كل قبيلة . وقد ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم كما في قوله تعالى (أفرأيتم اللاتَ والعزّى ومناةَ الثالثةَ الأُخرى) (١) . وذكر تعالى على لسان المشركين في عهد نوح (وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويعوقَ ونَسْراً) (٢) . وقد أطلق العرب هذه الأسماء على أصنام لهم واشتهر الكثير من الاصنام منها : هُبَل ـ ومناف ـ ورُضى ـ وتَيْم ـ وشمس ـ وذو الخلَصَة ـ و . . . . و . . . . و . .

---

(١) سورة النجم : ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) سورة نوح : ٢٣ وانظر روح المعاني ج ٢٩ ص ٧٧ .

ولم يكن العربُ متحدين على عبادة هذه الآلهة والأصنام ، وكيف يمكن أن يتحدوا عليها والفرد العادي يضيق صدرا بحفظ أسمائها وتعرف صفاتها وخصائصها ! ؟ لذلك اكتفى أفراد كل قبيلة بعبادة ما اتخذته قبيلته من أصنام دون سائرها .

ولم تنلْ هذه الاصنام المؤَلهة توقيراً مناسباً ، فان القبيلة كانت تتخذ صنماً من التمر أحيانا ـ وكذا الافراد ـ فاذا نزل الجوع بساحتهم حق على معبودهم ؛ الذي ناجوه وسجدوا له بالأمس ؛ أن يرتحل الى بطون العابدين ليسد سغبهم . . ! !

وقد وصف هشام بن محمد بن السائب الكلبي(١) إفراطهم في التزلف للأصنام والولوعَ بها ، فقال : (وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فاذا أراد أحدهم السفر ، كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به ، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً . فلما بعث الله نبيـه وأتاهم بتوحيـد الله وعبادته وحده لاشريك له ، قالوا : « أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً إنّ هذا لشيءٌ عُجاب »(٢) يعنون الأصنام .

واستُهتِرت(٣) العرب في عبادة الاصنام : فمنهم مَنْ اتخذ بيتاً ، ومنهم مَنْ اتخذ صنماً ، ومَنْ لم يقدر عليه ولا على بناء بيت ؛ نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت . وسموها **الأنصاب** .

فاذا كانت تماثيل دعوها الاصنام والاوثان . وسموا طوافهم : الدّوَار فكان الرجل اذا سافر فنزل منزلاً أخذ اربعة أحجار فنظر إلى أحسنها

---

(١) في كتابه: الأصنام ـ ص ٣٣ وما بعدها ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ ـ ١٩١٤م.
(٢) سورة ص : ٥ .   (٣) والاستهتار بمعنى الولوع بالشيء والافراط فيه .

فاتخذه رباً ، وجعل ثلاث أثافيَّ لِقِدْره ، واذا ارتحل تركه . فاذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك . فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها ، وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها : يحجونها ويعتمرون اليها ، وكان الذين يفعلون من ذلك في أسفارهم انما هو للاقتداء منهم بما يفعلون عندها ولصبابة بها) . ا هـ .

عندما فتح الرسول مكة ﷺ كان في الكعبة /٣٦٠/ صنماً فقط ؛ فتأمل ! ! ؟ وكان كل شيء قبل بعثة رسول الله ﷺ يشير الى سقوط المستوى الانساني سلوكاً وفكراً ووجداناً والى ضلال الناس وبُعدهم عن الاله الحق ، مما أدى بالتالي ـ نتيجة لسيطرة الجهل والخرافة والتفاهة على العقول ـ الى مظالم ومفاسد اجتماعية وخلقية لا تكادُ تحصى كوأد البنات وإرث الزوجة مع متاع الميت وظلم الأقوياء للضعفاء وإذلالهم وهيمنة العصبية القبلية والتبعية العمياء للكبراء والزعماء ؛ واستبداد النزعة العدوانية والاحتكام الى شريعة الغزو والنهب وسفك الدماء وأكل الربا ومال اليتيم ولعب الميسر وشرب الخمر وتعاطي الزنا .

وهكذا غدتْ الدنيا بكافة أصقاعها وبقاعها أحوج ماتكون إلى النور ، تنتظرهُ وتصبو اليه . وأدرك الذين عرفوا أخبار الرسل السابقين وبشاراتهم بالمبعوث رحمة للعالمين ؛ أن العالم على حافة مخاض جديد ، وأنه لا بد بعد هذا الليل الطويل الحالك أن يولد الفجر فتسطع أنواره لألاءة على الوجود كله . وهذا ما حصل فعلاً فقد ابتعث رب العالمين رسولَه محمداً عليه الصلاة والسلام رحمة منه وفضلاً لينتشل البشريةَ في طورِ رشدها من لجج الظلام الكثيف وينير لها بدعوة الله سواءَ السبيل .

قال تعالى : (الر كتابٌ أنزلناهُ اليكَ لتُخرجَ الناسَ من الظلماتِ

الى النورِ باذنِ ربهم الى صراطِ العزيزِ الحميدِ)[١] .

وقال (رسولاً يتلو عليكم آياتِ الله مبيّنات ليُخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور . .)[٢] .

وانما ابتعثه الله ليبشر الذين يستجيبون لربهم بجنته ورضاه ، ويحذر المعرضين العصاة من النار وغضب العزيز الجبار . قال تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناكَ شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من اللهِ فضلاً كبيراً)[٣] . وقال : (وكذلكَ أوحينا إليك قرآنا عربياً لتُنذرَ أمَّ القُرى ومَنْ حولَها وتنذرَ يوم الجَمْعِ لا ريب فيه فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير)[٤].

ان بعثته عليه السلام نعمة الهية ورحمة ربانية شاملة لجميع الاقوام وخاصة لقومه العرب ، اذْ لم يبعثِ الله فيهم رسولاً من بعد اسماعيل عليه السلام ، فأرسل الله محمداً ﷺ ليطهرهم بهديه من دنس الجاهلية وخبث معتقداتها . قال تعالى (لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنينَ اذْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويُعلمهمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين)[٥] .

وأتتْ بعثته بعد انقطاع الرسل انقاذاً لأهل الكتاب من دوامة تحريفهم رسالة الله وكتمان أحكامه ، قال تعالى (يا أهلَ الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّنُ لكم على فترةٍ من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيءٍ قدير[٦]) .

---

(١) سورة ابراهيم : ١. (٢) سورة الطلاق : ١٠ – ١١ .
(٣) سورة الاحزاب : ٤٥ . (٤) سورة الشورى : ٧ .
(٥) سورة آل عمران : ١٦٤ . (٦) سورة المائدة : ١٩ .

وهكذا أسعفت البعثة المحمدية كلا الفريقين الكتابيين والوثنيين ، وفكت أسارهم من ربق المعتقدات الزائفة . أخرج الشيخان في صحيحهما أن النبي ﷺ قال : (يقول الله تعالى : كذّبني ابن آدمَ ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبُه إيايَ فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أولُ الخلقِ بأهونَ عليّ من إعادته . وأما شتْمُه إيايَ فقوله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحدُ الصمدُ لم ألد ولم أُولد ولم يكن لي كفؤاً أحد) (١) .

الحاجة اليه ﷺ في زماننا :

ونحن الآن في عصر عصفت فيه رياح الشكوك بالعقول ، وطغت عليها أمواج الضلال ، وأحاط بها **طوفان من العقائد والفلسفات والمذاهب الشوهاء في الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع** ، حتى لم يعد كثير من الناس يقيم على شيء من الحق ، يصبح المرء مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل . فالعالم في ظلام دامس ، تسلطت عليه الدول الكبرى وتحكمت في مقدراته .

واتخذ الناس رؤساءهم آلهتهم ؛ وآراء زعمائهم وفلاسفتهم أديانهم ، وانتشر الهرج ، وتمكنت مفاسد الجاهلية الأولى على نحو أرسخ وأعتى ؛ كالزنى والقمار وشرب الخمر والاتجار المفتن بالأعراض والغرائز في الأفلام والأغاني والمجلات والقصص ، **وظهرت النعرات بألوان وأشكال في هيئات ومنظمات وسيطر القوي على الضعيف ، وتلاعب الماكر المخادع على الطيب المسالم ، وفشا الاحتيال على النظام والقانون وتعارف الناس على الرشوة والغش والكذب وتسربت الى صفوفهم أنماط من الخيانة والتجسس .**

(١) ـ هذا لفظ البخاري من كتاب التفسير في صحيحه .

ضروبٌ من المفاسد ، وفنون من الموبقات دخلت كل بيت وكل نفس خلسة بوسائل الاعلام كتسرب الهواء من شقوق الباب ، ونفوس مريضة هزيلة لا تطيق عن المغريات صبراً ؛ ولا تقوى على مقاومة الفتن استبد بها جوع جنسي ضار وجشعٌ مادي متكالب وعُقَدٌ نفسية وأمراض جنسية . **فالمجتمع الانساني كله يعاني من أزمات خلقية واجتماعية وإهدار للقيم والفضائل ، وتشريعات متناقضة وأحوال مضطربة ، خواء روحي ملهوف وتطلع ظامىء : هل إلى خروج من سبيل !** ؟ فيرى البصير أن الخطب أدلّهم ، وأن فِتناً عارمة سوداء ضربت أطنابها في أرجاء المعمورة فتركت الحليم حيران أسفا لا يقدر على شيء . . ؟

هذا كله في عصر نما فيه العلم التجريبي وازدهر وأعطى في ميادين الصناعة أطيب النتائج حتى توفر للانسان العادي من وسائل الرفاه ما لم يكن للملوك السابقين . فماذا منح العلم التجريبي والصناعة الناس من سعادة ؟

هل استطاعا أن يصلحا أخلاقه ؟ أم أنهما أصلحا العلاقة بينه وبين الناس ؟ انهما عاجزان عن التأليف بين الولد وأمه وأبيه ، وعاجزان عن تحسين العلاقة بين الرجل وزوجه ، وبين الأخ وأخيه . . لقد حسّنا أسباب المعيشة ووسائل التنقل وعجزا عن جعل الانسان ينعم بالاً ويطيب بالحياة والناس نفساً . لقد أضحى الناس أكثر تعقيداً واضطراباً وظهر جلياً افلاس المدنيَّة الحديثة من أسباب السعادة الحقة . وقد تنبه عقلاء أولئك الاقوام للخطر فنبهوا إليه ، وحرضوا على التمسك بالدين والقيم والفضائل ، حتى بين أحد علمائهم وكبرائهم (الكسيس كاريل) أن الانسان كان يحتاج ليذهب من أوربا الى الصين سنين ، وهو الآن يصلها في عدة ساعات بفضل العلم ، وأن ذلك ونحوه لم يوفر للانسان السعادة والطمأنينة في حياته[1] .

---

(١) الانسان ذلك المجهول – الكسيس كاريل – الحائز على جائزة نوبل العالمية للأدب – ص ٤٢ – ٤٣ – مترجم – طبع الدار القومية بمصر .

ونحن نقول : إن الانسان الذي وصل بسلطان العلم الى سطح القمر وحفظ فيه جسمه من الهلاك بألبسة واقية . قد عجز بهذا العلم أن يصون قلبه وفؤاده على سطح الأرض من ألوان التعاسة والغم والشقاء ، كما عجز أن يقيم به علاقاته مع الأهل والناس على المودة والمحبة والصفاء .

فهل أغنى الوصول الى القمر الانسانية شيئاً في دفع الشقاء والتعاسة ، وهل صانها من الاخلاق الذميمة أو أصلح ذات بينها . . ؟ ؟

أم أن الأمر لم يزل يزداد سوءاً ويتفاقم شراً . . ؟ ؟

وما السبيل الى الخلاص ! ؟

لقد عجزت اليهودية والنصرانية عن تمهيد السبيل الى خلاص الانسانية . بل كانت تعاليمها المشوهة مصدراً للشقاء وسبباً للقلاقل والفتن والبلاء . ولم يبق للانسان سبيل سوى هذه الرسالة المحمدية أن يلوذ بحماها لتنقذه كما أنقذت الانسانية بالأمس .

وما دامت في الانسان غرائز فانه معرض في هذا العصر وكل عصر للانحدار الى هاوية الشقاء ، فهو بالتالي بحاجة دائماً الى النور الذي يسلك به سبيل الرشاد . فلا بد له أن يتطلع الى مصدر النور الذي أنقذ الانسانية بأسرها . ويطمح أن يجلو به عن القلوب صدأ المادة والشهوة ؛ ويقشع عن العقول والأفئدة أغشية الأديان المحرفة والوضعية ؛ ويشق بأشعته النافذة عباب الظلام . (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً)(١) .

هذا بالنسبة الى العالم عامة ، أما بالنسبة للعالم الاسلامي خاصة فنجد أنفسنا بغنى عن بيان الآفات التي اعترته والمصائب التي اعتورته ؛ بسبب

(١) سورة الفتح : ٢٨ .

اهمال جوهر الدين والتساهل في اقامة حدود الله وعدم نشر المعارف الاسلامية بين أبناء الجيل الجديد بالقدر والتوجيه الواجبين ، حتى رست المفاسد والأضطرابات والفتن والقلاقل في ديار الاسلام العزيزة ، وانتشرت الموبقات ، وانعدمت الثقة والأمانة أو كادتا . وهكذا نجـــد أن الأمة الاسلامية لما غَيَّرت في نفسها حال التقوى والاعتصام بحبل الله المتين ؛ غيَّر الله عنها حال العز والسيادة ، فانحدرت من شاهق قمة المجــد الى حضيض البلاء والضعف ، حتى استكانت لأذل خلق الله . قال تعالى : (إن اللهُ لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم)[1] .

والحقيقة الجلية لأُولي البصائر أنه لنْ يَصلحَ أمرُ آخر هـذه الأُمة إلا بما صلح به أولها . فعلى الأُمة الاسلامية أن تغير الآن ما بنفسها من فساد الخُلق واهمال الدين ، وتُجدد الايمان وتقويه بربها وبنبيها محمد ﷺ ، وتعتصم بكتابه وبسنة رسوله ، حتى يغيرَ الله عنها ما نزل بهـا من ضُر وذُل وبلاء ، ويفتح لها أبواب السعادة والرحمة ويعقدَ لهـا ألويةَ النصر (وليَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصرُهُ إنَّ اللهَ لَقويٌّ عزيز)[2].

واجب البشرية نحو محمد ﷺ

لما بلغت البشرية ذلك الدرْك من التدني والفساد ، انكشف عياناً افتقارها الى وحي الله وهديه . ولما قامت الدلائل المتنوعة بتلك الوفرة الفريدة الباهرة فأثبتتْ نبوة محمد ﷺ وصحة رسالته ، فقد انجلى أن على جميع الأمم والشعوب واجباً حتمياً لا مندوحة عنه ، هو الايمان بنبوة محمد وطاعته ومحبته والاهتداء بهديه خاصة ﷺ .

---

(١) سورة الرعد : ١١ . (٢) سورة الحج : ٤٠ .

١) الإيمان بمحمد ﷺ

أما وجوب ذلك على جميع الامم والشعوب فلأن رسالته عالمية ، أرسله الله بها الى جميع أبناء البشرية . قال تعالى : (وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً)(١) وقال : (وأرسلناكَ للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً)(٢) . وقد أمره ربه تبارك وتعالى أن يعلن أنه رسول الانسانية ، بعثه الله لانقاذها ، قال تعالى : (قلْ يا أيها الناسُ إني رسولُ الله اليكم جميعاً)(٣) ، فهو ؛ عليه السلام برسالته ؛ الرحمةُ الالهية التي أغاث الله بها العالمين جميعا . قال تعالى : (**وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين**)(٤) .

وما كتابه الحكيم إلا ذكرى للانسانية يأخذ بنواصيها الى جوامع الخير أبد الدهر . قال تعالى : (قلْ لا أسألكم عليه أجراً إنْ هو إلا ذكرى للعالمين) (٥) . وقد نسخ لله برسالته جميع الرسائل السابقة ، فأمر العالمين بالايمان بها ، وبيَّن أن الشريعةَ التي كانت مشتهرة حين بعثته إنما هي شريعة مشوهة ؛ قد احتوت على تكاليف شاقة وأغلال كبلت بها أتباعها . وقد بعث الله محمداً ﷺ بالرسالة السمحة التي ختم بها كافة رسائله ، فرفع بها عن كواهل بني اسرائيل أثقال التكاليف الشاقة ، وحلَّ عنهم تلك القيود . قال تعالى : (الذين يتبعونَ الرسولَ النبيَ الأُميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيلِ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحِلُّ لهمُ الطيبات ويُحرم عليهم الخبائثَ ويضعُ عنهم إصرهم والأغلالَ التي كانتْ عليهم ، فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه

---

(١) سورة سبأ : ٢٨ . (٢) سورة النساء : ٧٩ .
(٣) سورة الأعراف : ١٥٨ . (٤) سورة الانبياء : ١٠٧ .
(٥) : سورة الانعام : ٩٠ .

واتبعوا النورَ الذي أُنزلَ معه أولئك هم المفلحون . قلْ يا أيها الناسُ إني رسولُ الله اليكم جميعاً الذي له ملكُ السمواتِ والأرضِ لا إله إلا هو يحيي ويميتُ فآمنوا بالله ورسولِهِ النبيِّ الأُمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)[١] .

وكما أمر الله أصحاب الديانات السابقة اتباع الرسل بالايمان بمحمد ﷺ بقوله (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي) . فقد بين لهم أن ترك الايمان به والاعراض عن هديه ودينه وانكار ذلك ؛ هو كفر محض ، ولا يخرجه عن دائرة الكفر أن فاعله مؤمن بنبي وشريعة سابقين . **فان الكفر ببعض الرسل كالكفر بجميعهم** لما فيه من التنكر للهدي الالهي وجحود الحكمة الربانية في ارسال الرسل واغفال دلالاتِ آياتِ الله التي شهد بها لرسوله بالصدق فيما يبلغ عنه تبارك وتعالى .

أضف الى ذلك أن الرسل قــد بَشَّرَ بعضهم ببعض ودعا كل منهم الى الايمان بالله ورسله جميعا . **وقد رأيت بشارات التوراة والانجيل بسيدنا محمد ﷺ فمن كفر به فقد كفر بتلك الرسالات جميعها** ، لذا فان مقتضى الايمان بالله هو الايمان بجميع رسله وخاتمهم محمد ﷺ وهذا هو سبيل النجاة الوحيد . قال تعالى : (**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً** وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورَهم وكانَ الله غفوراً رحيماً)[٢] .

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ ـ ١٥٨ (وعزروه) : عظموه . راجع ص ٦٥ ـ ٦٦ و ٢٥٩ ـ ٢٦٠ و ٢٩٩ ـ ٣٠١ .

(٢) سورة النساء : ١٥٠ ـ ١٥٢ .

وتأملْ في هذا الصدد مسلك الأستاذ بشرى زخارى ميخائيل (١) إذْ قال : (يتبين لنا أن الأدلة على ضرورة الايمان بالرسل جميعاً مساقة هنا الى أولئك الذين يؤمنون ببعض الأنبياء وينكرون البعض الآخر . **مع عجزهم ؛ كما قلنا ؛ عن اتيانهم بدليل واحد يؤكد أن الوحي كان من نصيب الرسول الذي يعتقدونه دون سائر الرسل** . كما أن المنطق نفسه يحتم **أن اثبات بعض النبوات وانكار البعض الآخر هو هدم للعقيدة الدينية كلها أياً كانت من أساسها)** .

فواجب البشرية الايمان بسيد الخلق محمد ﷺ والاهتداء بهديه الى قيام الساعة . ذلك أن الله تعالى قد بعث قبله الى كل أمة رسولاً برسالة تتناسب مع الطور الذي بلغته . فتفاوتت رسالاته تعالى ضيقاً وسعةً ؛ وشدةً ولينا ؛ حسب أحوال أهل كل زمان ومستواهم العقلي . فلما دخلت البشريةُ طور الاكتمال العقلي والرشد الانساني ؛ أرسل الله محمداً ﷺ خاتماً لأنبيائه ورسله ، وأنزلَ عليه الشريعة الاسلامية الغراء خاتمةً لرسالات الله وشرائعه ، فجاءت عالمية شاملة ، وتضمنت من القواعد العامة والاحكام الشاملة ما جعلها متلائمة مع كل البيئات ؛ محققةً مصالح البشرية في جميع العصور . **فهي الشريعة العالمية الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان** .

محمد ﷺ خاتم النبيين :

يجب علينا وعلى كافة الشعوب على مر الازمان الايمان برسول الانسانية سيدنا محمد ﷺ على أنه خاتم رسل الله ، جاءهم بخاتمة الشرائع. قال تعالى : (ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم ولكنْ رسولَ الله

(١) في كتابه (محمد رسول الله ، هكذا بشرت الاناجيل) في مقدمته ص ١٢ .

وخاتمَ النبيين) (١) .

قال الألوسي : (والخاتمَ : اسم آلة لما يختم به كالطابع لما يطبع به . فمعنى خاتم النبيين الذي خُتم النبيون به ، ومآله آخرُ النبيين . . . والمراد بالنبي ما هو أعم من الرسول ، فيلزم من كونه ﷺ خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين . والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها في هذه النشأة) (٢) .

وفي الحديث المتواتر أنه ﷺ قال : (لا نبيَّ بعدي) . وقد أجمعت الأمة الاسلامية على أن من اعتقد بنبي أوْ رسول ؛ زعم أن الله بعثه بعد سيدنا محمد ﷺ **فقد كفر** ؛ لمخالفته صريح القرآن والحديث المتواتر .
قال الألوسي : (وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب ؛ وصدعت به السنة ؛ وأجمعت عليه الأمة ، **فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصرّ**)(٣) .

وقد يعترض على كونه ﷺ آخر النبيين وخاتمهم بأنه قد تواتر عنه ﷺ نزول سيدنا عيسى المسيح ابن مريم في آخر الزمان ، وهو نبي أيضاً .

والجواب عن ذلك : نعم لقد ثبت بالتواتر نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان . وقد فصل الحديث عن ذلك الامام محمد أنور شاه الكشميري في كتابه : (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) . ونقل في ذلك أقوال أئمة الحديث كابن كثير وغيره . ثم أورد الحديث برواياته العديدة مبيناً تواتره .

---

(١) سورة الاحزاب : ٤٠ .
(٢) روح المعاني جـ ٢٢ . ص ٣٢ .
(٣) روح المعاني جـ ٢٢ ص ٣٩ .

وقد بين الألوسي رحمه الله أن لا تعارض بين نزول عيسى وكون محمد ﷺ خاتم النبيين . فقال رحمه الله : (ولا يقدح في ذلك ـ أي ختمَ النبوة بسيدنا محمد ﷺ ـ ما أجمعت الأمة عليه ، واشتهرت فيه الأخبار ، ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، ونطق به الكتاب على قول ووجب الايمان به . وأُكفر منكره كالفلاسفة ، **من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ، لأنه كان نبياً قبل تحلي نبينا ﷺ** بالنبوة في هذه النشأة . ومثل هذا يقال في بقاء الخَضِر عليه السلام على القول بنبوته وبقائه ، ثم إنه عليه السلام حين ينزل باق على نبوته السابقة لم يعزل عنها بحال . لكنه لا يَتعبد بها لنسخها في حقه وحق غيره ؛ وتكليفه بأحكام هذه الشريعة « الاسلامية » أصلاً وفرعاً . فلا يكون إليه عليه السلام وحيٌ ولا نصبُ أحكام ، **بل يكون خليفة لرسول الله ﷺ وحاكماً من حكام ملته بين أمته** ، بما عُلمه في السماء قبل نزوله من شريعته عليه الصلاة والسلام كما في بعض الآثار . أو ينظر في الكتاب والسنة ، وهو عليه السلام لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدي إلى استنباط ما يحتاج اليه أيام مكثه في الأرض من الأحكام) (١) .

ولولا أن الجهلَ والحمق قد غلبا على طائفة من الناس في بلاد الهند لما اغتروا بدعوة دجال عصره « ميرزا غلام أحمد القادياني » النبوةَ . فقد ولد هذا الشقي الأهوج سنة ١٢٥٢ هـ . وتدرج وتلوّن في دعواه تلون الحرباء ، وسلك في التعمية بكلامه على أتباعه مسالك الزنادقة والباطنية . فزعم أولاً أنه مجدد مثيل المسيح ثم زعم أنه المسيح ، ثم زعم في آخر سنة من حياته أنه رسولٌ ونبي . وظل على تضليله حتى رماه قضاء الله وقدره بالهيضة

---

(١) روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٢ .

ـ الكوليرا والاسهال ـ وسقط على وجهه في بيت الخلاء . سنة ١٣٢٦ هـ.[1]
ولعل موتته تلك من أسمى معجزاته وأبلغ الآيات الدالة على مكانته ! ؟
وقد كان خادماً أميناً لشهواته ولأغراض أسياده الانكليز ، وقد صرح
بذلك في أقواله وكتاباته . وقد نال والحمد لله بعض ما يستحق من هوان
في خاتمته ليكون عبرة لأُولي الالباب . ووصل إلى أمه هاوية ، التي
سيؤوب اليها أتباعه ، وسيحظى فيها بلقاء أضرابه من قبلُ مسيلمة والأسود
العنسي . . ومن بعدُ حتى تقوم الساعة .

ونختم هذا الطرف من بحثنا بقول عماد الدين بن كثير رحمه الله
في تفسير قوله تعالى (وخاتم النبيين) :

(فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ، ثم من
تشريفه لهم ختمُ الانبياء المرسلين به واكمالُ الدين الحنيف له . وقد أخبر
الله تبارك وتعالى في كتابه ؛ ورسولُه ﷺ **في السنة المتواترة عنه أنه
لا نبي بعده** ، ايعلموا أن كل من ادعّى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك
ودجال ضال مضل ، ولو تخرّق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم
والنيرنجات ، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب . كما أجرى الله
سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسى باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من
الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ؛ ما علم كل ذي لب وفهْمٍ وحجىً
أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله . وكذلك كل مدع لذلك الى يوم القيامة حتى
يُختموا بالمسيح الدجال . فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله
تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها . وهذا

---

(١) التصريح بما تواتر في نزول المسيح ـ محمد أنور شاه الكشميري الهندي
ص ٣٨ وما بعدها ـ نشر مكتب المطبوعات الاسلامية بحلب . وانظر حقيقة القاديانية
ـ محمد لقمان الصديقي ـ ص ٦ وما بعدها . المطبعة المنيرية ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .

من تمام لطف الله تعالى بخلقه ، فانهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق ، أو لما لهم فيه من المقاصد الى غيره . ويكون غايةُ الافك والفجور في أقوالهم وأفعالهم . كما قال تعالى ؛ « هل أُنبئكم على مَنْ تَنَزَّلُ الشياطينُ ، تَنزلُ على كل أفّاك أثيم . . » الآية (١) .

(وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فانهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه ؛ مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والادلة الواضحات والبراهين الباهرات ، فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرضُ والسموات)(٢) .

٢) طاعته ﷺ :

وطاعته ﷺ واجبةٌ على جميع الناس في كل ما جاء به من هدى . أما إنفاذ ما ورد في كتاب الله تعالى فلأنه أمر الله جل شأنه . وأما ما أُثِر من أحاديث محمد ﷺ فالعمل بها واجب ، لأنه مرسل من ربه يبلغ عنه بأمانة وصدق ، لا يقدم رأيه بين يدي حكم أبرمه الله . قال تعالى : (وما ينطقُ عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يُوحى)(٣) . ومَنْ كانَ شأنه كذلك كانت طاعته من طاعة الله تعالى ، لأنَّ الأمر في الحقيقة هوَ لله تعالى والرسول مبلغ عنه . قال تعالى : (**مَنْ يُطعِ الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً**)(٤) .

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢١ .
(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٤ والنيرنجات : الحيل .
(٣) سورة النجم : ٣ ـ ٤ (٤) سورة النساء : ٨٠ .

لذا وجب على العالمين الائتمارُ بأمر الرسول وأن يجتنبوا ما نهى عنه مراقبة لله تعالى حذراً من سخطه وسعيا لنيل رضاه . قال تعالى : (وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إنَّ الله شديدُ العقاب)[١]. وقد أوجبَ الله غاية الحذر من مخالفة توجيه رسول الله ﷺ أو عصيان أمره ، لئلا تنزل بالمخالف محنة في الدنيا أو يصيبه في الآخرة عذاب أليم . قال تعالى : (فلْيحذرِ الذينَ يخالفون عن أمره أنْ تصيبَهم فتنةٌ أو يصيبَهم عذابٌ أليم)[٢] .

وقد أفرد الله تعالى الأمر بطاعة محمد ﷺ في آيات كثيرة ؛ منها قوله : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأُولي الأمر منكم ، فانْ تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسولِ إنْ كنتم تؤمنون بالله واليومِ الآخر ذلكَ خير وأحسنُ تأويلاً)[٣] .

وليس على محمد ﷺ من بأس إنْ عصاه من عصاه ، ولكن البأس كل البأس على **من يُعرِض عن أمره ، فانه مبلغ عن الله تعالى . وهذا وجه استقلال الأمر بطاعته عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين)[٤].

وتقريراً لكون طاعة الله في طاعة رسوله فقد قرنها سبحانه وتعالى بها فقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ ورسولَه ولا تَولَّوْا عنه وأنتم تسمعون)[٥] .

وانما ذكر طاعة الله تعالى تحسيناً وتوطئة لطاعة محمد ﷺ ، فانهما

---

(١) سورة الحشر : ٧ . (٢) سورة النور : ٦٣ .
(٣) سورة النساء : ٥٩ وانظر سورة محمد : ٣٢ .
(٤) سورة التغابن : ١٢ .
(٥) سورة الأنفال : ٢٠ وانظر فيها الآية ١ و ٤٦ وفي آل عمران : ٣٢ .

المقصود في الخطاب فهي مستلزمة اطاعة الله تعالى لأنه مبلّغ عنه ، فكان الراجع إليه كالراجع إلى الله تعالى . وقد شهد لذلك إفراد الضمير (ولا تولوا عنه) يعني عن رسوله . وفيه إيماء ظاهر الى تلازم الطاعتين وتداوم الحالتين [(١)] . ومن تولى مستكبراً عن طاعة الله أو طاعة رسوله فقد كفر . وأرى أن بيان ذلك شافٍ وافٍ فيما أنزل الله من الرد على عبدالله بن أُبيّ كبيرِ المنافقين ، لما قال : (إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ، ويأمرنا أن نحبه كما أحب النصارى عيسى) فنزل قوله تعالى : (قلْ أطيعوا اللهَ والرسولَ فان تَولَّوْا فان الله لا يحب الكافرين)[(٢)].

ثمة ثمار جليلة يجتني قطافها الذين يتحققون فعلاً بطاعة سيد الرسل محمد ﷺ . أليس يكفي طائعه أن يحظى أولاً بالهداية الى الحق ! ؟ قال تعالى : (وإنْ تطيعوه تهتدوا وما على الرسولِ إلا البلاغُ المبين)[(٣)] ، ومن أطاع رسولَ الله فاهتدى بهدايةِ الله ؛ غمرته رحمةُ الله الوارفة الظلال (وأطيعوا اللهَ والرسولَ لعلكم تُرحمون)[(٤)] . ومن ثَمَّ ينال ما تصبو إليه الروح ويهفو اليه الفؤاد من حب الله تعالى له وقربه لديه وتجاوزه عن ذنوبه ، قال تعالى : (قل إنْ كنتم تُحبونَ اللهُ فاتبعوني يُحبِبْكمُ الله ويغفر لكم ذنوبكم ، واللهُ غفور رحيم)[(٥)] ، أجل ذاك شأنُ الله فيمن تحبب اليه بطاعة نبيه محمد ﷺ واتباع هديه وسنته . ولا ريب أن من نال هداية الله ورحمته وحبه وغفرانه كان ممن سلك سبيل السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة فلا تمسه النار أبدا ...

---

(١) روح المعاني جـ ٩ ص ١٦٧ وشرح الشفاء جـ ٢ ص ١٠ .

(٢) آل عمران : ٣٢ وانظر روح المعاني جـ ٣ ص ١١٥ .

(٣) سورة النور : ٥٤ . (٤) سورة آل عمران : ١٣٢ .

(٥) سورة آل عمران : ٣١ وانظر روح المعاني جـ ٣ ص ١١٤ .

روى الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إنَّ مَثلي ومَثلَ ما بعثني اللهُ به كمثل رجلٍ أتى قومه فقال: ياقومِ إني رأيتُ الجيشَ بعينيَّ وإني أنا النذير العُريانُ فالنَّجاءَ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم «فنجوا» وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانَهم فصبَّحهُمُ الجيشُ فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مَثَلُ مَنْ أطاعني واتبعَ ما جئتُ به ومَثَلُ مَنْ عصاني وكذبَ ما جئتُ به من الحق) [١].

وقد كنى الله عن فرط الحسرة وشدة الغيظ وعميق الندم وكل الذي ينتاب عصاة الرسول يوم الحساب من أحاسيس ومشاعر، فقال تعالى: (ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذتُ مع الرسولِ سبيلاً. يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكرِ بعد إذْ جاءني وكانَ الشيطانُ للانسانِ خذولا) [٢].

وأما عاقبة الذين سلكوا سبيل رسول الله طاعة لله تعالى فقد فازوا أيما فوز، قال تعالى: (ومن يُطعِ اللهَ ورسولَه فقد فاز فوزاً عظيما) [٣]. بلى إنهم فازوا برضوانِ الله فظفروا بجنات تجري من تحتها الأنهار (ومَنْ يُطعِ اللهَ ورسولَه يُدْخلْه جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) [٤]. وقد بين عليه الصلاة والسلام في الحديث

---

(١) «النذير»: هو الذي يحذر قومه من الخطر كي يستعدوا له. «العريان»: الذي لا غرض له في التحذير. فهو محذر قومه عار عن طلب مصلحة خاصة من وراء ذلك. «النجاء»: الاسراع الى المنجى والملجأ. «أدلجوا» ساروا ليلاً. «صبحهم الجيش»: داهمهم عند الصبح ـ انظر التاج الجامع للاصول ج ١ ص ٣٥. وشرح الشفاء: ج ٢ ص ١٣ ـ ١٤.

(٢) سورة الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

(٣) الاحزاب: ٧١.

(٤) سورة النساء: ١٣.

الذي رواه الشيخان أن مثَلَه :

(كمَثَلِ رجل بنى داراً وجعل فيها مأدُبة ، وبعث داعياً ، فمَنْ أجابَ الداعيَ دخلَ الدارَ وأكلَ من المأدُبة ، ومن لم يجبِ الداعيَ لم يدخلِ الدارَ ولم يأكلْ من المأدبة ... فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاعَ محمداً فقد أطاعَ الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله . ومحمد ﷺ فَرْقٌ بين الناسِ) (١) .

لعمري ومَنْ ذا الذي يزهد في تلك المكرمات ويعزف عن ذاك النعيم المقيم لمتاع رخيص أو لذة عارضة أو سبيل غاوية ! ؟ وأنى للعاقل أن يترك ذاك المقام الرفيع والصحب الأخيار في دار الخلد والقرار ! ؟ قال تعالى : (ومن يُطعِ اللهَ والرسولَ فأولئك مع الذين أنعمَ الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً . ذلك الفضلُ من الله وكفى باللهِ عليماً) (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : (كل أمتي يدخلون الجَنة إلا مَنْ أبى ! قالوا : يا رسول الله ومَنْ يأبى ! ؟ قال : مَنْ أطاعني دخل الجنة ، ومَنْ عصاني فقد أبى) (٣) .

٣) محبتـه ﷺ :

رزحت البشرية ردحاً من الزمن تحت نير مظالم اجتماعية لئيمة . وعنت وجوهها بذلة الاستكانة لآلهة مزيفة . وأُجريت عليها أحكام في

(١) التاج الجامع للاصول ج ١ ص ٣٦ ـ ٣٧ .
(٢) سورة النساء : ٦٩ ـ ٧٠ .
(٣) رواه البخاري . انظر التاج ج ١ ص ٣٦ .

الأنفس والأموال والأولاد تتنافى مع أبسط مفاهيم العدالة والمنطق السليم. فالجزيرة العربية خضعَ مجتمعها القبلي لتحكم الأشراف والاقوياء والكهنة الذين أحسنوا الاستفادة من الضلال الوثني المستبد في الناس. وبصورة عامة كانت تتنازع التحكم في البشرية امبرطوريتا الفرس والرومان . اتخذ فيها الناس بعضهم بعضا أرباباً من دون الله ، وقُسّم المجتمع فيها الى طبقات ، أدناها عامة الناس والعبيد ، وأعلاها رجال الحكومة ورجال الدين ، ومن ثَمّ طبقة الفرسان المحاربين. وذاقت الشعوب على أيدي هاتين الطبقتين من العسف والجور ما لا يطاق . حتى صار العامة وأولادهم وأموالهم ملكاً للسادة المتسلطين. فذاقت الانسانية مرارة الحرمان وقسوة الاضطهاد ورسفت في أغلالِ الذلة والهوان . فغشيتْ الدنيا بأسرها ظلمات جاهلية داكنة بعضها فوق بعض .

ومن خلال حجب الظلام الكثيف انبلج نور وضاء ساطع . فأرسل في بقاع الانسانية أشعة العقيدة الصحيحة والايمان الراسخ بالله جل شأنه، ذاك هو خاتم رسل الله محمد ﷺ. الذي قضى على الشركِ وحرر الانسان من عبادة العباد ، وهداه الى عبادة الله عز وجل ، وقوض دعائم الطبقية ، ونشر المساواة والسلام . قام بدعوته بجهاد وصبر واحتمال لمر الأذى والعدوان . عانى في سبيل انقاذ الانسانية بدعوة الله قسوة الجوع ، فكان يبيت على الطوى أياماً وليالي ، يعصب على بطنه الحجر لتهدأ فيها ثائرة الآلام . أخرجوه من بلده طريداً شريداً ، فهاجر تحت سحب تنذر بالخطر المدلهم على نفسه . أربى في احتماله الآلام على ما احتمله اخوانه المرسلين قبله ، فكان في ذلك نموذجاً فريداً . **أسبغ بجهاده ونشر دعوته على كل فرد انساني من الفضل ما تشهده الى زماننا العقول والأبصار فليست تتعامى عنه إلا أعين الحاقدين . فحقّ على البشرية أن تكرمه وأن تحمل**

له من الود الخالص والحب العميق ما يليق به؛ بالمنقذ الأعظم للانسانية.

وقد أوجب الله على الناس محبة نبيه محمد ﷺ وقرنها بمحبته تعالى فقال: (قل إنْ كانَ آباؤُكم وأبناؤُكم واخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشونَ كسادَها ومساكنُ ترضونها أحبَّ اليكم من الله ورسولهِ وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتيَ اللهُ بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (١) .

ألزم سبحانه وتعالى المسلمَ بتوجيه قلبه الى الله وتعلقِ فؤاده برسول الله حباً ووداً؛ إجلالاً لمقامه واعترافاً بفضله، فهو الذي وصلك ووصل الانسانية بحبل الله بعد انقطاعها عنه أمداً بعيداً. وقدم الله حب رسوله عليه السلام على أعز ما لدى الانسان في حياته الدنيا من أهل وعشيرة وأموال ومساكن بل توعّدَ تعالى كل عبد تعز عنده هذه الأمور، حتى تصير أحب اليه من السعي لرضوان الله والجهاد في سبيله ومن حب رسول الله واتباع أمره. وتوعّد من تردى إلى هذه الحال بعقاب في الدنيا أوْ في الآخرة أو فيهما معا. ووصفه تعالى بالفسق وأبان أنه ممن ضل، فحرمه الله هدايته الى تحقيق ايمانه.

وأنت ترى أي مكانة لرسول الله عند ربه، حتى قـدم حبه وما يستلزمه من طاعته على الجهاد في سبيل الله، فان الجهاد لا يكون إلا بمحبة رسول الله والتفاني في طاعته. **فمن لوازم المحبة الطاعة.** كقول الشاعر:

تعصي الاله وأنت تظهر حبه	هذا لعمري في القياس بديع
لو كانَ حبك صادقاً لأطعته	إن المحبَّ لمن يُحب مطيع

---

(١) سورة التوبة: ٢٣ - ٢٤، و (اقترفتموها) : اكتسبتموها . وتربصوا : انتظروا على سبيل التهديد .

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الايمان أن يكونَ الله تعالى ورسولُه أحبَّ اليه مما سواهما ، وأنْ يُحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله تعالى ، وأن يكرهَ أن يعودَ في الكفر كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النار)[١] .

فتذوقُ المسلم حلاوة الايمان والالتذاذِ بنعيمه موقوف على التحلي بخصال ثلاث ، أولها وأجلها حب الله ورسوله حباً جماً يهون في سبيله كل نفيس وعزيز . ولعمري هذا ركن في الدين ركين تتوقف عليه سعادة الدنيا والآخرة .

وعن أنس رضي الله عنه (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددتَ لها ؟ قال : ما أعددتُ لها من كثيرِ صلاةٍ ولا صومٍ ولا صدقةٍ ، ولكني أحبُ اللهَ ورسولَه قال : أنتَ مع من أحببت) .

وفي رواية ابن مسعود أن الرسول ﷺ قال : (المرء مع من أحب) .

وفي رواية لأنس عند البخاري أيضاً أن رسول الله ﷺ قال للرجل : (إنك مع من أحببت ، فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : نعم . ففرحنا يومئذ

---

(١) رواه الشيخان . وانما قال (مما سواهما) لعموم معنى (ما) . وفي تثنية ضميرهما هنا مع انكاره عليه الصلاة والسلام على خطيب ثناهما لما قال (ومن يعصهما فقد غوى) بقوله صلى الله عليه وسلم (بئس الخطيب أنت . قل ومن يعص الله ورسوله) اشارة إلى أن المعتبر في المحبتين هو مجموعهما لا كل واحدة بانفرادها . ودلالة على أن كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف ، فانه في تقدير التكرير - شرح الشفاء جـ ٢ ص ٣٤ .

فرحاً شديداً) [١] .

وفي رواية أن أنساً قال : (فلم أرَ المسلمين فرحوا فرحاً أشدَّ منـــه) [٢] .

فهنيئاً لمن بلغ تلك المنزلة وارتقى الى تلك الرتبة وفاز بتلك الصحبة .

وأنت ياسيدي يارسول الله بكل حب جدير . جزاك الله عن الانسانية عامة وعن أمتك خاصة أفضل ما جازى به نبياً رسولاً . وسلام الله عليك يا سيدي في الأولين ، وسلام الله عليك يا سيدي في الآخرين ، وصلى الله وسلم عليك وعلى آلك وأصحابك في الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

وختاماً أسأل الله ذا الجلال والاكرام أن يوفقني دائماً لخدمة الذكر الحكيم والذود عن حياضه ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

كتبه

حسن ضياء الدين عتر

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب علامة حب الله عز وجل .
(٢) فتح الباري جـ ١٠ ص ٤٢٢ .

الفهارس

١ - الآيات القرآنيــــة

٢ - الأحاديث النبويــــة

٣ - فهرس الأعلام

٤ - ثبت المراجـــع

٥ - مسرد الأبحاث

١ - الايات القرآنية *

٢ - سورة البقرة

رقم الآية		رقم الصفحة
٤٠	يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم	٢٩٢
٤١	وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم	٢٩٢
٧٥	أفتطمعون أن يؤمنوا لكم	٣٠٣
٧٦ - ٧٧	وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا	٣٠٣
٨٩	ولماجاءهم كتاب من عندالله مصدق لما معهم .. كفروا به ..	٢٩٣و٣٠٢
٩٠	بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما انزل الله	٣٠٢
٩١ - ٩٢	وإذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا	٢٩٤
٩٧	قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله	١٨١و٢٩٥
١٠١	ولما جاءهم رسول من عند الله . . نبذ فريق . . كتاب الله	٢٩٤
١٠٥	والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم	٢٠٦
١١٨	وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله . .	٧٣
١٤٣	إن الله بالناس لرؤوف رحيم	١٢٠
١٤٥	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	٣٠٤
٢٨٥	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن	٤٢

* عنيت في هذا الفهرس بايراد موطن الاستشهاد قدر الامكان .

٣ ـ سورة آل عمران

رقم الآية		رقم الصفحة
١٩	إن الدين عند الله الاسلام	٢٩١
٣١	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	٢٥٠و٢٥٢و٣٥٩
٣٢	قل اطيعوا الله والرسول	٣٥٩
٤٥ ـ ٤٦	إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه	٨١
٤٧	قال كذلك الله يخلق ما يشاء	٨١
٤٥	وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم	٤٥
٥٩ ـ ٦٠	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب	٨٢
٦١	فمن حاجك فيه .. فقل تعالوا ندع أبناءنا .. ثم نبتهل ..	٢٤٠
٦٤	يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم ..	١٥٨
٧٤	يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم	٢٠٤
١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا	٢٦
١١٠	كنتم خير امة اخرجت للناس	١٤٧
١٢٣	إذْ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم	١٢٦
١٣٢	وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون	٣٥٩
١٣٩	ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون	٤٦
١٤٤	وما محمد إلا رسول ... أفإن مات أو قتل انقلبتم	٧٢
١٥٩	فبما رحمة من الله لنت لهم ..	١١٤و١١٥و١١٦
١٦١	وما كان لنبي أن يغل	٢٥١
١٦٤	لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً	٣٤٦

رقم الآية		رقم الصفحة

٤ - سورة النساء

١٣	ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات . .	٣٦٠
٤١	فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك	١٣٣
٥٩	يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول	٣٥٨
٦٩ - ٧٠	ومن يطع الله والرسول	٣٦١
٧٩	وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً	٥١و٣٥١
١٠٥	إناأنزلنااليكالكتاببالحق لتحكمبين الناس بما أراك الله	١٧٨و٢٧٢
١٠٦-١١٠	واستغفر الله . . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم	٢٧٢
١٥٠	إنالذينيكفرونباللهورسلهويريدونأنيفرقوابيناللهورسله	٤٣و٣٥٢
١٥٠-١٥٢	. . ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض . . أولئك هم الكافرون حقاً	٤٣و٣٥٢
١٦٣-١٦٤	إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده	١٦٩
١٦٤	وكلم الله موسى تكليماً	١٨١
١٦٥	رسلاًمبشرين ومنذرينلئلايكونللناس علىالله حجة بعدالرسل	٤٠
١٧١	يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق	٨٤-٨٥

٥ - سورة المائدة

١٥-١٦	قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله . .	٣٤٢
١٩	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا . . يبين لكم على فترة من الرسل	٣٤٦
٤٧	وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب	٢٩٥

رقم الآية		رقم الصفحة
٥٤	أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين	١٢٩
٦٧	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك	٥١و٢٨٤
٧٣	لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة	٨٢
٧٤	أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم	٨٢
٧٥	ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل	٨٣

٦ - سورة الأنعام

رقم الآية		رقم الصفحة
٨ - ٩	وقالو لولا أُنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر	٧٧
٢٠	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	٣٠٤
٥٠	قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب	٦٩و٢٧٤و٢٧٥
٧٤	ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده	١٤٩
٨٣-٨٦	وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه	٤٣
٩٠	أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده	٣٩،٣٩و١٤٩و٣٥١
٩١	وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر . .	١٦٦
٩٢	وهذا كتاب أنزلناه مبارك	١٦٧
٩٤ - ٩٩	إن الله فالق الحب والنوى . .	٢٦٣
١٠١-١٠٦	بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد	٢٦٣
١١١	ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى	٧٦
١١٤	والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق	٣٠٥
١٢٤	وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن . .	٢٠٤
١٢٤	الله أعلم حيث يجعل رسالته	٤١و٢٠٤
١٦٢-١٦٣	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين	١٣٤

رقم الآية		رقم الصفحة

٧ - سورة الأعراف

١ - ٢	المص كتاب أنزل اليك	٢٦٧
٥٩	لقد أرسلنا نوحاً ... فقال : يا قوم اعبدوا الله ..	٣١
١٥٥-١٥٦	واختار موسى قومه سبعين رجلا	٢٠٠
١٥٦-١٥٨	فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة	٣٠١
١٥٧-١٥٨	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل . .	٥١و٦٥و٢٤١و٢٥٩و٢٩٢و٣٥١
١٥٨	قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا	٢٦٠و٣٥١
١٨٨	قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله	٢٧٤

٨ - سورة الأنفال

٢٠	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله	٣٥٨

٩ - سورة التوبة

٢٤	قل إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم . . أحبَّ اليكم من الله ورسوله	٣٦٣
٢٥	لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم	١٢٧
٣٠	وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى . .	٨١
٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله	٨١
٤٠	إلا تنصروه فقد نصره الله إذْ أخرجه الذين كفروا	٢٨١
٦١	ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذن	١١٣
١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم	١١٩و٢٣٧

رقم الآية		رقم الصفحة

١٠ - سورة يونس

١	الر تلك آيات الكتاب الحكيم	٢٦و٦٨
٢	أكان للناس عجباً أنْ أوحينا الى رجل منهم	٦٨
١٥	قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي . .	٣٢٩
١٦	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به . .	٢٤٥و٢٦٢
٣٧	وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله . .	٢٩٥
٤٧	ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط ..	٣٤

١١ - سورة هود

١	الر كتاب أحكمت آياته . . .	٢٦
٢٧	فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا	٦٧
٣١	ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ..	٦٧
٤٩	تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها ...	٢٣٩و٢٦٤

١٢ - سورة يوسف

١٠٨	قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة . .	٢١

١٣ - سورة الرعد

١١	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . .	٣٥٠

رقم الآية		رقم الصفحة

١٤ - سورة إبراهيم

رقم الآية		رقم الصفحة
١	الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات ..	٣٤٥
١٠	قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا . .	٦٨
١١	قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم . . .	٦٨

١٥ - سورة الحجر

رقم الآية		رقم الصفحة
٩	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .	٢٦و٢٦٨
٩٤	فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين .	٦١
٩٩	واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .	١٣٣

١٦ - سورة النحل

رقم الآية		رقم الصفحة
٤٤	وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم . .	١٦
٩٨	وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .	٢٢٩ت
٩٩-١٠٠	إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا . .	٢٢٩ت
١٠٢	قل نزله روح القدس من ربك بالحق . .	١٨٢و٢١٩
١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . .	٢١٩
١٢٧	واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم . .	١١٢

١٧ - سورة الاسراء

رقم الآية		رقم الصفحة
١٥	من اهتدى .. وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً	٤٠

رقم الآية		رقم الصفحة
٧٨ – ٧٩	أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ..	١٣٠
٨٥	ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ..	٢٠٢ت
٨٦ – ٨٧	ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك . .	٢٦٨
٩٠ – ٩٣	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ..	٧٠و١٧٢
٩٤ – ٩٥	وما منع الناس أن يؤمنوا . . إلا أن قالوا : أبعث الله بشراً رسولاً . .	٧٥

١٨ – سورة الكهف

٦	فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا . .	١١٢و١٢٠
١١٠	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي . . .	٦٩

١٩ – سورة مريم

٦٤	وما نتنزل إلا بأمر ربك . . .	٢٠١
٨٩ – ٩٤	وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً	٨٤

٢٠ – سورة طه

١١٤	ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ..	٢٠٣و٢٦٧
١٣٠	فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك . .	١٣٣
١٣٤	ولو أنا أهلكناهم لقالوا ربنا لولا أرسلتَ إلينا رسولاً . .	٤٠

٢١ – سورة الأنبياء

٧ – ١٠	وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم . .	٦٩

رقم الآية		رقم الصفحة
١٨	بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق	٢٣٠
٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . .	٦٩
٤٢	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . .	٣٢
١٠٧	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .	٤٢و٦٢و٣٥١

٢٢ – سورة الحج

رقم الآية		رقم الصفحة
٤٠	ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز	٣٥٠
٧٥	الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس . .	٤١و٢٠٦

٢٣ – سورة المؤمنون

رقم الآية		رقم الصفحة
١	قد أفلح المؤمنون . .	١٩٦
٢٣	ولقد ارسلنا نوحاً إلى قومه . .	٧٤
٢٤	فقال الملأ الذين كفروا . . . ولو شاء الله لأنزل ملائكة	٧٤
٣٣	ما هذا إلا بشر مثلـــكم . .	٦٧
٤٥	فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا . .	٦٧

٢٤ – سورة النور

رقم الآية		رقم الصفحة
٢٤	وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين .	٣٥٩
٦٣	فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة . .	٣٥٨

٢٥ – سورة الفرقان

رقم الآية		رقم الصفحة
٦	قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض	٢٦٤و٢٦٧

رقم الآية		رقم الصفحة
٢٠	وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ..	٧١
٢١	وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة ..	٧٢و٧٦
٢٢	يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين . .	٧٧
٢٧-٢٩	ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً..	٣٦٠
٥٦-٥٧	وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً قل ما أسألكم عليه من أجر..	١٣٤

٢٦ - سورة الشعراء

١٩٢	وانه لتنزيل رب العالمين . .	٢٦٧
١٩٣-١٩٤	نزل به الروح الأمين على قلبك . . .	١٨٢-٢٦٧
١٩٦	وإنه لفي زبر الأولين	٢٩١
٢١٠-٢٢٢	وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم . . .	٢٢٨
٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين . .	٦١و١١٠
٢٢١	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين	٩٤و٣٥٧

٢٧ - سورة النمل

٦	وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم .	١٨٥و٢٦٩

٢٨ - سورة القصص

٨٦	وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك	٢٦٧

٢٩ - سورة العنكبوت

٤٨	وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك . .	٢٥٩و٢٦١

رقم الآية		رقم الصفحة

٣٠ ـ سورة الروم

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها	٣٣

٣٣ ـ سورة الاحزاب

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٢١	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . .	٢٥٠و٢٥٢
٢٠ ـ ٢٩	يا أيها النبي قلْ لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا ..	١٣٩
٤٠	ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله ..	٥١و٣٥٣
٤٥ ـ ٤٦	يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . .	٥١و١١٠و١٤٢و٣٤٦
٤٦	ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم . .	١١٠و١١١
٥٩	يا أيها النبي قل لأزواجك .	٥١
٧١	ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً .	٣٦٠

٣٤ ـ سورة سبأ

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٢٨	وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ..	٣٥١
٤٧	قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم . .	١٣٤

٣٥ ـ سورة فاطر

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٨	فلا تذهب نفسك عليهم حسرات . .	١١٢
٣١	والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقاً ..	٣٩٥

رقم الآية		رقم الصفحة
	٣٧ ـ سورة الصفات	
٣٧	بل جاء بالحق وصدّق المرسلين .	٢٩٦
١٠٢	يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك	١٨٠
	٣٨ ـ سورة ص	
٥	أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب	٣٤٤
٨٦ ـ ٨٨	قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين	٩٧و١٣٤و٢٧٦
	٤٠ ـ سورة غافر	
٧٨	ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ..	٤٣
	٤١ ـ سورة فصلت	
٣٧	ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس..	٢٧٨
٤١ ـ ٤٢	وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل . .	٢٦و٢٦٨
	٤٢ ـ سورة الشورى	
٧	وكذلك أوحينا قرآنا عربياً لتنذر . .	٣٤٦
٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب..	١٦٤و١٧٧
٥٢ ـ ٥٣	... ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ...	٥٧و٦٠

رقم الآية		رقم الصفحة

٤٣ ـ سورة الزخرف

٣١ ـ ٣٢	وقالوا لولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ..	٢٠٥

٤٤ ـ سورة الدخان

١٣ ـ ١٤	أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول أمين . .	٢٢٦

٤٥ ـ سورة الغاشية

٢٤	وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا . . إنْ هم إلا يظنون .	٣١
٢٦	قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة . .	٣٢

٤٦ ـ سورة الأحقاف

٩	قل ما كنت بِدْعاً من الرسل . .	٢٩٠
١٠	. . . وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ...	٢٩٠و٣٠٧
٣٥	واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل .	١١١

٤٨ ـ سورة الفتح

٢٧	لقد صدق الله رسولَه الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام..	١٨٠
٢٨	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . .	١٢٨و٣٤٩
٢٩	محمد رسول الله والذين معه .. تراهم ركعاً سجداً ..	١٢٩

رقم الآية		رقم الصفحة

٥٠ ـ سورة ق

٣٧	إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد	١٧٩
٣٩ ـ ٤٠	فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس...	١٣٣
٤٥	نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار ..	٦٢ت

٥٢ ـ سورة الطور

٣٩	واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ...	١١١

٥٣ ـ سورة النجم

٣ ـ ٤	وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى	٣٢٩
١٩ ـ ٢٠	أفرأيتم اللات والعزى ومناة ...	٣٤٣

٥٧ ـ سورة الحديد

٢٥	ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات ... ليقوم الناس بالقسط .	٣٥

٥٩ ـ سورة الحشر

٧	وما آتاكم الرسول فخذوه ...	٣٥٨

٦١ ـ سورة الصف

٦ ـ ٧	... ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ...	٣٠٨و٣٢٥

رقم الآية | رقم الصفحة

٦٢ - سورة الجمعة

٢ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ٢٥٧-٢٥٨و٣٢٠

٦٤ - سورة التغابن

١٢ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ٣٥٨

٦٥ - سورة الطلاق

١١ رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج ... ٣٤٦

٦٦ - سورة التحريم

٣ فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ٤٥

٦٧ - سورة الملك

١٤ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ٣٦

٢٨ قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا

٦٨ - سورة القلم

١ - ٣ . . . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . . . ٩٥

٤ وإنك لعلى خلق عظيم ٣٦و٩٥و٩٧و١٠٠و٢٣٨

٦٩ - سورة الحاقة

٣٨ - ٤٣ فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول... ١٥٧و٢٢٦

٤٤ - ٤٧ ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين... ٢٥٥و٢٧٨

رقم الآية		رقم الصفحة

٧١ - سورة نوح

رقم الآية		رقم الصفحة
٢٣	ولا تذرن وَدّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا	٣٤٣
٢٦ - ٢٧	وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا	١٥٢

٧٢ - سورة الجن

رقم الآية		رقم الصفحة
٢٠	قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا	٧١
٢١ - ٢٣	قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ...	٧١

٧٣ - سورة المزمل

رقم الآية		رقم الصفحة
١ - ٢	يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا	١٩٨
٥	انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً	١٩٢و٢٦٧
١٥ - ١٦	إنا أرسلنا إليكم رسولاً ... كما أرسلنا الى فرعون ...	٢٨٩

٧٤ - سورة المدثر

رقم الآية		رقم الصفحة
١ - ٥	يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر	١٨٩و١٩٨
٥٢	بل يريد كل امرىء أنه يؤتى صحفاً منشرة	٢٠٤

٧٥ - سورة القيامة

رقم الآية		رقم الصفحة
١٦ - ١٩	لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه .	٢٠٣و٢٦٦

٧٦ - سورة الدهر

رقم الآية		رقم الصفحة
٢٣	إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً	٢٦٧

رقم الآية		رقم الصفحة

٨٠ ـ سورة عبس

١ ـ ١٦	عبس وتولى أن جاءه بالأعمى وما يدرك لعله يزكى	٢٦٩ ـ ٢٧٠

٨٧ ـ سورة الأعلى

١٨ ـ ١٩	إن هذا لفي الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى	٢٩٥

٨٨ ـ سورة الغاشية

٢١ ـ ٢٤	فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر	٦٢و١٠٣

٩٣ ـ سورة الضحى

١ ـ ١١	. . ما ودعك ربك وما قلى . .	٥٦و٥٧و٥٨
	ألم يجدك يتيماً فآوى . .	و١٠٦

٩٦ ـ سورة العلق

١ ـ ٣	اقرأ باسم ربك الذي خلق . .	٦١و١٨٦و١٩٣
١٩	واسجد واقترب	١٣٣

٩٧ ـ سورة القدر

١	إنا أنزلناه في ليلة القدر	٢٦٧

١١١ ـ سورة المسد

١	تبت يدا أبي لهب وتب	٦٢

٢ ـ الأحاديث النبوية

	الصفحة
أتيت رسول الله وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزير المرجل	١٣٢
أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن	٣٠٥
أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي	١٨٣و١٨٤و١٨٨و١٩٤و١٩٥
أرني النبي ﷺ حين يوحى اليه	١٩٠
اقرأ عليّ القرآن	١٣٣
الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله . . .	١٩٢
اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين	٥٦ت
الله أكبر ذو الملكوت والجبروت	١٣١
اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا	١٤١
اللهم اليك أشكو ضعف قوتي	١٥٣
اللهم حوالينا ولا علينا	٢٣٩
اللهم سلطْ عليه كلباً من كلابك	٢٣٩
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	٢٣٩
أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم	١٠٢
أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة	١٠٧
أنا وكافل اليتيم في الجنة	١٠٨
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب	١٢٨و٢٨٥
أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر	٣٠٦

الصفحة

أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي ١٩٦
أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الاعمى ٢٦٩
انضحوا الخيل عنا ولا نؤتَيَنَّ من قبلكم ١١٤
إنْ كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ١٣٨
إنا كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق ١٢٥
إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ٢٥٧
إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ٢٤٢
أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: متى الساعة؟ ٣٦٤
أن رجلاً جاء الى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه ١٠٩
إن روح القدس نفث في روعي ١٨٤
إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه ٣٦٠
انما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ ٢٧٥
انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ٣٦و١٥١
أن هرقل أرسل اليه «الى ابي سفيان» في ركب من قريش .. ١٥٥و١٥٨و٩٨و٢٥٥
إني لست أبكي إنما رحمة ١١١
أول ما بدىء به رسول من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ١٦٥ و ١٨٥ و١٩٣و٢١٧
بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكيء على عسيب إذ مر اليهود ٢٠٢ت
بينا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء ١٨٨
تقتلك الفئة الباغية ٢٤٢
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ٣٦٤

الصفحة

ثم كتب هرقل الى صاحب له برومية	١٥٨
جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله ﷺ	٢٤٠-٢٤١
جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية . .	٢٨١
خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط	١٠٧
خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر	٢٨٤
رؤيا الأنبياء وحي	١٨٠
فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة	١٣٠ت
فوالله مارام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد . . حتى أنزل عليه	١٩٥
كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير	١٠٨
كان النبي ﷺ أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة	١١٦
كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه	١١٧
كان إذا أوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء	١٢١
كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس	١٢٦
كان رسول الله يقوم يصلي حتى تنتفخ قدماه	١٣١
كان ﷺ يقوم الليل باثنتي عشرة ركعة ثم يوتر	١٣١
كان فراش النبي ﷺ في بيته مسحاً	١٣٨
كان رسول الله إذا أنزل عليه يسمع عند وجهه دوي	١٩٥
كان النبي يحرس حتى نزلت هذه الآية « والله يعصمك . . »	٢٨٣
كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة	١٨٩
كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ	٢٧٧
كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً	٣٦١
كلا والله مايخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم	٩٧ و٢٥٣

الصفحة

	الصفحة
كل مولود يولد على الفطرة	٣٣
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى	٣٦١
كنت مع النبي وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه	١١٧
كنا إذا أتينا في سفر على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله	٢٨٢
لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	١٠٣
لا تقولي هذا وقولي ما كنت تقولين	٢٧٣
لكنّ رسول الله لم يفر	١٢٨
لما أنزل الله عز وجل « وأنذر عشيرتك الأقربين »	٦١
لما كذبه قومه . . ناداه ملك الجبال	١١٨و١٥٣
لا نبي بعدي	٣٥٤
لا نورث ما تركنا فهو صدقة	١٤٢و١٤٣
مابي ماتقولون ماجئتكم . . أطلب أموالكم . . ولا الملك عليكم	١٣٧
ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً	١٤٢
ما ترك رسول الله إلا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة	١٤٢
ما تقولون أني فاعل بكم فقالوا : أخ كريم	١١٩
ما خير رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا أختار أيسرهما	١١٦-١١٧
ما سمعت رسول الله يقول الأحد . . أنه من أهل الجنة إلا لعبدالله من سلام	٣٠٧
ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من الخبز	١٣٨
ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما	٢٨١
ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ . .	٩٧
ما هممت بشيء مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين	٢٥٣

	الصفحة
ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا	٢٠١
من دخل دار أبي سفيان فهو آمن	١١٩
وإن كان ليوحى اليه وهو على ناقته فتضرب جرانها	١٩٧
والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم	٣٢٧
ولقد مات ومافي بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير	١٣٩
هذا خلق محمد ﷺ نعته الله عز وجل به	١١٥
يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة	٦٢و٤٢
يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً	٧١
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار	١٣٠ت
يقول الله تعالى كذبني ابن آدم	٣٤٧
يا عدي هل رأيت الحيرة	٢٤٢



٣ - فهرس الاعلام

آ

ابراهيم الخليل ٤٣ و ٤٨ و ٧٨ ت و ٨٨ و ١٥١ و ١٨٠ و ١٧٠ و ١٧١ و ٢٩٥ و ٣٣٦ .
ابراهيم بن محمد ﷺ ٢٧٦ و ٢٧٧
ابراهيم البيجوري ٥٠ ت
ابن الأثير ١٦٣ و ١٦٤ و ١٨١ و ١٩٧ ت
اجنتس جولد تسهر ٢١ و ٢١١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ ت و ٢٢٦
ادريس ٤٤
آدم ٤١ و ٤٤ و ٨٢ و ٢٩١ و ٣٣٤
آدوم ٣١٠ و ٣١٨
ارم ٣٠٢
آردو ٣٢٣ و ٣٢٤
أرميا ٣١٠
أحد ١٢٦
أحمد ٤٨ ت و ٦١ و ١٢٥ ت و ١٥١ ت و ١٩٦ ت و ١٩٧ ت ٢٧٥ و ٢٧٨ ت
الأحمر ١١٨
الأزهر ١٥ و ١٦ ت
الأزهري ١٦ ت
أسامة بن زيد ٢٧٥
اسحاق ٤٣ و ١٥١ و ١٦٩ و ٣١٩ و ٣٣٦
أبو اسحاق الاسفرايني ٢٥٠
ابن اسحاق ٧٧ و ت ١٦٩ و ٢٠٢ و ٢٤٠ و ٢٧٣ و ٢٨٣
اسرائيل ٤٨ و ٨٨ و ٢٣٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٩ و ٣٠١ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٨ و ٣٤٢ و ٣٥١
الاسباط ١٦٩
أسير بن عروة ٢٧١
الاسكندر ٣١٠
اسماعيل ٤٣ و ٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٦٩ و ٢٩٠ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٣٤ و ٣٦٦ و ٣٤٦
الاسود العنسي ٣٥٦
أشعيا ٣١٠ و ٣١٢
ابن أبي الأصبع المصري ٨٣
بنو الأصفر ١٥٨
أغابوس ٣١٣
أفريقية ٢٤٤

اكسفرد ٣٣٠
الآلوسى ٤٧ و ٨٤ و ٨٦ و ٩٦
و ١١٧ ت و ١١٥ و ١٥٤ و ١٦٣ ت
و ١٧٠ و ١٧٩ و ١٨٠ و ٣٥٤ و ٢٥٥
البرنس ايوجين سافوي ٣٣٠
الكسيس كاريل ٣٤٨
الياس ٤٣ و ١٥٠
الياس فرحات ١٤٧
الياس قنصل ١٤٨ و ٢٧٩
أبو أمامة ٤٨ ت
أميل درمنغام ٢١١ و ٢١٦ و ٢١٧
و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٦
أمية بن خلف ١٣٧
أمية بن الصلت ٢١٧
الانجيل ٥١ و ٦٦ و ٨٧ و ٢٤١
٢٩٤ و ٢٩٥ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٨
و ٣١٠ و ٣٤١ و ٣٥١
الانجيليون ٣١٥
انجيل برنابا ٢٩٧ و ٣٢٥ و ٣٢٩
و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٤ و ٣٣٥
و ٣٤١
انجيل لوقا ٣١١
انجيل يوحنا ٣١١ و ٣١٥ و ٣٢١
و ٣٢٢
ابن الأنباري ١٦٤
أنس بن مالك ١٠٧ و ١١٧ و ١٢٧
و ٢٨١ و ٢٨٢ ت و ٣٦٤
الأنصار ٣٠٢ و ٣٠٧ ت
انطاكية ٣١٣ و ٣٣٣
أهل الكتاب ٢٠ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٣٤٦
الأوس ٢٩٣ و ٣٠٢
أورشليم ٣١١ و ٣١٣ و ٣٣٣
أوربا ٣٤٨
ايلياء ١٥٥
ايليا ٣١١ و ٣١٢
أم أيمن ١١١
أيوب ٤٣ و ١٥٠ و ١٦٩ و ١٧٠
ايرينايوس ٣٣٠

(ب)

بابل ٣١٠
بحيرى ٢١١ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٥٢
و ٢٨١
البخاري ٣٣ ت و ٣٦ ت و ٥٦ ت
و ٦٢ ت و ٧١ ت و ٩٧ ت و ٩٨ ت
و ١٠٣ ت و ١٣٣ ت و ١٥١ ت
و ١٥٨ و ١٨٥ و ١٨٨
و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩٥ و ١٩٦ ت

و ٢٠١ و ٢٢٥ و ٢٤١ ت و ٢٤٢
و٢٥٣ و٢٧٥ ت و ٢٨١ ت و٢٨٢ت
و ٢٨٣ ت و ٢٨٤ و ٢٨٦ و ٣٠٥
و ٣٠٧ و ٣٤٧ ت و ٣٦١ ت
و ٣٦٤ ت .
بخت نصر ٣١٠
بدر ١١٣ و ١٢٥ و ٢٧٤
براكلي طوس ٣٢٣
بروسيا ٣٣٠
البراء بن عازب ١٢٨ و ٢٨٢ ت
برنابا ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤
ابن بري ٤٦
البزار ١٣٨ و ٢٢٧ ت
بشر بن البراء بن معرور ٢٨٦ و ٣٠٣
بشر بن أبيرق ٢٧٠
بشرى زخاري ميخائيل ١٤١ و١٤٢
و ٣١٦ و ٣٣١ و ٣٣٣ و ٣٥٣
بصرى ١٥٧ و ٢١٤ و ٢١٦
أبو بكر ١٤٢ و ١٤٦ و ٢٢١
و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢
أبو بكرة ٢٧٧
بلال ٢١٨
بودلي ١٤١
بولس الرسول ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٣٣
البيضاوي ١٨٢ و ٢٩٢
بيت المقدس : ٣٣٩
البيهقي ٣٣ ت و ٣٦ ت و ١١٨ ت
و ١٢٥ت و ١٥١ت و١٩٦ت و ١٩٧
و٢٣٥ و ٢٤٤ و ٢٥٣ ت و٣٠٦ت .

(ت)

الترمذي ١٩ ت و ٦٢ ت ٧٨ ت
و ١٠٦ ت و ١٠٧ ت و ١٠٨ ت
و ١٠٩ ت و ١١١ ت و ١١٦ ت
و ١١٧ ت و ١٣١ ت و ١٣٢ ت
و ١٣٣ ت و ١٣٨ و ١٣٨ ت
و ١٣٩ ت و ١٤١ ت و ١٤٢ و١٨٣
و ٢٤١ ت و ٢٦٩ و ٢٧٣ و ٢٨٤ت
تقي الدين السبكي ٢٥٠
التوراة ٤٨ و ٥١ و ٦٥ و ٦٦ و١٦٧
و ١٧٠ و ١٧١ و ٢٢٣ و ٢٤١ و٢٩٢
و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٣٠٠ و٣٠١
و ٣٠٥ و٣٠٦ و ٣١٠ و ٣١٢ و٣٢٠
و ٣٢١ و ٣٤١ و ٣٥١
توماس كارليل ١٤٠و ١٤٤ و ١٤٥
تيم ٣٤٣
ابن تيمية : ٢٧ و ٣٧ و ٤١ و ٤٦
و ٤٧ و ٤٨ و ٢٥٥ ت و ٢٥٦ و٣٣٢

(ث)

بنو ثقيف ١١٢ و ١٥٢
ثمود ٦٧ و ٧٤
ثوبان ٢٤٢
الثوري ٢٧٥

(ج)

جابر بن عبد الله الانصاري ١٨٨
و ٢٧٧ ت و ٢٨٨
الجارود بن العلاء ٣٠٩ و ٣٢٥
الجاحظ ٤٨
الجاهليين ٢٢٥
جبريل ٦١ و ٧٨ ت و ٨٦ و ١١٨
و ١٦٥ و ١٧٦ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣
و ١٨٤ و ١٨٧ ت و ١٩٢ و ٢٠١
و ٢٠٢ و ٢٦٦ و ٢٩٥ و ٣٣٩
جرهم ٤٩
ابن جرير الطبري ٧٠ ت و ١٣٦
و ١٦٧ و ١٩٣ و ٢٦٩ و ٢٨٤ ت
الجزيرة العربية ١٠٢ و ١٠٣ و ١٤٦
و ١٦٩ و ٢١٦ و ٢١٩ و ٢٤٢ و ٣٦٢
الجعرانة ١٩٠
جعفر بن أبي طالب ٣٠٩ و ٣٢٥
جلاسيوس الأول ٣٣١
جندب بن سفيان ٥٦ ت
ابن الجوزي ٤٨ ت
الجوهري ٤٦
أبو جهل ١٣٧

(ح)

الحارث بن هشام ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٨
ابن أبي حاتم ٢٧٧ ت و ٢٨٤ ت
الحاكم ٣٦ ت و ٤٨ ت و ٦٢ ت
و ١٥١ ت و ١٨٤ و ١٨٦ و ٢٧٣
و ٢٨٤ ت
أبو حامد الغزالي ٢٧ و ٨٦
ابن حبان ٤٨ ت و ٢٨٣ ت و ٣٠٦ ت
الحبشة ٥٩ و ٣٠٩ و ٣٢٥
الحديبية ١٥٥ ت
حذيفة بن اليمان ١٣١ و ٢٤٠
الحجاز ٢٤٣ ت و ٢٦٣
ابن حجر ٥٦ ت و ٩٨ و ١٨٤ ت
و ٢٣٥ ت
الحرم ٣٤٤ و ٣٤٥
حزقيال ٣١٠
ابن حزم الاندلسي ٣٣٢
حسان بن ثابت ٢٧٢ ت و ٣٠٨

الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم ١٢١ و ١٤٢
الحسن البصري ١١٥ و ١٩٢
أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ٥٠ ت و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠٢
حسنين مخلوف ٦٥ ت
حسين بن مسعود البغوي ١٣٦ ت
حفصة ١٣٨ و ١٤٢
حمزة بن عبد المطلب ١١٨ و ١١٩ و ١٢٤
حمص ١٥٨
حُنين ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨
بنو حنيفة ١٤٦
الحيرة ٢٤٢
الحواريون ٣١٤ ت
أبو حيان الاندلسي ٨٥ و ٨٦ و ٩٦ و ١٧٩ و ١٨٠

(خ)

الخازن ١٥١
خديجة بنت خويلد ٩٧ و ٩٨ و ١٦٨ و ١٨٦ و ١٨٧ و ٢٠٧ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢٥٣
الخزرج ٢٩٣ و ٣٠٢
ابن خزيمة ٢٧٧ ت
الخضر ٣٥٥
خليل سعادة ٣٣١
خليل مطران ١٤٧

(د)

دانيال ٣١٠
داود ٤٨ و ٧٨ ت و ١٥٠ و ١٦٩ و ١٧٠
داود بن سلمة ٣٠٣
أبو داود ١٠٧ ت و ١١٧ ت و ٢٤٢ ت و ٢٧٥
دحية الكلبي ٧٨ ت و ١٥٧ و ١٨٤
أبو الدرداء ١١٧
ابن ابي الدنيا ١٨٤

(ذ)

ذات الرقاع ٢٨٣ و ٢٨٤
ذو الكفل ٤٤
أبو ذر ٤٨ ت
ذو الخلصة ٣٤٣
الذهبي « الحافظ » ٤٢ ت و ٦٢ ت و ٢٥٣

(ر)

الرازي « فخر الدين محمد بن عمرو »
٢٧ و ٢٨ ت و ٨٠ و ٨٧ و ٩٦
و ١٠٠ و ١٠١ و ١٤٤ و ١٥٠ و ١٥٤
و ١٧١ و ١٧٨ و ١٨٠ و ١٨٣ و ١٩٢
و ٢٠٦ ت و د ٢٣٥ ت و ٢٣٦ و ٢٣٧
و ٢٣٨ و ٢٥٠ و ٢٥٨ و ٢٦٤
الراغب الاصفهاني ٤٥ و ١٦٣ و ١٦٤
و ١٨٣ و ١٩٧ ت
ابن راهويه ٤٨ ت و ٢٥٣ ت
الربيع بنت معوذ الانصارية ٢٧٤
رحمة الله الهندي ٣١٥ و ٣١٦
الرشيد « هارون » ٨٧
رشيد رضا ٣١١ ت و ٣١٦
رشيد سليم الخوري ١٤٧
رضى ٣٤٣
رفاعة بن زيد ٢٧١
الروح الامين ١٨٢
روح القدس ١٨٢ و ١٨٤ و ٢١٩
و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٦ و ٣٢٧
و ٣٢٨ و ٣٣٣
الروم ٥٩ و ١٤٦ و ١٥٥ و ١٥٧
و ١٥٨ ت و ٣٤٣
رومية ١٥٨ و ٣٢٠
رينيه ٢١٦

(ز)

الزبور ١٦٩ و ١٧٠
الزجاج ١٦٣ ت
الزرقاني ١٨١ و ١٩٦
الزركشي ١٩٤ ت
زكريا ٤٣ و ١٥٠
الزمخشري ٦٥ ت و ٢٩٢
زهير بن أبي سلمى ١٤٧
الزهري ١٠٢
زيد بن ثابت ١٩٦ و ١٩٨
زيد بن خالد الجهني ١٣١
زيد بن حارثة ١٠٢
زيد بن سمنة ٣٠٥ و ٣٠٦
زينب ١١١
زين العراقي « الحافظ » ٢٥٠

(س)

ساعير ٣١٨ و ٣٢١
السامري ٢٩٩
ابن السائب ١٧٦
ستيواخنت ٣٢٠

السدي ٣٠٤
سراقة بن مالك ٢٨١ و ٢٨٢
السعد التفتازاني ٥٠ ت و٢٥٠ و ٢٥٢
ابن سعد ٤٢ ت و ٦٢ ت و ١٥١ت
أبو السعود ٩٦
سعيد بن أسد بن موسى ٢٧٨ ت
سعيد حوى ٢٠ ت
سعيد بن جبير ١٦٧ و ١٨٩
سعيد بن زيد بن عمر ١٢٤
سكن ١٦٩
سكتس الخامس ٣٣٠
سلافة بنت سعد ٢٧٢ت و ٢٧٣ت
سلام بن مشكم ٣٠٣
سلمان الفارسي ٢٣٧
أم سلمة ٢٧٥
سليمان ٤٨ و ١٥٠ و ١٦٩
أبو سفيان ٥٥ و ٩٨ و ١١٩ و١٣٧
و ١٥٨ و ٢٥٥
أبو سفيان بن الحارث ١٢٨
السها ٢٢٢
سواع ٣٤٣
السيد ٢٤٠
سيناء ٢١٦ و ٣٢١
سيبويه ٤٦
السيوطي ٣٦ ت و ١٠٣ت و ١٧٧

(ش)

الشام ٧٠ و ١٤٦ و ١٥٥ و ٢١١
و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢٥٢
و ٢٦٣ و ٣٢٥
شاول ٣٣٣
شعيب ٤٤ و ٦٧
شهر بن حوشب ١٩٦
شيبة بن ربيعة ١٣٧
الشيخان ١١٧ ت و ١١٨ ت و١٢١ت
و ١٢٦ ت و ١٢٨ ت و ١٣٨و١٣٩
و ٢٧٥ و ٣٤٧ و ٣٦٠ و ٣٦١و٣٦٤
أبو الشيخ الاصبهاني ١١٥ و ١٦٧
و ٢٧٣

(ص)

صالح ٤٤ و ٦٧
الصفا ٦١
صفين ٢٤٢
الصين ٢٢٧ و ٣٤٨

(ط)

الطائف ١٥٢ و ٢٠٥
أبو طالب ٥٥ و ١٥٢ و ٢٠٨ و ٢١٤
و ٢١٥ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٨٠
الطبراني ٣٣ ت و ١٢٥ ت و ١٦٧
و ١٩٦ ت و ٣٠٦ ت
الطبري ٥٦ ت و ١٦٧ و ٢٢٧ ت
و ٢٥٣ ت و ٢٧٣
أبو طلحة ١٠٧ و ١٢٦
طيء ٢٤٣

(ع)

عائشة ٧٨ ت و ٩٧ و ١١٦ و ١١٧
و ١٣١ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٢ و ١٦٥
و ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٨ و ١٩٣ و ١٩٥
و ١٩٦ و ٢١٨ ت و ٢٦٩ و ٢٨٣
عاد ٧٤ و ٣٠٢
عدي بن زيد ١٦٩
العاقب ٢٤٠
أبو العالية ٣٠٣ و ٣٠٤
عامر بن فهيرة ٢٨٢
عامر بن سعيد ٣٠٧
عباس بن عبدالمطلب ٧١ و ٢٨٥
ابن عباس ٦١ و ١٠٨ و ١٢٧ و ١٣١
و ١٣٦ و ١٥٥ و ١٥٨ و ١٨٩ و ١٩٤
و ٢٠١ و ٢٧٧ ت و ٢٣٩ و ٣٠٣
عبدالجبار « القاضي » ٥٨ و ٢٥٨
عبدالرحمن بن عوف ١٣٨
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ٢٤٢
عبد السلام بن ابراهيم اللقاني ٥٠ ت
عبد العلي محمد الانصاري ١٨٠
ابن عبد البر ١٥١ ت
عبدالله التيمي ١٦٣ ت
عبدالله بن سلام ٢٢١ و ٢٩١ و ٣٠٤ ت
و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٩
عبدالله بن سعيد ١٣٢ ت
عبد الله بن الشحير ١٣٢
عبد الله بن عبد المطلب ٢١٥
عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٠٥
عبد الله بن مسعود ١٣٢ و ١٣٣
عبد الله بن عمر ٣٠٤ ت
عبد الله يوركي حلاق ١٤٧
عبد الله بن أبي سلول ١١٣ و ١١٤
و ٣٥٩
عبد المطلب ٥٥ و ٦١ و ٢١٤ و ٣٠٦
عبد المسيح ٢٤٠
عبد الوهاب النجار ٣٢٣
أبو عبيدة بن الجراح ٢٤٠ و ٢٤١

عبيد بن عمير ١٨٠
عتبة بن ربيعة ١٣٧ و٢٢٧
عتبة بن أبي لهب ٢٣٩
عدي بن حاتم ٢٤٢ و ٢٤٣ت و٢٤٤
عثمان بن عفان ١٤٦
عثمان بن مظعون ١١١
عجم ١٢٠
العراق ٧٠ و ١٤٦ و ٢٤٣ ت
العرب ١٥ و ٢١ و ٢٥ و ٢٦ و ٤٦
و ٥٩ و ١١٣ و ١٢٠ و ١٥٦ ت
و ٢٠٣ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٣٠٣
و ٣١٩ و ٣٤٠ و ٣٤٣ و ٣٤٤
و ٣٤٦
عروة بن مسعود الثقفي ٢٠٥
العزى ٢١٥ و ٢٥٢ و ٣٤٣
عزير ٨٠ و ٨١ و ٩١
عطاء بن يسار ١٧٥ و ٣٠٥
عقبة بن أبي معيط ٢٠٢
علوي عباس المالكي ١٨٢
علي بن أبي طالب ١١٦ ت و ١٢٥
و ١٤٢ و ١٤٦ و ٢٤٢
علي بن أبي بكر الهيثمي ٢٧٨
علي بن محمد الجرجاني ٤١
أبو علي الفارسي ١٧٨ و ١٨٠
علي بن قيس الواقدي ٨٧
عمار بن ياسر ٢٤٢
عمر بن الخطاب ١٠٣ ت و ١٠٩
و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٤٢ و ١٤٤ و١٧٨
و١٧٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و
١٩٥ و ٢٢١ و ٣٠٦
عمر بن عبد العزيز ٢٤٤
ابن عمر « عبدالله » ١٨٤ و٢٥٧ ت
و ٢٧٧
عمرو بن الحارث ١٤٢
عياض « القاضي » ١٠٦ت و ٢٥٠
عيسى ابن مريم ١٨ و ٤٣ و ٤٨
و ٦٣ و ٦٦ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢و ٨٤
و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨ و ١٠٥ و ١٦٨
و ١٧٠ و ٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٩٤و ٣٠٧
و ٣١٠ و ٣١٢ و ٣١٤ و ٣١٥و ٣٢٨
و ٣٤٢ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٩
بنو عيسو ٣١٨

(غ)

غار ثور ٢٨٠
غار حراء ٦٠ و ٦١ و ١٦٨و١٨٦
و ١٩٣ و ١٩٨ و ٢٠٧ و ٢٢٣و٢٢٤
غورث بن الحارث ٢٨٣

(ف)

فاران ٣٢١
الفارقليط ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٦
و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩
فارس ١٤٢ و ٢٤٢
فاطمة الزهراء ١٤٢
فاطمة بنت الخطاب ١٢٤
فرا مرينو ٣٣١
فرعون ٦٧ و ٢٨٩ و ٢٩٩
فرنسا ٢٢٧
الفرس ٥٩ و ١٤٦ و ٢٤٣ت و٣٤٣
و ٣٦٢
فنحاص ١٦٧
بنو فهر ٦٢
فيينـا ٣٣٠

(ق)

قادس ٣١٨
أبو قبيس ١١٨ ت
قبرص ٣٣٣
القبط ٣٢٥
قتادة ١٧٥ و ١٩٢ و ٣٠٤
قتادة بن النعمان ٢٧٠ و ٢٧١و٣٠٢
ابن قتيبة ١٧٦
القدس ١٥٥ ت
القرآن الكريم في معظم صفحات الكتاب
قريش ٦٨ و ٦٩ و ٧١ و ٧٤و١١١
و ١٣٧ و ١٥٢ و ١٥٥ و ١٦٧و٢٠٢
و ٢١٥ و ٢٢٧ و ٢٥٣ و ٢٨٠و٢٨٣
القسطلاني ١٧٧
قس بن ساعدة الايادي ٢١٧
قطرب ٤٩
قطورا ٣١٩
قيصر ٢٤٢
قورش ٣١٠

(ك)

كارلو نلينو ٣٢٣ و ٣٢٤
ابن كثير ٥٧ ت و ٦٥ ت و٩٤
و٩٦ و ١٩٢ و١٩٧ ت و ٢٠١
و٢٠٦ ت و ٢٤١ ت و ٣٥٦
كريمر ٣٣٠
كسرى ٢٣٩ و ٢٤٢ و ٢٤٣
الكعبه ٦٩ و ١٦٧ و ٢٤٢ و٣٠٩
و ٣٤٥
الكلبي ١٦٧
كلوديوس قيصر ٣١٣

(ل)

اللات ٢١٥ و ٢٥٢ و ٣٤٣
لبيد بن سهل ٢٧١
بنو لؤي ٦١
لوراراغ ٣٣١
لونسدال ٣٣١
لوط ٤٣ و ٧٨ ت
أبو لهب ٥٦ ت

(م)

محمد رسول الله ﷺ في معظم صفحات الكتاب
الماتريدي ١٧٩
ابن ماجه ١٣٨ ت و ١٤١ ت و ٢٤١ ت
مارون عبود ١٤٨
مالك بن أنس ٢٤٤ ت
مالك بن نبي ٢٠٨
مالك بن الصيف ١٦٧
محمد أنور شاه الكشميري ٣٥٤ و ٣٥٦ ت
محمد بن أحمد السفاريني ٣٨ ت
محمد بيرم ٣٣٢
محمد توفيق صدقي ٣٢٩ ت
محمد رشيد رضا ٣٢٩ و ٣٣٢
محمد بن سلمة الحراني ٢٧٣
أبو محمد عبدالله بن عبد الحكم ٢٢٤ ت
محمد عبدالله دراز ١٠٣ و ٢٢١ ت
محمد عبده ٥٨ و ٦٠ ت
محمد لقمان الصديقي ٣٥٦ ت
محمد محمد السماحي ١٧
محمد بن منظور الأفريقي ١٦٣
محمد بن المرتضى اليماني (ابن الوزير) ١٠٠
محمود شلتوت ١٧
محمود بن لبيد ٢٧٨ ت
مخيريق ٣٠٩
المدينة المنورة ٢٨٢ ت و ٢٩١
مدين ٢١٦
مريم ٨١ و ٨٦ و ٨٧
ابن مردويه ٢٨٣ ت
ابن مسعود ١٨٤ و ٢٧٧ ت
مسلم بن الحجاج ٣٣ و ٦٢ ت و ٧١ ت و ٩٨ ت و ١٠٨ ت و ١٣٣ ت و ١٣٨ و ١٤١ و ١٨٠ و ١٨٣ و ١٩٠ ت و ١٩١ و ٢٢٥ و ٢٤١ ت و ٢٤٢ ت و ٢٧٣ و ٢٧٥ ت و ٢٧٧ ت و ٢٨١ ت و ٢٨٣ ت و ٣٠٧

مسلم بن ابراهيم ٢٨٤ ت
مسيا ٣٣٥
المسيح ابن مريم ١٨ و ٨١ و٨٣
و ٨٥ و ١٤١ و ٣١١ و ٣١٢ و٣١٣
و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧
و ٣١٨ و ٣٢٠ و٣٢١ و ٣٢٢ و٣٢٤
و ٣٢٥ و٣٢٦ و ٣٢٧ و٣٢٨ و٣٣٢
و ٣٣٣ و ٣٣٥ و ٣٣٦
مسيلمة ٣٥٦
مصر ١٤٦ و ٢٤٢ و ٣١٠ و ٣٢١
معاذ بن جبل ٣٠٢
المغيرة بن شعبة ٢٧٧
ملا علي القاري ١٠٦ ت و ١١٨ت
مقاتل ١٧٦
المقوقس ٣٢٥
مكة ٤٦ و ٦٩ و ١٢٧ و ١٥٢و٢٠٢
و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢١٤ و٢١٥و٢٢٣
و ٢٦١ و ٢٨٠ و ٣٢١ و ٣٤٤
ابن أم مكتوم ٢٦٩
مناة ٣٤٣
مناف ٣٤٣
ابن المنذر ٧٧ ت و١١٧ ت و٢٧٣
منفليس ٣٢٤
منكهوس ٣٣٠
موسى ٤٣ و ٤٨ و ٦٦ و ٦٧ و١٥٠
و ١٦٧ و ١٧٠ و ١٨١ و ١٨٧و٢١٧
و ٢١٨ و ٢٢٩ و٢٨٩ و ٢٩٤ و ٢٩٥
و ٣٠٠ و ٣٠٦ و ٣٠٨ و ٣١٢ و٣١٧
و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢١ و ٣٤٢
أبو موسى الأشعري ٢٨٤ و ٣٦٠
ميسرة ٢١٦
محى الدين عبدالحميد ٢٢٧ ت
مي زيادة ١٤٧
ميراز غلام أحمد القادياني ٣٥٥

(ن)

نافع ٤٥
النجاشي ٣٠٩ و ٣٢٥
النسائي ٦٢ ت و ١٢٥ ت و ١٨٤
و ١٩٠ ت و ١٩٦ ت و ٢٧٨ ت
و ٢٤١ ت و ٣٠٧
نسراً ٣٤٣
النصارى ٢٠ و ٨٠ و ٨١ و ٨٤
و ١٦٦ و ٢١١ و ٢٤٢ و٢٩٧و٣٠٩
و ٣٢٥ و ٣٢٩ و ٣٣٢ و ٣٣٤
و ٣٤١ و ٣٥٩
نصارى نجران ٢٢١ و ٢٤٠
النصرانية ٢١٧ و ٢٢٣ و ٣٤٣و٣٤٩

النضر بن الحارث ٢٠٢
بلو النضير ٣٠٣
نعيم بن عبدالله ١٢٤
أبو نعيم ٢٠٦ ت
نقولا حنا ١٤٧
نوح ٤٣ و ٦٦ و ٦٧ و ٧٤ و١٥١
و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٧٠ و ١٧١
النووي ١٨٢
نينوى ٣١٠

(ه)

هاجر ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠
هارون ٤٣ و ٦٧ و ١٦٩
هبل ٣٤٣
هرقل ٩٨ و ١٥٥ و ١٥٧ و ١٥٨
و ٢٥٥
أبو هريرة ١٣٠ و ١٣١ ت و ١٤٢
و ١٥١ ت
اين هشام ١٢٤ و١٢٥ تو٢١٤و٢٥٢
هشا بن محمد السائب الكلبي ٢٤٤
هوازن ١٢٧ و ١٢٨ و ٢٨٥
هود ٤٤
هويت ٣٣٠
الهيثمي ١٥١ ت و ١٩٦ ت

(و)

الواقدي ٢٨٣
الوثنية ٣٤٣
وداً ٣٤٣
ورقة بن نوفل ١٦٨ و ١٨٧ و ١٨٨
و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢١١ و ٢١٤و٢١٧
و ٢١٨ و ٢٢٥
وحشي ١١٩
الوليد بن المغيرة ٢٠٥
وليم مور ٣٢٤

(ي)

يثرب ٢٨٠ و ٢٨١
يحيى ٤٣ و ١٥٠ و ٣١٢
يحيى بن سعيد ٢٤٤
اليسع ٤٣
يسوع ٤٨ و ٣١٥
يعقوب ٤٣ و ١٥١ و ١٦٩
يعلى ١٩٠
أبو يعلى ٣٣ ت و ٢٦٩
يعوق ٣٤٣
يغوث ٣٤٣
اليمن ٣٥٦

اليمامة ٣٥٦
اليهود ٨٠ و ٨١ و ١٦٦ و ١٦٧
و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢
و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٢١ و ٢٢٣ و ٢٨٩
و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٣٠٢ و ٣٠٣
و ٣٠٤ ت و ٣٠٧ و ٣٠٩ و ٣١٠
و ٣١١ و ٣٢٤ و ٣٤٩
اليهودية ١٦٨ و ٣٠٦ و ٣٤٣
يوسف ٤٣ و ٤٨ و ١١٩ و ١٥٠
أبو يوسف ١٨٠
يوشع ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩
اليونان ٢٩ ت و ٣٢٠ و ٣٢١
يونس ٤٣ و ١٥٠ و ١٦٩



٤ - ثبت المراجع

آ - القرآن الكريم وعلومه

القرآن الكريم كتاب الله تبارك وتعالى .
جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - طبعة مصطفى البابي الحلبي الثانية وطبعة دار المعارف - مصر .
مفاتيح الغيب - المشهور بالتفسير الكبير - الفخر الرازي - ط. عبد الرحمن محمد - مصر .
البحر المحيط - محمد بن حيان الاندلسي - مطبعة السعادة - مصر .
الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد الانصاري القرطبي - ط. دار الكتب المصرية .
الكشاف عن غوامض التنزيل - محمود بن عمر الزمخشري - الطبعة الثانية - المكتبة التجارية الكبرى - مصر .
تفسير القرآن العظيم - عماد الدين بن كثير - طبع عيسى البابي الحلبي - مصر .
إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبو السعود العمادي - الطبعة الأولى طبع المكتبة الحسينية المصرية .
لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد « الخازن » الطبعة الاولى - بولاق .
مدارك التنزيل وحقائق التأويل - عبدالله النسفي - المطبعة الاميرية - بولاق.
معالم التنزيل - للحسين بن مسعود البغوي - مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٧ هـ

فتح القدير ــ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ــ ط . مصطفى البابي الحلبي ــ مصر .
أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ عبد الله بن عمر البيضاوي ــ مكتبة الجمهورية ــ مصر .
الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ــ سليمان بن عمر العجيلي ــ طبع عيسى البابي الحلبي ــ مصر .
روح المعاني ــ محمود الألوسي ــ الطبعة المنيرية الاولى ــ مصر .
المفردات في غريب القرآن ــ الراغب الأصفهاني ــ طبعة مصفى البابي الحلبي ــ مصر .
صفوة البيان لمعاني القرآن ــ حسنين مخلوف ــ ط . مصر .
تفسير جزء عم ــ محمد عبده ــ مطابع الشعب ــ مصر .
تفسير القرآن الكريم « المشتهر بتفسير المنار » محمد رشيد رضا ــ المطبعة الرابعة مكتبة القاهرة .
محاسن التأويل (تفسير القاسمي) ــ محمد جمال الدين القاسمي ــ ط مصر .
التفسير الموضوعي ــ آمالي الشيخ محمد السماحي ــ للدراسات العلمية بكلية أصول الدين بالأزهر .
إعجاز القرآن ــ أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ــ دار المعارف ــ مصر .
بديع القرآن ــ ابن أبي الأُصبع المصري ــ طبع نهضة مصر .
البرهان في علوم القرآن ــ محمد بن عبدالله الزركشي ــ عيسى البابي الحلبي بمصر .
الاتقان في علوم القرآن ــ جلال الدين السيوطي ــ الطبعة الثالثة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر .
مناهل العرفان ــ محمد عبد العظيم الزرقاني ــ الطبعة الثالثة ــ عيسى البابي الحلبي ــ مصر .

ب - الحديث النبوي وعلومه

صحيح الامام البخاري - ط. عيسى البابي الحلبي - مصر .
صحيح الامام مسلم - ط. عيسى البابي الحلبي. مصر سنة ١٩٥٥ .
جامع الترمذي - مطبعة الصاوي - مصر .
المجتبي « سنن النسائي » - المطبعة الميمنية - مصر .
سنن أبي داود - المطبعة التجارية - مصر .
سنن المصطفى - محمد بن يزيد بن ماجه القزويني - المطبعة التازية - مصر.
المستدرك - للحاكم النيسابوري - ط. الهند .
مسند الامام أحمد - المطبعة الميمنية - مصر .
أخلاق النبي ﷺ وآدابه - محمد عبد الله بن حيان الأصبهاني - مطابع الهلال - مصر .
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي - ط. مصر .
جامع الأصول من أحاديث الرسول - أبو السعادات مبارك بن محمد ابن الأثير الجزري - مطبعة السنة المحمدية - مصر .
الأدب المفرد - البخاري - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ط. مصر .
فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد - فضل الله الجيلاني - ط. مصر .
الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي - المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير - للجلال السيوطي - ترتيب يوسف النبهاني - دار الكتب العربية الكبرى بمصر .
التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول - منصور علي ناصيف - عيسى البابي الحلبي - مصر .
التصريح بما تواتر في نزول المسيح - محمد أنور شاه الكشميري الهندي - تحقيق عبدالفتاح أبوغدة - نشر مكتب المطبوعات الاسلامية - حلب .

فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمـــد بن حجر العسقلاني ـ المطبعة الخيرية للخشاب ـ مصر .
المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ النووي ـ المطبعة الأزهرية .
فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ محمد عبدالرؤوف المناوي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر .
النهاية في غريب الأثر ـ مبارك بن محمد الجزري بن الأثير ـ ط. عيسى البابي الحلبي ـ مصر .
الشفاء للقاضي عياض ـ ط . مصر .
شرح الشفاء ـ علي القاري ـ المطبعة العثمانية ١٣١٦ هـ .
الشمائل المحمدية ـ للترمذي ـ وشرحها ـ للبيجوري ـ المكتبة التجارية .
الفوائد الجليلة البهية شرح الشمائل المحمدية ـ محمـــد بن قاسم بن جسوس ـ طبعة أولى ـ محمد علي صبيح وأولاده ـ مصر .

جـ ـ العقيدة وعلم الكلام

أعلام النبوة ـ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ـ المطبعة البهية مصر.
المواقف في علم الكلام ـ عبدالرحمن الأيجي ـ مطبعة العلوم ـ مصر.
شرح المواقف ـ علي بن محمد الجرجاني ـ مطبعة السعادة ـ مصر .
الأربعين في أصول الدين ـ للفخر الرازي ـ ط. الهند .
لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ـ محمد السفاريني ـ مطبعة المنار ـ مصر .
عصمة الأنبياء ـ الفخر الرازي ـ ط . مصر .
النبوات ـ تقي الدين أحمد بن تيمية ـ المطبعة المنيرية ـ مصر .
الرد على المنطقيين ـ أحمد بن تيمية ـ المطبعة القيمة ـ بمباي بالهند .

تثبيت نبوة سيدنا محمد ﷺ - الامام الهادي يحيى بن الحسين مخطوط - صورته في دار الكتب المصرية برقم ٢٩٠٨٩/ب علم الكلام .

اثبات النبوات - لأبي يعقوب السجستاني - مخطوط - صورته في دار الكتب المصرية برقم ٢٦٩٨٤/ب علم الكلام .

تثبيت دلائل النبوة - القاضي عبدالجبار - نشر دار العربية - بيروت.

المسامرة شرح المسايرة - الكمال بن أبي شريف - المطبعة الأميرية بولاق .

شرح العقائد النسفية للتفتازاني - مطبة كردستان بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .

حاشية عبدالحكيم السيالكوتي على حاشية الخيالي على شرح العقائد النفسية.

تحفة المريد على جوهرة التوحيد - ابراهيم البيجوري - طبعة ثانية بالازهر بمصر .

شرح جوهرة التوحيد - عبد السلام بن ابراهيم اللقاني - تحقيق محي الدين عبد الحميد - ط . مصر .

ايثار الحق على الخلق - ابن الوزير - مطبعة الآداب والمؤيد بالقاهرة.

اظهار الحق - رحمة الله الهندي - المطبعة المحمودية - مصر .

رسالة التوحيد - محمد عبده - الطبعة الرابعة عشرة - دار المنار - مصر .

مذكرات التوحيد للسنة الرابعة بكلية أصول الدين - محمود أبو دقيقة - مطبعة العلوم .

النبأ العظيم - محمد عبدالله دراز - مطبعة السعادة - مصر .

الوحي المحمدي - محمد رشيد رضا - طبعة خامسة - محمد علي صبيح وأولاده - مصر .

د ـ أصول الفقه

فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت ـ عبدالعلي الأنصاري ـ الطبعة الاولى ـ الاميرية ـ مصر .
التلويح على التوضيح ـ سعد الدين مسعود التفتازاني ـ طبع محمد علي صبيح وأولاده .
تسهيل الوصول الى علم الاصول ـ محمد عبدالرحمن محلاوي ـ ط مصر .
أصول الفقه ـ محمد الخضري ـ طبعة رابعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
أمالي أصول الفقه ـ لطلاب السنة الرابعة بكلية الشريعة بدمشق ـ أحمد فهمي أبو سنة .

هـ ـ السيرة والتراجم

سيرة ابن هشام ـ تحقيق محي الدين عبدالحميد ـ ط مصر .
الروض الأنف ـ عبدالرحمن السهيلي ـ المطبعة الجمالية ـ مصر .
شرح المواهب اللدنية ـ للزرقاني ـ المطبعة الازهرية ـ مصر .
الاصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر .
قصص الأنبياء ـ عبدالوهاب نجار ـ ط القاهرة سنة ١٩٦٦ .

و ـ علوم اللغة العربية وآدابها

لسان العرب ـ محمد بن منظور الأفريقي المصري ـ الطبعة الأميرية .
القاموس المحيط ـ محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ـ الطبعة الأميرية الثالثة.

تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد بن مرتضى الزبيدي ـ ط. مصر .
من وحي القرآن ـ شعر نقولا حنا ـ ط. سورية .
المسرحية ـ دكتور عمر الدسوقي ـ ط. خامسة دار الفكر العربي مصر .
تاريخ الشعر العربي الحديث ـ أحمد قبش ـ ط دمشق .
أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ـ جورج صيدح ـ ط ثالثة بيروت .

ز ـ موضوعات متنوعة

العقد المنظم في أقسام الوحي المعظم ـ علوي عباس المالكي ـ ط. مصر .
سيرة عمر بن عبدالعزيز أبو محمد عبدالله بن عبد الحكم ـ ط. القاهرة .
مقدمة ابن خلدون ـ مطبعة التقدم بمصر .
الأصنام ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي ـ المطبعة الاميرية .
لمحات في وسائل التربية الاسلامية وغاياتها ـ الدكتور محمد أمين المصري ـ ط. دمشق .
النبوة والانبياء في ضوء القرآن ـ أبو الحسن الندوي ـ ط القاهرة .
القرآن والنبي ـ الدكتور عبدالحليم محمود ـ ط. مصر .
الظاهرة القرآنية ـ مالك بن نبي ـ ط. مصر .
القتال في القرآن ـ محمود شلتوت ـ ط. مصر .
العقيدة والشريعة ـ محمود شلتوت ـ ط. مصر .
محمد رسول الله ، هكذا بشرت الاناجيل ـ بشرى زخارى ميخائيل ـ ط. مصر .
محمد رسول الهدى والرحمة ـ مقال من كتاب الابطال ـ توماس كارليل ـ معرّب .

حقيقة القاديانية ـ محمد لقمان الصديقي ـ ط المنيرية .
الانسان ذلك المجهول ـ الكسيس كاريل ـ مترجم ـ ط . الدار الفومية بمصر .
الامة العربية في معركة تحقيق الذات ـ محمد المبارك ـ ط دمشق .
انجيل برنابا ـ مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة .
الكتاب المقدس ـ نشر جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الادنى ـ بيروت .
العقيدة والشريعة في الاسلام ـ اجناس جولد تسيهر ـ معرّب ـ الطبعة الثانية بمصر .



٥ - مسرد الابحاث

٧	الاهـــداء
٩	التقريظ
١٢	شكر
١٣	خطبة الرسالة :
١٣	الحاجة الى هذا الموضوع
١٥	أغراض بحث الموضوع
١٥	أسلوب التفسير الموضوعي عماد نهج هذه الرسالة .
١٧	عرض لأبحاثِ الرسالة وبيان مزاياها .

الباب التمهيدي

افتقار الانسانية الى الرسل

٢٥	الأدلة القرآنية
٢٩	افتقار الانسانية إلى بعثة الرسل :
٢٩	١) الهداية الى الله
٣١	٢) الهداية إلى أمر الآخرة
٣٢	٣) تلبية الفطرة الانسانية بالدين الحق
٣٤	٤) الهداية الى المعاملات الصالحة
٣٥	٥) الهداية الى الأخلاق القويمة
٣٦	٦) بيان العقوبات الزاجرة

٣٨ ٧) الحاجة الى الداعية القدوة
٣٩ ٨) تحقيق عدل الله وحكمته ورحمته .
٤١ وجوب الايمان بالرسل
٤٥ النبي والرسول وبيان الفرق بينهما .
٥١ تشريف محمد ﷺ بالنبوة والرسالة .

الباب الاول

تعريف القرآن بمحمد ﷺ

الفصل الاول

نشأته وبعثته في القرآن

٥٥ نشأته الطاهرة .
٥٨ إبطال زعم أحد السفهاء : أن النبي كان مشاركاً في ضلال الجاهلية
٦١ بعثتــه ﷺ .

الفصل الثاني

أوصاف محمد ﷺ في القرآن

٦٥ رسول أمي مبشر به .
٦٦ بشرية الرسل جميعا .
٦٨ بشرية نبينا محمد ﷺ .

٧٢	**افتراضات تعلل بها المشركون لعدم ايمانهم :**
٧٢	أولا ــ تطلب التلقي عن الله مباشرة ، وبيان استحالة ذلك بما قرره العلم الحديث في حدود طاقة الانسان.
٧٤	ثانيا ــ طلبهم أن ينزل الله ملكا يبلغ الناس .
٧٦	ثالثا ــ تطلب انزال ملائكة على محمد لتشهد بصدقه .
٧٧	رابعا ــ طلبهم ارسال ملك على هيئة بشر شاهد للرسول.
٨٠	وجه الحكمة في بشرية الرسل .
٨٠	**بشرية عيسى عليه السلام بالأدلة العقلية والقرآنية .**
٨٧	أناجيلهم تثبت بشرية عيسى .

الفصل الثالث

أخلاق محمد ﷺ ودلائلها على نبوته

٩٣	**سمو أخلاقه يثبت نبوته :**
٩٤	آ ــ تدليل القرآن بأخلاقه على نبوته .
٩٩	ب ــ استدلال العلماء بأخلاقه على نبوته .
١٠٥	**نماذج حية من أخلاقه عليه الصلاة والسلام :**
١٠٦	١) رعايته الايتام والارامل والفقراء .
١١٠	٢) صبره ﷺ .
١١٣	٣) لين جانبه ﷺ .
١١٩	٤) رأفته ورحمته ﷺ .
١٢٤	٥) شجاعتـــــه ﷺ .
١٢٨	٦) خشوعه وتعبده ﷺ .
١٣٤	٧) ترفعه عن الاغراض الشخصية ﷺ .

١٣٨ آ - رضاه بالعيش الخشن في الشدة والرخاء .
١٤١ ب - لم يترك ميراثاً لأهله الاعزاء .
١٤٣ ثبات أخلاقه وسريانها الى أهله وخاصته يثبت رسالته .
١٤٧ عقلاء النصارى الأدباء يهتدون بأخلاقه .
١٤٩ محمد خير رسل الله كلهم .
١٥٥ نموذج باهر من استدلال العقل السوي على نبوته .

الباب الثاني

اثبات القرآن لنبوة سيدنا محمد ﷺ

الفصل الاول

ظاهرة الوحي

١٦٣ الوحي في اللغة
١٦٤ الوحي في الشرع .
١٦٦ **منهج القرآن في إثبات الوحي :**
١٦٦ أولا - منهجه مع أهل الكتاب .
١٦٨ الوحي طابع الأنبياء جميعاً .
١٧٢ ثانياً - منهجه مع المشركين والملاحدة وأضرابهم .
١٧٣ إمكان الوحي عقلا ، العلم الحديث يدل على وجود مغيبات غير محسه .
١٧٥ اثبات القرآن إمكان الوحي .
١٧٧ بيان القرآن أصناف الوحي .

١٨١ الوحي ليلة المعراج
١٨٢ اتصال جبريل بالرسول الكريم
١٨٥ الوحي كما حدث لرسولنا محمد ﷺ
١٨٩ مشهد رسول الله ﷺ وهو يوحى اليه
١٩٢ معاناة الرسول شدة أثناء تنزل الوحي
١٩٨ **خصائص الوحي :**
١٩٨ ١) إنه حدث مفاجىء .
١٩٩ ٢) إنه حدث الزامي .
٢٠٠ ٣) الوحي مستقل عن ذات النبي وإرادته .
٢٠٣ ٤) حصول الوحي وفق الاصطفاء الالهي .
٢٠٧ ٥) قوة يقين النبي بالوحي .
٢٠٨ ٦) معارف الوحي فوق مطامح الذات الانسانية .

الفصل الثاني

دفع شبهات للمشركين والمستشرقين حول الوحي

٢١٤ أولاً ـ زعمهم أن الرسول تلقى دعوته من بعض الناس :
٢١٤ ١) من بحيري الراهب .
٢١٦ ٢) من بعض رجال الدين في بلاد الشام .
٢١٧ ٣) من ورقة بن نوفل .
٢١٨ ٤) من فتى أعجمي رومي .
٢٢١ عماد هذه المناقشة ـ عندي ـ مسألتان .
٢٢٢ ثانياً ـ توهمهم أن القرآن من إنتاجه الذاتي .
٢٢٤ ١) رد مزاعم جولد تسهر ودرمنغام .

٢٢٤ تمتع الرسول بصحة نفسية وعصبية وافرة مدى العمر .
٢٢٥ الجنون والعبقرية لا يجتمعان .
٢٢٦ ٢) رد مزاعم المشركين .
٢٢٧ مشاكلة دعوى المستشرقين في الوحي النفسي دعوى المشركين .

الباب الثالث

معالم نبوة محمد ﷺ في القرآن

الفصل الاول

دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن

٢٣٥ بين دلائل النبوة ومعجزاتها .
٢٣٦ أقسام دلائل النبوة :
٢٣٧ الدلائل الحسية .
٢٣٩ الدلائل العقلية .
٢٤٥ ثبوت معجزاته ﷺ نقلاً .

الفصل الثاني

معالم نبوية في شخص محمد ﷺ

٢٤٩ عصمتـــه ﷺ :
٢٤٩ أولاً ـ عصمته عن المعاصي .
٢٥٤ ثانياً ـ عصمته في تبليغ الوحي .
٢٥٧ أمية محمد ﷺ .

٢٦٦ الرسول متلق مأمور .
٢٧٤ الرسول يبرأ من علم الغيب إلا بالوحي .
٢٧٦ سجية الرسول دليل على نبوته .
٢٧٩ استدلال شاعر نصراني بموقف الرسول من الكسوف على نبوته .
٢٨٠ حماية إلهية خاصة للرسول الأمين :
٢٨٠ ١) حمايته في مكة وأثناء الهجرة .
٢٨٢ ٢) حمايته من الشدائد المهلكة في الغزوات .
٢٨٦ ٣) حمايته من مؤامرات الغدر .

الفصل الثالث

مجيء محمد ﷺ على السنن الالهية في بعثة الرسل

٢٨٩ أصول رسالته ﷺ كرسالات سابقيه .
٢٩١ نبوة محمد ﷺ مصدقة للأنبياء السابقين .

الفصل الرابع

تبشير الكتب السماوية ببعثة سيدنا محمد

٢٩٩ أولاً ـ بشارة الكتب السماوية بمحمد ﷺ في القرآن .
٣٠٩ ثانياً ـ بشارة الكتب المعتمدة لدى أهل الكتاب :
٣٠٠ ١) شواهد حق تعين على فهم بشارات الكتاب المقدس .
٣١٦ ٢) بشائر الكتاب المقدس ببعثة محمد ﷺ .
٣٢١ بشارة عيسى بظهور الفارقليط « البشارة الرابعة » .
٣٢٤ المراد بالفارقليط في ـ تحليل البشارة .

٣٢٩ ثالثاً ـ بشارات كتابية لا يعتبرها النصارى .

٣٣٠ نسخة انجيل برنابا .

٣٣٢ شخصية كاتب الانجيل .

٣٣٤ بشارات هذا الانجيل .

الخاتمـــة

٣٣٩ مجمل دلائل نبوة محمد ﷺ .

٣٤٣ افتقار البشرية الى رسالة محمد ﷺ .

٣٤٧ الحاجة اليه ﷺ في زماننا .

٣٥٠ واجب البشرية نحو محمد ﷺ :

٣٥١ ١) الايمان بمحمد ﷺ .

٣٥٣ محمد ﷺ خاتم النبيين ،

٣٥٥ كشف زيف مزاعم القادياني .

٣٥٧ ٢) طاعتـــه ﷺ .

٣٦ ٣) محبتـــه ﷺ .

فهارس الكتاب

٣٦٩ ١) الآيات القرآنية .

٢٨٦ ٢) الأحاديث النبوية .

٣٩١ ٣) الاعـــلام .

٤٠٥ ٤) ثبت المراجـــع .

٤١٣ ٥) فهرس الموضوعات .



أهم أخطاء الطباعة

يأسف المصحح لما وقع من أخطاء في الطباعة ؛ ويرجو القارىء أن يبادر إلى تصحيح نسخته أولاً .

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٥	٢١	معناها	معانيها
٢٨	« اجعل السطر الثالث كله سطراً سابعاً »		
٣٢	٩	لو	لولا
٣٥	٣	القوية	القوىءة
٣٧	١١	عدمه	عدم
٣٩	١٨	الدئمة	الدائمة
٤١	١٥	« طمس »	الألطاف
٤٣	٥	الكافرين	للكافرين
٥٧	٢	فأعنى	فأغنى
٦٠	١٦	المعى	المعنى
٦١	١٩	الكتاب	الباب
٦٢	٤	مبيناً	مبيناً مهمته
٦٧	٨	بشراً	بشر
٦٩	١٢	يوحى	ما يوحى
١١١	٢١	ق : ٣٩	الطور : ٤٨
١٨٢	٢٣	١٦٤	١٠٢
٣٠٥	٢١	والمكارة	والمكاره
٣٣١	١٨	التعلقات	التعليقات
٣٤٧	٢	صحيحها	صحيحيها
٣٤٨	١٢	الناس	الانسان
٣٦٢	٢٣	فحق	فحق
٣٧٤	١٧	سبيل	سبيلي

هذا الكتاب

- بحث فريد جديد بأسلوب مشرق جذاب ، استخلص من الآيات القرآنية دلائل عقلية باهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، تورث المتأمل يقيناً صادقاً وإيماناً راسخاً برسالته . وقد خاض المؤلف فيه غمار موضوعات جليلة أهمها :
- سمو أخلاقه على مستوى الناس حتى بلغ الغاية القصوى من الكمال .
- ظاهرة الوحي ، واستنبط لأول مرة خصائص الوحي لتُجلّي للعقول أن الوحي أمر إلزاميّ خارج عن ذات الرسول يتنزل عليه من حكيم حميـــد .
- عصـمته صلى الله عليه وآله وسلم عن المعاصي والسفاسف ، وأنه عاش أمياً لم يتلق من عالم شيئاً ، فلما بلغ الأربعين من عمره جاء بعلم إلهي ومعارف ربانية لا طاقة لأحد بها ، وخصه الله بحماية إلهية دائمة حفظته من الهلاك المحقق . . .
- بشارات التوراة والانجيل ببعثته ﷺ وإلزامها أهل الكتـاب بالايمان برسالته .
- إن منهـج القرآن أمثل منهـج علمي في العقائد ، وعليه عوّل في نهاية المطاف أفاضل العلماء وأجلّ الفلاسفة :

« لقدْ تأمّلتُ الطّرقَ الكلاميّةَ والمناهجَ الفلسفيّةَ فمارأيتهَا تَشفي عليلاً ، ولا تروي غليلاً ، وَرأيتُ أقربَ الطّرقِ طَريقةَ القرآنِ .. »

« الإمام الرازي »

النـاشـر

١٢ ل.س

مطبعة أمية ـ حلب